غير مخصص للبيع

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

منبر الإسلام

السنة (٦٩) العدد (٧) رجب ١٤٣١ هـ
يونيو - يوليو ٢٠١٠م

- تواصل الأجيال
- إسلام وسط الحصار
- دروس مستفادة من رحلة الإسراء والمعراج
- محمد رسول الله ﷺ فى حديث الإمام الشعراوى
- الرد على تكرار الإساءة للرسول ﷺ
- أمراض الكبد .. نظرة طبية إسلامية

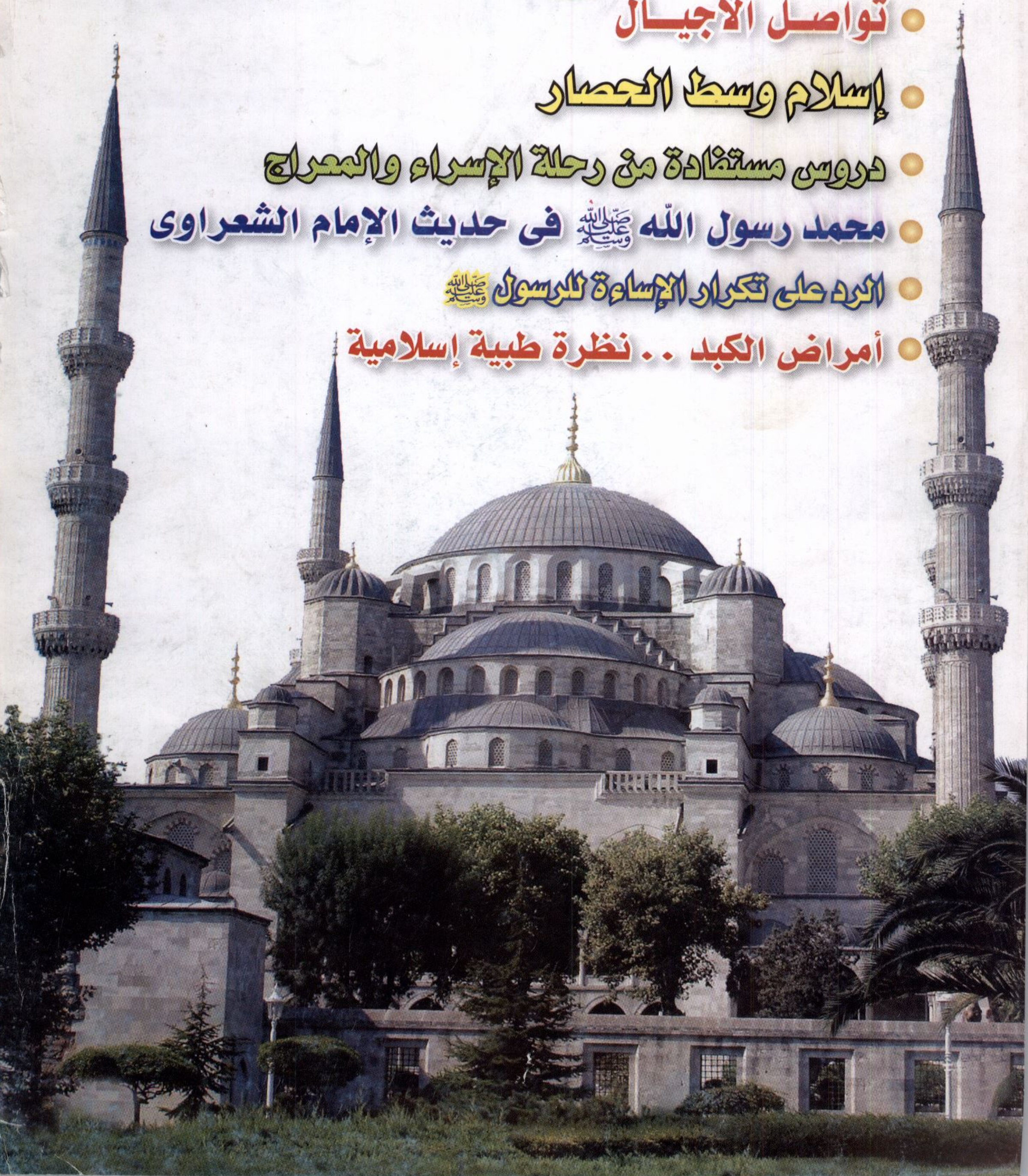

فى هذا العدد

اهتمامات التحرير

■ حديث الشهر : تواصل الأجيال

د. محمود حمدى زقزوق **٢**

■ إسلام لكل العصور : إسلام وسط الحصار

د. محمد الشحات الجندى **٥**

■ على مائدة القرآن الكريم :

● نظرات فى كتاب الله تعالى : تفسير سورة (الناس) د. محمد سيد طنطاوى **١٠**

● نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (٢٢) د. طه مصطفى أبو كريشة **١٣**

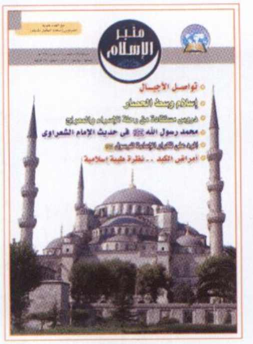

صورة الغلاف

جامع السلطان أحمد (الجامع الأزرق)

يقع بمدينة اسطنبول بتركيا ويُعد من روائع العمارة الإسلامية بناه السلطان أحمد بين عامى ١٠١٨ - ١٠٢٠هـ يعلو المسجد ست مآذن تعد نموذجًا من أروع نماذج الفن الإسلامى.

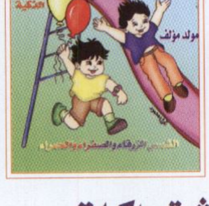

هدية منبر الإسلام

الطفل المسلم

«مجلة الفردوس»

٣٢ صفحة بالألوان

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : محمد الشحات الجندى

أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مجلس التحرير

الدكتور : أحمد محمد الطيب

الدكتور : أحمد كمال أبو المجد

الشيخ : محمد عبد المجيد زيدان

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات باسم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - على مكتب بريد جاردن سيتى ـ القاهرة.

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٣٥ خمسة وثلاثون جنيها بجمهورية مصر العربية.

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا أمريكيا للدول العربية والافريقية

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا للدول الأوروبية

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٤٥ خمسة وأربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا.

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيًا لأمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

العنوان البريدى : ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة.

رقم الهاتف : ٢٧٩٥٨٦٦٤ - ٢٧٩٥٨٦٥٩ - ٢٧٩٤١٦٢٧ (٢٠٢) - فاكس : ٢٧٩٥٨٦٦٣ - ٢٧٩٥٤٠٠٥ (٢٠٢)

أنباء وأخبار ص ١٠١

استراحة المنبر ص ١١٤

افتتاحية العدد ٢١

من وحى المناسبة:

- دروس مستفادة من رحلة الإسراء والمعراج — الشيخ محمد عبد المجيد زيدان ٢٢
- الإسراء والمعراج بالجسد والروح معًا — د. سالم عبد الجليل ٢٧

الأسرة والتشريع الإسلامى ٤٣

- أهمية الرقابة الأسرية — المستشار حسن حسن منصور ٤٤
- الوالـدان — د. طه عبد السلام خضير ٤٨

الدين والحياة ٥٣

- حماية البيئة فى الإسلام — خالد حامد سعد ٥٤
- أمراض الكبد والوقاية منها .. نظرة طبية إسلامية — د. عبد المعبود عمارة ٥٧

أقلام نسائية ٦٣

- النجاشى (أصحمة) الصحابى التابعى — د. سامية منيسى ٦٤
- علاقة المسلمين بيهود الأندلس — د. إصلاح عبد الحميد ٧٠

قضايا معاصرة ٧٥

- محمد على باشا والسيد عمر مكرم (صراع الدولة والأمة) — د. محمد عمـارة ٧٦
- الرد على تكرار الإساءة لرسول الله ﷺ — د. أحمد عمر هاشم ٨١

الدعوة والخطاب الدينى ٨٧

- محمد رسول الله ﷺ فى حديث الإمام الشعراوى — د. محمد رجب البيومى ٨٨
- حقيقة التصوف — فضيلة الشيخ شوقى عبد اللطيف أيوب ٩٥

حوارات وتحقيقات

- حوار مع كرستيانا باكر — محمد كامل شاهين - مها أمين الخولى ١٠٤
- أمانة الكلمة دستور أخلاقى — تحقيق: مصطفى إبراهيم خيان ١٠٧

يسألونك فى الدين والحياة ١٢١
فضيلة الدكتور: على جمعة محمد

نافذة على القراء ١١٧

قراءنا الأعزاء

لقد دار الزمان، على مدى الأيام، وأطلت علينا تباشير شهور نفحات العطاء الإلهى والإشراق الروحى، ننهل من فيضها الصافى ونهرها العذب، رحيق الإيمان، ونبع قيم دين الإسلام فيما تغرسه فى نفوس المؤمنين من المحبة والتقى والإخلاص، فهنيئا لكل مؤمن على إنعام الله عليه فى شهر الله، شهر رجب الأغر.

رئيس التحرير

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Addresses : www.islamic-council.org
www.islamic-council.com
E-mail Address: Islamic_council_eg@yahoo.com
Postal Address : 9, El-Nabatât St., Garden City, Cairo, A.R.E.
Tel. : (+202) 27947776 / 27958664   Fax : (+202) 27954005

الاشتراكات لسلسلتى قضايا ودراسات إسلامية

يخاطب بشأنها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وترسل على مكتب بريد . جاردن سيتى . القاهرة
قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددًا)
أولا: داخل مصر (٣٠ جنيها مصريا).
ثانيا: خارج مصر كالآتى: دول عربية وإفريقية (٩ دولارات أمريكية) دول أوروبية (١١ دولارًا أمريكيًا)، دول أمريكا وكندا وآسيا (١٤ دولارًا أمريكيًا) أمريكا الجنوبية وإستراليا: (٢٢ دولارًا أمريكيًا).

حديث الشهر

تواصل الأجيال

أ.د. محمود حمدى زقزوق

لا شك فى
أن هناك اختلافًا واضحًا وتباينًا فى
وجهات النظر وفى الحكم على الأشياء
والأشخاص بين الأجيال المتعاقبة عبر مراحل التاريخ
المختلفة. وعادة ما يقال إن الجيل القديم له نظرة محافظة وإن
الجيل الجديد له نظرة متطورة أو متحررة. وينفرد عصرنا الحاضر
من بين كل العصور بما جد فيه من تطورات مذهلة فى مختلف
المجالات لم تكن تخطر لأحد على البال. وقد أثر ذلك تأثيرًا بالغًا لا
تخطئه العين على كل مظاهر الحياة، وانعكس بطبيعة الحال - سلبًا أو
إيجابًا - على تصرفات الأجيال الجديدة ونظرتها إلى الحياة والحكم
على الأشياء والأشخاص. ولعل هذا الاختلاف يتجلى بوضوح فى
العديد من المظاهر الحياتية وبخاصة فى الملبس والمأكل
والمشرب، كما يتجلى أيضًا فى اختلاف الأذواق إزاء
ألوان الثقافة والفنون بصفة عامة.

وعند التأمل فى الاختلاف بين الأجيال نجد أنه فى جانب كبير منه يعد تطورًا طبيعيًا وليس أمرًا خارجًا عن المألوف، وإن كان فى حاجة إلى ضبط المسار. فالظروف التى يعيش فيها الجيل الجديد اليوم تختلف تمامًا عن الظروف التى عاشت فيها الأجيال القديمة، وإيقاع الحياة وتطورات العصر وثمار العلم من مخترعات وابتكارات قد فاقت كل التطورات ومن الطبيعى أن ينعكس ذلك على نظرة شباب اليوم إلى مختلف الأمور الحياتية.

والمفارقة الغريبة هنا تتمثل فى أن الجيل الجديد لم يكن له يد فى كل هذه التطورات التى طرأت على حياة الناس وغيرت تفكيرهم ومسار حياتهم، فالجيل القديم هو الذى صنع ما جد فى العالم من تطورات، فهو الذى فكر وخطط وابتكر وإن كان لم يحسب حساب ما ينتج عن ذلك من آثار.

وإذ كان الأمر كذلك فعلى الجيل القديم أن يفهم الجيل الجديد والظروف المستجدة التى أثرت على اتجاهاته وميوله. فأمام الجيل الجديد اليوم إمكانات هائلة لم يعرفها الجيل القديم ولم تكن متاحة له أصلاً. ويكفى إلقاء نظرة على النتائج التى ترتبت على ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجية فى العصر الحاضر لفهم طبيعة الأجيال الجديدة.

ومن هنا فإنه ليس من الجائز أو المفيد حمل الجيل الجديد على ما درج عليه الجيل القديم فهذا أمر ضد طبيعة الأشياء، ولعل الحكمة البليغة المروية عن على بن أبى طالب والتى يقول فيها: «**لا تربوا أولادكم على ما تربيتم، لأنهم ولدوا لزمان غير زمانكم**» تعبر أصدق تعبير عما ينبغى مراعاته فى التعامل مع الجيل الجديد.

لا يجوز أن يُنظر إلى العلاقة بين الجيل القديم والجديد على أنها صراع بين أجيال وإنما هى علاقة تكامل وتواصل

إن المطلوب إذن هو استثمار التطورات الجديدة من أجل صقل عقول ومهارات الأجيال الجديدة وتوظيفها التوظيف الأمثل فى اتجاه الدفع بالجيل الجديد لترقية الحياة والنهوض بها وتحمل مسئوليات المرحلة الجديدة.

ولا يجوز أن ينظر إلى العلاقة بين الجيل القديم والجيل الجديد على أنها صراع بين أجيال، وإنما هى تكامل وتواصل بين الأجيال. وإذا كانت تطلعات وآمال وطموحات الجيل الجديد تختلف عما كان لدى الجيل القديم فإن هذا لا يعنى أنه يمكن الاستغناء عن حكمة الشيوخ كما لا يمكن التقليل من شأن ما يملكه الشباب من قدرات هائلة أو التعامل معها بمنطق اللامبالاة.

إن الجيل الجديد فى حقيقته هو امتداد متطور للجيل القديم. والحياة فى حاجة إليهما معًا. والأمم والشعوب لن تنهض وتتقدم إلا على أكتاف كل منهما. وهذا يتطلب مراعاة ذلك كله فى مناهج التعليم ووسائل التثقيف المتنوعة والمتطورة، وتأهيل الجيل الجديد لتحمل مسئوليات المرحلة الجديدة بأفق جديدة وثقافة متجددة. ولن يتحقق ذلك إلا

عن طريق نقلة نوعية فى نظام التعليم تنقل الجيل الجديد من أسلوب التلقين الذى يعود النشء على التقليد والخوف من التفكير، ويغرس فيه ثقافة سكونية أو «ثقافة المحفوظات» - بتعبير المرحوم الدكتور زكى نجيب محمود - إلى أسلوب التفكير الخلاق الذى يعود النشء على النقد والإبداع، وينتقل به إلى ثقافة التجديد والتغيير إلى الأفضل فى حياته وسلوكه وكل أموره.

ولا شك فى أن ذلك من شأنه أن يجعل منه عضوًا فاعلاً فى المجتمع وليس مجرد نسخة مكررة باهتة لا تقوى على التفكير ولا ينتظر منها إبداع أو إضافة جديدة فى أى مجال من المجالات. والأمر المؤسف أن هذا هو حال الغالبية العظمى من فلذات أكبادنا الذين كل طموحاتهم اليوم تتركز فى الحصول على شهادة دراسية والظفر بوظيفة ثابتة، يفضل أن تكون حكومية، تجعل الفرد قادرًا على تكوين أسرة. فإذا تحقق ذلك فهذا هو منتهى المراد من رب العباد. وهذه طموحات متواضعة ترجع إلى تأثير ثقافة المحفوظات المشار إليها.

وهناك جانب آخر فى غاية الأهمية فى تكوين شخصية الجيل الجديد واكتمالها، وهو جانب الثقافة الدينية. وهذا الجانب لا يجوز تجاهله أو إغفاله. فالدين - أردنا أم لم نرد - له عمق عميق فى النفوس حتى لدى من لا يلتزمون بشعائره، وتأثيره على توجيه سلوكيات المجتمع أمر لا يجوز إنكاره. ولكن هذا يتطلب بطبيعة الحال فهمًا مستنيرًا للدين إذا أردنا أن تكون له ثماره المرجوة.

وإذا كنا قد أشرنا إلى ضرورة إحداث نقلة نوعية فى نظام التعليم فإن هذا ينطبق بطبيعة الحال على تدريس الدين فى مراحل التعليم المختلفة. فالأسلوب الذى يتم به تدريس الدين حاليًا أسلوب ممل وعقيم، وليس فيه ما يشد التلميذ إلى الاهتمام به، بل ربما يجعله ينفر منه. ومن هنا فإن المطلوب - إذا كنا نريد أجيالاً جديدة واعية - أن تكون هناك أيضًا نقلة نوعية فى مناهج الدين وفى طريقة تدريسه فى مدارسنا، وذلك عن طريق التشويق فى الموضوعات وفى أسلوب العرض ليكون ذلك جاذبًا لاهتمام أبنائنا وبناتنا. والهدف هو أن نغرس فيهم بذور القيم الدينية الدافعة إلى تقدم المجتمع وترقية الحياة، والبعد بسلوكياتهم عن التشدد الممقوت والتعصب البغيض الذى يعود على المجتمع بأوخم العواقب، كما أننا فى أشد الحاجة إلى أن نخلق فيهم ثقافة الحوار وقبول الآخر.

والأمر الذى لا ينبغى أن يغيب عن الأذهان هو أن ما نتمناه لأجيالنا الجديدة، وما نعلقه عليهم من آمال عريضة لن يمكن تحقيقه إلا على أساس قاعدة راسخة من الحرية تتيح أمامهم الفرص للتحاور والتعبير عن أنفسهم والاستماع إليهم ومناقشتهم وعدم التقليل من أهمية ما يطرحونه من أفكار. إنهم أمانة فى أعناقنا، ومن حقهم علينا أن نهيئ لهم فرصة مواتية لإبراز مواهبهم وتكوين شخصياتهم وإثبات وجودهم وتشكيل حياتهم على النحو الذى يحقق لهم طموحاتهم العليا ويحقق بالتالى للمجتمع المزيد من التقدم والازدهار.

إسلام وسط الحصار

د/ محمد الشحات الجندى

من حق الإسلام كدين وثقافة وحضارة أنزله الله تعالى ليكمل به الأديان الكتابية السابقة عليه بفكر التوحيد الذى جاء به الخليل إبراهيم عليه السلام، أن تتاح له فرصة التعبير عن جوهره، والتعريف بمبادئه، وأن يطلع الناس على إنسانية الرسالة المنزلة على محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وأن يعامل المسلمون باحترام، وأن تكفل لهم حقوقهم على سواء مع إخوانهم فى الإنسانية على امتداد العالم.

لقد شاع ضد الإسلام ألوان من سوء الظن والشك والاتهام والعداء حتى راحت القوى الكبرى فى عالم اليوم تدق طبول الحرب وتزرع ألغام الصراعات فى أوطان هذا الدين وضد أتباعه، وعمّت فرية الإرهاب والعنف والكراهية ورفض الآخر فى الأبواق العالمية، من خلال ما يملكه الغرب من آلة إعلامية جبارة، لا تتوقف عن الحديث المسيئ والمشوه عن الإسلام، فى لغة تحريضية فجة تنسب كل المعايب والسلوكيات الهمجية تجاه كل ما يتصل بالإسلام.

لقد اعتبرت الحضارة الغربية أن الإسلام المنسوب فى زعمهم إلى محمد ﷺ وهو الصك الذى صكه المستشرقون باسم المحمدية - وإلى هؤلاء البدو من العرب القابعين فى جزيرة العرب، انتقاصا من المسيحية، وخصما من رصيدهم فى الهيمنة والسيطرة على مقدرات العالم ومصيره، وأنه ما كان يجوز لهذا الدين ولا لذلك النبى وأتباعه المسلمين أن يعلنوا عن هذا الدين، ويقوموا بنشره، مما أدى إلى أن يقوض الوجود المسيحى، ويستولى على الحضارة الرومانية سليلة الحضارة الغربية الحديثة، ويفرض وجوده ورسالته على الناس، كدين عالمى.

ومكمن الخطأ فى هذا الفهم للإسلام ولنبيه وأتباعه أن الإسلام ونبى الإسلام والمسلمين، لم يكن ثورة محلية أو حركة داخلية، ولا مطلبا قطريّا ولا مذهبا قوميّا، جاء لطموحات شخصية أو لمطامع مادية أو لتوسعات إقليمية، ومنافسات على زعامة أو سيطرة ونزعات عدوانية كما يحلو للغربيين أن ينعتوا هذا الدين ويلصقوا به كل ما هو غير إنسانى وغير حضارى، حقيقة الأمر والقطب الأعظم فى الإسلام الذى لا يفسح مفكرو الغرب

وأقطابه وصانعو القرار فيه أن يتفهموا قوته وحيويته أنه دين بالمعنى الكامل لهذا المصطلح كمنظومة جامعة للإيمان بالإله الخالق الحقيق بالربوبية وبالرسل جميعا وبالكتب المقدسة والملائكة واليوم الآخر، وهو الدين الشامل الذى جاء به النبى وحمل المؤمنون لواءه من بعده: **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾** (سورة البقرة الآية: ٢٨٥).

كما أراده الله نهوضا وارتقاعا بالإنسان، وإسعاد البشر، وإقامة نظام يتكامل فيه الدين باعتباره وضعا إلهيّا مع الحياة بإعمال الملكات والقوى التى خلقها الله تعالى فى الإنسان.

وعلى هذا النسق من الاعتراف بالأديان الكتابية اليهودية والنصرانية كانت دعوة أتباعهما إلى الإيمان بالله، وضرورة التعايش السلمى، وحمل رسالة دين الله إلى العالمين فى كل أرجاء الأرض، والتحرر من كل ما سوى الله، والتعاون على إرساء هذه المفاهيم الواضحة، فقد دعا القرآن المسلم والمسيحى واليهودى إلى الالتفاف حول هذه الرسالة، والعمل وفقا لتلك الدعوة، فى ذلك النداء الرحب: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾** (سورة آل عمران الآية: ٦٤).

وما ذلك إلا لأن الإسلام هو الدين الجامع لأديان الله والرسالة الخاتمة إلى البشر، ينبع من مشكاة واحدة، هى النور الإلهى، الذى وجد غرسه الأول فى دعوة نبى الله إبراهيم عليه السلام.

وعلى هدى هذه الحقيقة، تبرز خطيئة الفكر الغربى تجاه الإسلام فى أنه جاء ليزيل المسيحية، وذات الخطيئة فى اليهودية كذلك، ويحل محلهما، وينتقص من أرضهما، ويسوم أتباعهما العذاب، ويبذر بذور التوتر والصراع العالمى، فما جاء الإسلام إلا حاملا رسالتيهما الصحيحة، ومؤمنا برسوليهما ومعليا شأنيهما، ومتصالحا مع أتباعهما، داعيا إلى التعاون معهما فى سبيل المصلحة والخير والسلام للبشرية جمعاء.

وقد أشار الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - إلى هذا الجوهر النفيس فى قوله: **«إنما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا وحسنه إلا موضع لبنة، فصار الناس يطوفون ويقولون: لو وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»**.

ومن ذلك يدرك الناظر بعين الإنصاف لدين الإسلام أنه لا يقيم خصومة مع أحد، ولا عداء مع من آمن بدين آخر ورفض الإسلام، وأنه يمد يده دوما إلى المخالفين، ويقيم جسور التعاون معهم، على أساس أن كل إنسان إما أخ لك فى الدين أو نظير لك فى الخلق، على شرط احترام أصوله وثوابته، ومسالمة أتباعه وعدم فرض الأيدولوجية الغربية وقهر المسلمين على الانصياع لها، وممارسة الغزو الفكرى، ومحو أو تمييع الشخصية المسلمة.

ومن هنا تبرز الإشكالية القائمة فى علاقة الإسلام والمسلمين بالغرب، من منطلق أن المسلمين كلهم إرهابيون وحاقدون على الغرب، بسبب صنيع فئة مارقة عن الإسلام فى ممارستها لأعمال عدوانية ضد الأبرياء والمدنيين، كما يتجلى ذلك فى الاختراق الغربى للإسلام فى عمق أوطان المسلمين، وتفكيك بنية المجتمعات الإسلامية من الداخل،

يؤكد الواقع على أن الغرب بما أحرزه من تقدم مادى يصر على إضعاف شخصية المسلم والسيطرة على مقدساته وإخضاع المسلمين وجعلهم تروسًا فى آلة الصناعة الغربية

وإثارة نزعات الانفصال والفرقة، وإشعال نيران الحروب فى قلب العالم الإسلامى، ودعم الوجود الإسرائيلى وتكريس عدوانها على الفلسطينيين، ومناصرتها فى أيدولوجيتها العنصرية واستباحتها لحرمة المقدسات الإسلامية فى المسجد الأقصى، وأماكن العبادة، والوطن الفلسطينى.

ولو أنصف عقلاء الغرب ودعاة السلام فيه، واستجابوا لداعى العقل الرشيد، والمصلحة العالمية، لأيقنوا أن التعامل على أساس الاحترام مع رسالة الإسلام فى الدين والحياة، والحفاظ على حقوق المسلمين، والتعاون المخلص معهم، هو السبيل الحق، لإرساء السلام العالمى، وثقافة حقوق الإنسان.

لكن الغرب، بما أحرزه من تفوق مادى وتكنولوجى يصر على التخلى عن الهوية الدينية وإضعاف شخصية المسلم، بالتشكيك فى الإسلام ونزعه من أعماق نفوس المسلمين، ومحو الإيمان بالقرآن والتصديق بمحمد ﷺ إن أمكنه ذلك، أو على الأقل انتزاع أوطانه، والسيطرة على مقدراته، ونهب ثرواته، وإخضاع المسلمين، واختراق دينهم، وجعلهم تروسا فى آلة الصناعة الغربية.

إن الواقع والمشاهد على الساحة الإسلامية يؤكد على سلوك هذه الممارسات الظالمة ضد الإسلام والمسلمين، وهى تمضى على قدم وساق غير عابئة بمطالبات المسلمين بالكف عن العدوان على دينهم وأوطانهم، ولا مكترثة بأصوات دعاة السلام، وهم موجودون فى العالم الغربى، إذ يأبى أصحاب القرار إلا أن يكرسوا هذا الصراع وأن يبقوا على تبعية العالم الإسلامى لسطوتهم وسلطانهم.

وفى ذات الوقت ولصرف الأنظار عن إيجاد الحلول المنهية للمشكلات القائمة والصراعات المشتعلة على أرض العالم الإسلامى، لا يكف الغرب عن طرح مبادرات ذات بريق جذاب، وأهداف كبيرة تبنى عليها آمال كبار دون أن تجد لها صدى ملموسا على أرض الواقع، فعلى المستوى الدينى والفكرى تدور حوارات الأديان والثقافات والحضارات، نذكر مما انعقد منها مؤخرًا فى شهر أبريل الماضى فى لقاء القمة لزعماء الأديان العالمية الذى عقد فى باكو عاصمة أذربيجان، ودعا إلى استتباب السلام الذى يحفظ لكل دولة وحدتها الترابية، وأن الحاجة إلى التعاون بين المجتمعات الدينية التقليدية تتعاظم بحكم الظروف الراهنة، وأكد مسئولية زعماء الأديان تجاه مستقبل العالم التى تحتم عليهم مواجهة الأنانية والعنف والعداء.

كذلك انعقد المنتدى الثالث لتحالف الحضارات فى البرازيل، والذى دارت فعالياته حول التنوع الثقافى وتحالف الحضارات كإحدى الوسائل الأساسية لتحقيق السلام على المستوى الدولى.

ولسنا نقول بأنه لا جدوى من هذه المؤتمرات والمنتديات، بل نثمنها، وندعو إلى تفعيلها، ومتابعة ما يصدر عنها، لكن الأهم هو توفر النية الصادقة والإرادة الجادة على ترجمة حصيلة رؤاها فى الواقع المعيش، والاعتراف بالإسلام كدين ومنهج فى النظام العالمى، والدعوة إلى تخليص العالم من الصراعات والحروب، والكف عن سلوك الأسباب الموصلة إليها، وإرساء السلام العالمى والتعاون النافع بين الأمم والشعوب.

معجزة الإسراء

عبد الفتاح الطاهر الخطيب

مــاذا أقــول وليلة الإسـراء ∴ سـعدت بموكب سـيد الشـفـعـاء
وأتت تبـشـر بالسـعـادة والمنى ∴ كل التـقــاة بسـائر الأرجـاء
جـبـريلُ بالبـشـرى أتى لمحـمـد ∴ وبدعـوة قـدسـيـة الأصـداء
لتــزيل أثواب الظلام عن الدُنى ∴ ويهل صـبـح رائع الأضـواء
أسـرى إلهُ الكون جل جـلاله ∴ بك يا رسـول الله فى الظلمـاء
من ذلك البـيـت الحـرام مُكرمـا ∴ للمـسـجـد الأقصى بغـيـر عناء
أعطاك ربُّ العـالمين مكانةً ∴ مـا نالهـا أحـدٌ بلا اسـتـثناء
هذى السـمـاوات العلا قـد زينت ∴ وتألقت فى ليلة الإسـراء
فـرحًا بموكب خـيـر من عـرف الورى ∴ ومـلائك الرحـمـن فى العليـاء
قـد سـبـحـوا وتهللوا فى غـبطة ∴ لعظيم مـــا أُعطيتَ من آلاء
والأنبـيـاء المرسلون تشـرفـوا ∴ واسـتـبـشروا بالشرعة السـمـحـاء

* *

فـرض الإله على العـبـاد صـلاته ∴ حــتى ينالوا منه خــيـر جـزاء
وكسـاهـمـو ثوب الفـضيلة والتـقى ∴ ونهـاهـمـو عن سـائر الفـحـشـاء
ودعـاهـمـو للدين والدنيـا مـعـا ∴ كى ينهلوا من مــورد السـعـداء
مــا أعظم الفـيضِ الذى عم الورى ∴ فى ليلة حظيت بخـيــر لقـاء
وسعدت فـيـهـا يا حـبـيـبى بالذى ∴ قــد خـصك الرحـمـن من نعـمـاء
يا ليلة الإسـراء أنت على المدى ∴ عـبقُ الحـيـاة عـمـيـقـة الإيحـاء
كـونى لنا الحـصنَ الحـصين إذا عـدا ∴ باغٍ يريد الكـيــد بالحـنفـاء
كم دنسوا الأقصى الشريف وعربدوا ∴ واسـتـأسـدوا فى الليلة الظلمـاء
حـتى يصـيــر المسلمون أذلة ∴ ويعـودَ حكمُ الشـرق للغـوغـاء
إنى سـألتك يا إلهى راجـيـا ∴ سـحق الطغـاة وكـشـف كل بلاء
ليـعـود للدين القـويم بهـاءه ∴ وتعـودَ فــينا عــزةُ الآباء
ويظل دينُ الله يعـمــر أرضنا ∴ فى قــوة ومــودة وإخــاء

على مائدة القرآن الكريم

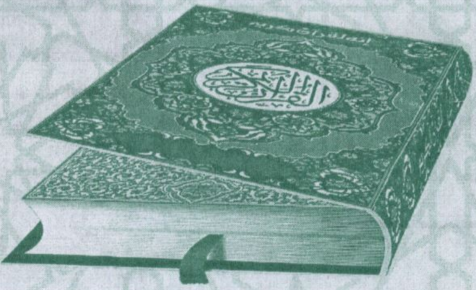

- نظرات فى كتاب الله تعالى :

تفسير سورة «الناس»

- نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (٢٢).
- شبهات حول وقوع اللحن فى القرآن الكريم

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة «الناس»

لفضيلة الإمام الأكبر

الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر
رحمه الله تعالى

قال تبارك وتعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

[سورة الناس: الآيات ١ - ٦]

سورة «الناس» كان نزولها بعد سورة «الفلق»، وتسمى سورة المعوذة الثانية، والسورتان معا تسميان بالمعوذتين، كما سبق أن أشرنا، وعدد آياتها ست آيات.......

أى: قل - أيها الرسول الكريم - أعوذ وألتجئ وأعتصم «برب الناس» أى: بمربيهم ومصلح أمورهم، وراعى شئونهم... إذ الرب هو الذى يقوم بتدبير أمر غيره، وإصلاح حاله..

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أى: المالك لأمرهم ملكًا تامًا. والمتصرف فى شئونهم تصرفًا كاملاً...

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ أى: الذى يدين له الناس بالعبودية والخضوع والطاعة لأنه هو وحده الذى خلقهم وأوجدهم فى هذه الحياة، وأسبغ عليهم من النعم ما لا يحصى...

وبدأ - سبحانه - بإضافة الناس إلى ربهم، لأن الربوبية من أوائل نعم الله - تعالى - على عباده، وثنى بذكر المالك، لأنه إنما يدرك ذلك بعد أن يصير عاقلاً مدركاً، وختم بالإضافة إلى الألوهية، لأن الإنسان بعد أن يدرك ويتعلم، يدرك أن المستحق للعبادة هو الله رب العالمين.

قال الجمل: وقد وقع ترتيب هذه الإضافات على الوجه الأكمل، الدال على الوحدانية، لأن من رأى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة، علم أن له مربياً، فإذا درج فى العروج... علم أنه - تعالى - غنى عن الكل، والكل راجع إليه، وعن أمره تجرى أمورهم، فيعلم أنه ملكهم، ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد إبداعهم، أنه المستحق للألوهية بلا مشارك فيها....[1]

وإنما خصت هذه الصفات بالإضافة إلى الناس - مع أنه - سبحانه - رب كل شىء - على سبيل التشريف لجنس الإنسان، ولأن الناس هم الذين أخطأوا فى حقه - تعالى - إذ منهم من عبد الأصنام، ومنهم من عبد النار، ومنهم من عبد الشمس إلى غير ذلك من المعبودات الباطلة التى هى مخلوقة له - تعالى - .

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: لم قيل ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ مضافا إليهم خاصة؟ قلت: لأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس. فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم، الذى يملك عليهم أمورهم، كما يستغيث بعض الموالى إذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم وولى أمرهم.

فإن قلت: ﴿مَلِكِ النَّاسِ • إِلَهِ النَّاسِ﴾ ما هما من رب الناس؟ قلت: هما عطفا بيان، كقولك: سيرة أبى حفص عمر الفاروق. بين بملك الناس، ثم زيد بيانا بإله الناس...

فإن قلت: فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذى هو الناس مرة واحدة؟ قلت: أظهر المضاف إليه الذى هو الناس لأن عطف البيان للبيان، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار....[2]

وقوله - سبحانه - : ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ متعلق بقوله ﴿أَعُوذُ﴾.

والوسواس: اسم للوسوسة وهى الصوت الخفى، والمصدر الوسواس - بالكسر - والمراد به هنا: الوصف. من باب إطلاق اسم المصدر على الفاعل، أو هو وصف مثل: الثرثار.

و «**الْخَنَّاسِ**» صيغة مبالغة من الخنوس، وهو الرجوع والتأخر، والمراد به: الذى يلقى فى نفس الإنسان أحاديث السوء.

وقوله: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ صفة لهذا الوسواس الخناس وزيادة توضيح له...

وقوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ زيادة بيان للذى يوسوس فى صدور الناس، وأن الوسوسة بالسوء تأتى من نوعين من المخلوقات: تأتى من الشياطين المعبر عنهم بالجنة... وتأتى من الناس.

وقدم - سبحانه - الجنة على الناس، لأنهم هم أصل الوسواس، إذ إنهم مختفون عنا، ولا نراهم، كما قال - تعالى -: ﴿**إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم**﴾ (سورة الأعراف الآية ٢٧).

فلفظ الجِنَّة - بكسر الجيم - مأخوذ من الجن - بفتح الجيم - على معنى الخفاء والاستتار.

والمعنى: قل - أيها الرسول الكريم - أعوذ وأعتصم وأستجير، برب الناس، ومالكهم ومعبودهم الحق، من شر الشيطان الموسوس بالشر، والذى يخنس ويتأخر ويندحر، إذا ما تيقظ له الإنسان، واستعان عليه بذكر الله - تعالى -.

والذى من صفاته - أيضا - أنه يوسوس فى صدور الناس بالسوء والفحشاء، حيث يلقى فيها خفية، ما يضلها عن طريق الهدى والرشاد.

وهذا الوسواس الخناس، قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس، فعليك - أيها الرسول الكريم - أن تستعيذ بالله - تعالى - من شر النوعين جميعًا.

قال - تعالى - : **﴿وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا....﴾ (سورة الأنعام الآية ١١٢).**

قال قتادة: إن من الجن شياطين، وإن من الإنس شياطين، فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن.

وقال الإمام ابن كثير: هذه ثلاث صفات من صفات الله - عز وجل - الربوبية، والملك، والألوهية.

فهو رب كل شىء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له... فأمر سبحانه - المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بنى آدم، إلا وله قرين يزين له الفواحش... والمعصوم من عصمه الله.

وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله - ﷺ - قال: **«ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرين»، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم، إلا أن الله - تعالى - أعاننى عليه فأسلم، فلا يأمرنى إلا بخير»**(٣)

ومن الأحاديث التى وردت فى فضل هذه السور الثلاث: الإخلاص والمعوذتين، ما أخرجه البخارى عن عائشة - رضى الله عنها - **أن النبى - ﷺ - «كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ هذه السور، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، ويبدأ بها على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات».**

وبعد: فإلى هنا - بحمد الله وفضله وكرمه وتوفيقه - أكون قد انتهيت من هذا التفسير الوسيط للقرآن الكريم، بعد أن قضيت فى كتابته زهاء خمسة عشر عاماً.

وإنى لأضرع إلى الله - عز وجل - أن يجعله خالصاً لوجهه، ونافعًا لعباده، كما أضرع إليه - سبحانه - أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، وأنس نفوسنا، وبهجة أرواحنا.

وأن يوفقنا للعمل بما فيه من هدايات، وآداب، وأحكام، ومواعظ... وأن يذكرنا منه ما نسينا، وأن يعلمنا منه ما جهلنا، وأن يجعله فى ميزان حسناتنا يوم نلقاه **﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون ● إلا من أتى الله بقلب سليم﴾** (سورة الشعراء الآيتان ٨٨، ٨٩).

كما نسأله - تعالى - ألاَّ يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، وأن يغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، وأن يزيدنا من التقى والهدى والعفاف والغنى، وأن يؤتينا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة....

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم...

الهوامش:

(١) حاشية الجمل على الجلالين جـ ٤ ص ٦١١ .

(٢) تفسير الكشاف جـ ٤ ص ٨٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٧ ص٥٥٨.

نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (٢٢)

د. طه مصطفى أبو كريشة

فى مقدمة الحديث عن النظرة البيانية فى الكلمة القرآنية من خلال حديث القرآن الكريم عن مشاهد يوم القيامة، ذكرنا أن فى القرآن الكريم كثيراً من الآيات التى يأتى فيها التذكير بما سوف يحدث فى المستقبل يوم القيامة، ومع أن الحديث فى هذه الآيات يكون عن أمور سوف تأتى فى المستقبل إلا أن الحديث عن ذلك كان يتخلله فى السياق التعبير بصيغة الفعل الماضى بدلا من التعبير بصيغة المضارع التى يقتضيها الموقف والسياق، وقلنا إن هذا العدول كان لسر وهدف استدعى ذلك. ومن خلال بعض الشواهد القرآنية حاولت النظرة البيانية بيان ذلك، مع التسليم أولاً وآخراً بأن الله تعالى أعلم بمراده عز وجل..

ومع شواهد أخرى من كتاب الله تعالى نتابع ما بدأناه داعين الله عز وجل أن يلهمنا الصواب، وأن يجنبنا الخطأ والزلل..

(٨٩) من مشاهد يوم القيامة ذلك المشهد الذى نرى فيه مظهرا من مظاهر تكريم الله تعالى لعباده المؤمنين. كما نرى فيه كيف يكون المنافقون فى حسرة وهم يرون أنفسهم محرومين من هذا المظهر الذى يرونه بأعينهم عند المؤمنين، ومع حسرتهم فإنهم يرجون المؤمنين أن يتفضلوا عليهم بشىء مما يحظون به دونهم. ولكن هيهات..

إن هذا المشهد الأخروى هو الذى نراه مذكورا ومعروضا فى قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ • يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ • يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ • فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة الحديد: الآيات: ١٢-١٥).

إن من مظاهر تكريم المؤمنين ما نراه من مظهر النور الذى تحول إلى شىء محسوس يسبقهم ويحيط بهم من كل جانب، وهو نور استصحبوه

معهم من دنياهم حين عملوا بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ﷺ، كما قال تعالى عنهم عندما كانوا فى دنياهم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (سورة الحديد: الآية: ٢٨). إنَّ هذا النور الذى استصحبوه معهم هو الذى نراه الآن معهم فى أخراهم ﴿**يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم**﴾ هذا مع البشرى بفوزهم بجنات النعيم التى تجرى من تحتها الأنهار.

إن هذا المظهر النورانى هو الذى حرم منه المنافقون جزاء وفاقا لنفاقهم وعدم إيمانهم إيمانا خالصا. ومن خلال معاناتهم من الظلام الذى أصبحوا فيه فى آخرتهم كان رجاؤهم وتوسلهم إلى المؤمنين بأن يتمهلوا قليلا حتى يستطيعوا أن يسيروا فى ضوء نورهم ﴿**انظرونا نقتبس من نوركم**﴾ وهنا جاءهم الرد الذى يقطع عليهم رجاءهم ويوقف توسلهم، ويبقيهم فى حسرتهم ﴿**قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا**﴾ إنها نصيحة بالأمر المستحيل فأنى لهم الرجوع إلى دنياهم لكى يصلحوا من أحوالهم حتى ينالوا مثل هذا النور. إنها نصيحة تجمع بين التهكم بهم وقطع مشاعر الأمل التى تجول بخاطرهم. ثم كان ما كان من إغلاق باب الرجاء ﴿**فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب**﴾.

إن النظرة البيانية التى تعايش هذا المشهد ترى أن التعبير عنه جاء بصيغة الفعل المضارع بناء على الأصل ما دام الحديث والإخبار عن أمر يحدث فى المستقبل يوم القيامة، وذلك فى الأفعال الآتية (**ترى - يسعى - يقول - ينادونهم**) ومع ذلك فقد رأينا من الأفعال ما جاء بصيغة الفعل الماضى الذى يدل على أن الحدث قد وقع وانتهى وأصبح خبرا يروى، وذلك فى ﴿(**قيل ارجعوا وراءكم**﴾ وفى ﴿**فضرب بينهم**

أخبرت الآيات عن الثواب العظيم الذى ينتظر حفظة القرآن الكريم والعاملين به ممن اصطفاهم الله لحمل هذه الأمانة

بسور له باب﴾ وفلماذا كان العدول من (**يقال**) إلى (**قيل**) ومن (**يضرب**) إلى (**ضرب**)؟ إن النظرة البيانية ترى أن صيغة الفعل لها دلالتها التى تحقق الغاية من العدول إليها، ذلك لأن المقام مقام تيئيس وإقناط يراد أن يشعر به المنافقون الذين طلبوا ما طلبوه من الاستضاءة بنور المؤمنين، والإبلاغ بعدم تحقيق رجائهم إذا جاء بصيغة الماضى يكون أبلغ حيث لا مجال معه فى رجاء أو أمل يُنتظر تحققه ﴿**قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا**﴾، وأيضا فإن الإخبار عن قطع طريق الاتصال بين المنافقين والمؤمنين إذا جاء بصيغة الماضى يكون أبلغ لأنه لا مجال أيضا مع الوقوع والحدوث لأى أمل فى معاودة الاتصال القريب مرة أخرى ﴿**فضرب بينهم بسور له باب**﴾ ولذلك فإنه لما وجد هذا السور توقف الكلام المباشر، وكان الكلام بعد ذلك عن طريق النداء من بعيد، ومن هنا جاء الفعل (**ينادونهم**) بدلا من (**يقولون لهم**) وهذا أيضا جانب من جوانب البلاغة فى الكلمة القرآنية؛ لأن النداء يعنى رفع الصوت وذلك لا يكون إلا إذا كان من ينادى فى مكان بعيد أو فى مكان يوجد فيه حاجز يحجز بين المتحادثين..

(٩٠) ومن مشاهد يوم القيامة ذلك المشهد الذى نرى فيه إخبارا عن الثواب العظيم والأجر الجزيل الذى ينتظر حفظة القرآن الكريم والعاملين به فى دنياهم. وفى حديث القرآن الكريم عن هؤلاء نرى

أنهم ممن اصطفاهم الله تعالى لحمل هذه الأمانة، ولذلك كان ثوابهم متوافقا مع هذا الاصطفاء الإلهى، وذلك على النحو الذى جاء فى هذه الآيات **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير • جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير • وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور • الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾** (سورة فاطر: الآيات: ٣٢/٣٥).

إن من يصطفيه الله تعالى ليكون من حفظة كتابه عليه أن يعلم علم اليقين أن هذا فضل لا يعادله له فضل، ذلك لأنه الفضل الكبير كما جاء التأكيد عليه باسم الإشارة **(ذلك)** الذى يدل على بعد المنزلة والمكانة، وبالضمير **(هو)** الذى يدل على الاختصاص والتفرد، وبالتعريف بأل فى كلمتى الفضل والكبير، وهى تفيد فى هذا المقام الدلالة على بلوغ درجة الكمال فيهما، كما قال سبحانه: **﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾**.

ثم جاء تفصيل محتوى هذا الفضل الكبير فهم يدخلون **﴿جنات عدن يدخلونها﴾** وهم يحلون ويزينون فيها بكل ألوان الزينة المصنوعة من الذهب واللؤلؤ **﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا﴾** وهم يلبسون فاخر الثياب المصنوعة من الحرير **﴿ولباسهم فيها حرير﴾**.

إن هؤلاء المكرمين من حفظة القرآن الكريم حين ينعمون بهذا النعيم لا يملكون إلا أن يتوجهوا بالشكر لله رب العالمين على ما أنعم عليهم به من نعم لا تعد ولا تحصى، والذى أذهب عنهم مشاعر الحزن التى كان يمكن أن تحل بهم لو لم يجدوا هذا الفضل من رب العالمين وأكرم الأكرمين **﴿وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور • الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولايمسنا فيها لغوب﴾**.

إن هذه الآيات الكريمة تحدثنا عن وعد من الله عز وجل ينتظر هؤلاء الحفظة الذين اصطفاهم من بين خلقه لوراثة كتابه وهو وعد سوف يتحقق فى المستقبل حين يلقون ربهم عز وجل فى الآخرة، ومن هنا جاء التعبير عن ذلك بفعل المضارع الذى يدل على الحدوث فى المستقبل فى هذا المقام، وهذا الفعل نراه فى **(يدخلونها - يحلون)** فى قوله تعالى: **﴿جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا﴾**.

والمجىء بالفعل المضارع على هذا النحو هو الذى يقتضيه السياق ما دام الإخبار عن أمر سوف يحدث فى المستقبل، ومن ذلك فإننا نرى أن الإخبار عن الحمد والثناء الذى تلهج به ألسنة هؤلاء المكرمين جاء من خلال التعبير بصيغة الماضى التى تدل على الوقوع فى الزمن الماضى، وذلك فى قوله تعالى: **﴿وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾** مع أن المقام يجعلنا نتوقع أن يكون الفعل هو **(ويقولون)** لأننا فى مقام الحديث عن أمور تتعلق بالمستقبل فى الآخرة.

وهنا تحاول النظرة البيانية الكشف عن السر وراء العدول عن صيغة الفعل المضارع المتوقعة (ويقولون) إلى صيغة الفعل الماضى التى جاءت عليها الآية الكريمة **﴿وقالوا﴾** إن التعبير بصيغة الفعل الماضى ينقل السامع والتالى لآيات القرآن الكريم نقلا شعوريًا إلى الآخرة، يرى من خلاله هذا الثواب العظيم الذى كوفئ به حفظة القرآن الكريم ويجعله كأنه قد سمع ما نطق به هؤلاء الحفاظ من شكر لله تعالى على ما أكرمهم به من ثواب عظيم حسى بدت مظاهره فى الزينة واللباس ومن ثواب آخر معنوى شعروا به فى قلوبهم التى حلّ فيها الأمن والسلام والاطمئنان، وخلت من مشاعر

الحزن والنصب واللغوب. إن التعبير بصيغة الماضى حينئذ له دلالته العظيمة لمن يسمع هذه الآيات ولمن يتلوها، وذلك من خلال المسارعة إلى حفظ كتاب الله عز وجل، حتى يكون هذا الحافظ من الذين اصطفاهم الله تعالى واختارهم، وهو اصطفاء واختيار ينال به الإنسان الشرف العظيم فى الدنيا والآخرة.

(٩١) ومن هذه المشاهد التى تنقل ما يحدث فى المستقبل يوم القيامة ذلك المشهد الذى يحدثنا عن ثواب المتقين فى الآخرة وقد تعددت هذه المشاهد فى القرآن الكريم، ومنها ما جاء فى قول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ • فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ • كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ • يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ • لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ • فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (سورة الدخان: الآيات: ٥١-٥٧).

إن هؤلاء المتقين الذين اتقوا ربهم عز وجل حق تقاته أعد الله تعالى لهم هذا الثواب العظيم فى الآخرة، وهو الثواب المتمثل فى المقام الطيب الأمين فى جنات النعيم التى تتفجر فيها عيون المسك التى يشرب منها المقربون ﴿**فى مقام أمين • فى جنات وعيون**﴾ وهم يلبسون ما تقر به عيونهم من فاخر الثياب التى يراها الواحد منهم فى نفسه، ويراها أيضا فى غيره ممن ينظر إليهم ﴿**يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين**﴾ وكذلك فإن من ثوابهم أن يزوجوا بالحور العين ذوات الجمال الخلاب) ﴿**كذلك وزوجناهم بحور عين**﴾، ومما يكتمل به هذا النعيم أن يأكلوا ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين دون أن يتوقعوا له نفادا وانتهاء ﴿**يدعون فيها بكل فاكهة آمنين**﴾. وهذا النعيم كله بمفرداته هو جزء من

أعد الله للمتقين الذين يتقونه حق تقاته ثوابًا عظيمًا يتمثل فى المقام الطيب الأمين فى جنات النعيم

النعيم الحسى الذى ينعم به المتقون فى الآخرة. ولكن إلى جانب هذا النعيم الحسى نعيم آخر معنوى يتحقق من خلال شعورهم بأن هذا النعيم نعيم أبدى؛ لأنهم مخلدون فى الجنة ولن يموتوا فيها كما ماتوا فى الدنيا الفانية ﴿**لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى**﴾، هذا فضلا عن كونهم قد نجوا بهذا النعيم من عذاب الجحيم ﴿**ووقاهم عذاب الجحيم**﴾.

إن هذا النعيم العظيم الذى ينعم به المتقون هو فضل ليس بعده فضل، لأنه فضل من رب العالمين وأكرم الأكرمين سبحانه وتعالى ولذلك فإنه الفوز العظيم الذى يستحق وحده الوصف بذلك ﴿**فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم**﴾.

إن التعبير فى الآيات الكريمة عن هذا الثواب الذى ينتظر المتقين جاء فى أغلبه بصيغة الفعل المضارع؛ لأنه الأصل فى السياق لأن ذلك سوف يحدث فى المستقبل فى الآخرة، وقد رأينا ذلك فى الأفعال (**يلبسون - يدعون - لا يذوقون**) ومع ذلك فقد رأينا أن التعبير عن بعض أجزاء هذا الثواب جاء بصيغة الفعل الماضى، وذلك فى (**زوجناهم - وقاهم**) وكان السياق المتوقع (**نزوجهم - لنقيهم**) فما السر من وراء العدول عن صيغة الفعل المضارع المتوقعة إلى صيغة الفعل الماضى التى معنا فى ﴿**وزوجناهم بحور عين**﴾ وفى ﴿**ووقاهم عذاب الجحيم**﴾.

إن النظرة البيانية ترى أن التعبير بصيغة الفعل الماضى فى ﴿زوجناهم﴾ له دلالته التى تنفى ما قد يدور فى الأذهان من عدم توقع المتقين أن يكون من النعيم فى الآخرة ما يتعلق بالمتعة الحسية مع النساء، أو أنهم يرون أنه من الأدب مع الله تعالى أن لا يطلبوا شيئا من ذلك، فجاء الرد على هذه الخواطر من خلال صيغة الماضى التى أفادت تحقق ذلك لهم تحققا مؤكدا كأنه قد حدث وحصل، ولذلك جاء هذا الفعل مسبوقا بقوله تعالى: ﴿كذلك﴾ التى تعنى أنه سوف يكون مع هذا النعيم المذكور نعيم غير متوقع عند المتقين، فعليهم أن يعلموا أن التزوج بالحور العين أمر واقع لا شك فيه، وأيضا فإن على السامع والتالى لكتاب الله تعالى أن يعلم أن هذا التزوج سابق على مفردات هذا النعيم المذكورة فى صدر الآيات.

أما التعبير بصيغة الماضى فى ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾ بدلا من صيغة الفعل المضارع المتوقعة ﴿ويقيهم﴾ فإن فيه إفادة التأكيد على أن ذلك النعيم هو الدليل على أنهم قد نجوا من عذاب الجحيم، ولما كانت النجاة قد تحققت ضمنا مع التنعيم بهذا النعيم، فإن الإخبار عن ذلك بصيغة الماضى هو الأنسب فى هذا المقام ..

وإلى جانب هذه النظرة البيانية التى وقفت عند صيغة الفعل الماضى فإننا نضيف إلى ذلك ما نراه من تعظيم هذا النعيم المذكور من خلال صيغة التنكير فى **(فضلا)** وفى الإشارة باسم الإشارة للبعيد **(ذلك)** الذى يدل على علو المنزلة، وفى التعريف بأل فى **(الفوز العظيم)** التى تدل على كمال الغاية فى هذا الفوز العظيم الذى أعد للمتقين..

(٩٢) ويتفق مع هذا المشهد الذى يبين ثواب المتقين فى الآخرة ذلك المشهد الذى جاء فى هذه الآيات فى قول الله عز وجل: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ • فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ • كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾** (سورة الطور: الآيات: ١٧-٢٠) وهو مشهد جاء التعبير عنه بصيغة الماضى وحدها التى أفادت تحقق حصول هذا الثواب الذى أثيب به المتقون، مع أن الآيات فى الحقيقة تخبر عن ثواب سوف يناله المتقون فى الآخرة التى لم تأت بعد، وقد رأينا ذلك فى الفعلين **(آتاهم - وقاهم)** فى ﴿**فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم**﴾ وفى الفعل ﴿**زوجناهم**﴾ فى ﴿**وزوجناهم بحور عين**﴾.

فلماذا كان العدول عن الفعل المتوقع فى هذا المقام، وهو الفعل الذى يدل على الاستقبال **(يؤتيهم - يقيهم - نزوجهم)** إلى صيغة الفعل الماضى التى رأيناها؟

إن الإجابة عن ذلك نقف عليها إذا عرفنا أن الحديث عن ثواب المتقين جاء بعد الحديث عن الكافرين الذين يكذبون بيوم الدين، وهو الحديث الذى جاء فى قوله تعالى قبل آيات المتقين: **﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ • الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ • يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا • هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ • أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ • اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** (سورة الطور: الآيات: ١١-١٦).

إن الحديث عن هؤلاء المكذبين الذين يكذبون باليوم الآخر ومافيه من عقاب ينتظرهم هو الذى اقتضى الحديث عن ثواب المتقين حديثا يفيد الوقوع والحصول - إسعاداً لهؤلاء المتقين بهذا النعيم، وتبكيتا وإغاظة لأولئك المكذبين وزيادة فى حسرتهم التى عجلت لهم وهم فى دنياهم من خلال نقل مشاعرهم إلى الآخرة التى ترى المتقين يحظون بما أنعم به عليهم رب العالمين سبحانه وتعالى.

شبهات حول وقوع اللحن في القرآن الكريم

د. محمد السيد على بلاسى

هناك روايات أثارها بعض المغرضين؛ اتخذوا منها دليلا على وقوع «اللحن» فى القرآن الكريم، ووسيلة إلى الطعن فى كتاب الله، وقد استندوا فيها إلى روايات: منها واحدة تنسب إلى سعيد بن جبير فى قوله: «إن فى القرآن أربعة لحون: ﴿الصابئون﴾، ﴿المقيمون﴾، ﴿فأصدق وأكن﴾، ﴿إن هذان لساحران﴾[1].

ولو عرضنا هذه الكلمات التى تمثل قراءة حفص عن عاصم، والتى يتوهم مخالفتها لمقياس العربية - لوجدنا أن النحاة القدامى قد وجدوا لها تخريجات نحوية صحيحة من لسان العرب يقتضيها السياق، نجملها فيما يلى وبإيجاز شديد:

فقوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (سورة النساء الآية ١٦٢)، بنصب ﴿الْمُقِيمِينَ﴾، فهو منصوب على المدح[2]؛ لبيان فضل الصلاة[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ (سورة المائدة الآية ٦٩). برفع ﴿الصَّابِئُونَ﴾ على الابتداء، وخبرها محذوف تقديره: مؤمنون أو أشد إيمانا.

وهو ما قاله سيبويه وجميع البصريين من أن: النيّة فيه التأخير عما فى حيّز: إنّ من اسمها وخبرها[4].

وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ (سورة طه الآية ٦٣)، وهى قراءة الجميع عدا أبى عمرو بن العلاء، فقد قرأها ﴿إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ﴾، فلا إشكال فى قراءته، وحجة الجميع: أنهم وجدوها مكتوبة هكذا فى المصحف العثمانى بتخفيف ﴿إِنْ﴾، وفيهم من قرأها بتضعيف ﴿إِنَّ﴾؛ وللنحاة أقوال كثيرة فيها:

فمنهم من ردّها إلى اللهجات، ومنهم من تأول لها بما يوافقها من أوجه النحو.

قال المبرد: وأحسن ما قيل فى هذا: أن يجعل (إنّ) بمعنى نعم، أى: (نعم هذان لساحران)، ومنهم من يجعل (إنّ) لغة لبعض العرب،

فيقولون: ﴿إِنّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾، فيلزمون المثنى الألف فى حالات الإعراب الثلاث، كقول الشاعر:

إن أباها وأبا (أباها)

قد بلغا فى المجد (غايتاها)

وهى لغة: كنانة وبلحارث بن كعب وخثعم ومراد وزبيد، فالتثنية عندهم أبدا(٥).

أما قوله تعالى: ﴿رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة المنافقون الآية ١٠) بجزم (أَكُنْ) والجزم على موضع (فَأَصَّدَّقَ)، كأنه قال: (إن أخرتنى أصدق وأكن)، بتقدير أسلوب شرط، وجاء جوابه مجزوما ثم عطف عليه(٦).

مما سبق يتضح لنا: دحض شبهات المغرضين حول وقوع اللحن فى القرآن الكريم، وأن ما نُسب إلى سعيد بن جبير فى قوله: «إن فى القرآن أربعة لحون...» - إن صح الخبر -، اللحن فيه: بمعنى «اللغة»، تقول: لحن أبى بن كعب، أى: لغة أبى(٧).

هذا؛ فى الوقت الذى رد فيه علماء القراءات والنحو على هذه الشبهات - كما سبق أن وضحنا.

ويؤكده أن هذه الأخبار رويت بعدة طرق مختلفة، تؤدى إلى ضعفها فى الغالب، ولو صحت هذه الأخبار لما كان يعقل أن يرى عثمان رضي الله عنه لحنا، ثم يتركه ليتولى من يأتى بعده تغييره. ولو كان فيه لحن لا يجوز فى كلام العرب جميعا؛ لما استجاز أن يبعث به إلى قوم يقرؤونه!.(٨)

قراءة حفص عن عاصم التى يتوهم مخالفتها لمقياس العربية وجدلها النحاة القدامى تخريجات نحوية صحيحة من لسان العرب

الهوامش

(١) ينظر: المصاحف: للسجستانى/ ص ٣٢، صححه د. أرثر جفرى، الطبعة الأولى - الرحمانية بمصر، سنة ١٩٣٦م. وأضواء على تاريخ القراءات القرآنية واللهجات العربية من خلال مباحث لغوية فلسفية: د. رفيق حسن الحليمى، ص ٩٤ وما بعدها، الطبعة الأولى - مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت، سنة ١٤٢٨هـ.

(٢) رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبى، ص ١١١، ط مكتبة نهضة مصر بالفجالة، سنة ١٩٦٠م.

(٣) تفسير النسفى: ٢٦٣/١، ط دار الكتاب العربى بيروت، د. ت.

(٤) ينظر: أضواد على تاريخ القراءات القرآنية واللهجات العربية: ص ٩٦. ورسم المصحف: ص ١١١، وتفسير النسفى: ٢٩٣/١، وفهرس شواهد سيبويه: أحمد راتب النفاخ، ص ٢٠، الطبعة الأولى - دار الأمانة، سنة ١٩٧٠.

(٥) أضواء على تاريخ القراءات القرآنية واللهجات العربية: ص ٩٦، ٩٧. وينظر: تفسير النسفى: ٥٧/٣. وشذور الذهب: لابن هشام، ص ٤٦، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة العاشرة - السعادة بمصر، سنة ١٩٦٥م.

(٦) ينظر: أضواء على تاريخ القراءات القرآنية واللهجات العربية: ص ٩٦. وتفسير النسفى ٢٦٠/٤.

(٧) يراجع: رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات: ص ١١٠. والمصاحف: ص ٣٢.

(٨) أضواء على تاريخ القراءات القرآنية واللهجات العربية: ص ٩٥. وينظر: رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات: ص ١١٣. والمصاحف: ص ٣٢.

في ذكرى الإسراء والمعراج:

«في الإسْراء تسْريَةٌ وجَزاءٌ على الصبرِ والصمود»

عبد الغنى أحمد ناجى

سُبحانه من أسْرى بِخيرِ المرسلينْ ⁖ أسْرى به فى صُحبةِ الروحِ الأمينْ
بعدَ الأذى ينصبُّ من أعدائهِ ⁖ بعد اضطهادِ الكفرِ والمتجبِّرينْ
مِن بعدِ ما لَقيتْ خديجةُ ربَّها ⁖ ومَضى الحِمامُ بعمِّهِ فى الراحلين
يأتى جزاءُ الله فوقَ تصوُّرٍ ⁖ يسْرى به فى الليلِ ربُّ العالمينْ
كانا له نِعمَ الحمايةُ مِن أذى ⁖ كانا له بحياتهِ الحِصنَ الحصينْ

* * *

رَكبَ البراقَ إلى المباركِ حولَهُ ⁖ لِيَؤُمَّ جمعَ الأنبياءِ المرسَلينْ
فالمسْجدُ الأقصى غدَا للمسْلميـ ⁖ ـن مقدَّسًا ومعظَّمًا عبْرَ السّنين
فله الحمايةُ والرعايةُ والفِدا ⁖ فإذا استغاثَ فكلُّنا مُهجٌ تَصون
منه العروجُ: عروجُ أكرمِ مُرسَلٍ ⁖ فوقَ العُلا حتى يرى العرشَ المكين
معه الأمينُ يُجيبُ عند تساؤلٍ ⁖ فمَشاهدُ المعراجِ معجزةُ القُرون
فيها الجزاء مُمثَّلاً للمذنبيـ ⁖ ـنَ عَساهمو ينأونَ عن ذنب مُهين
فيها لقاءُ الأنبياءِ إشارةٌ ⁖ لتوحُّدِ الأديانِ فى نَسَقٍ مُبين
توحيدُ ربِّ الكونِ ذروتُها التى ⁖ مِن حولها، وبها يعيشُ المتَّقون
حتى الصلاةُ سُموُّها مِنْ فرضِها ⁖ عند العروجِ حفاوةً للطائعين
للروحِ معراجٌ، وحِصنُ نفوسِنا ⁖ من مُنكرٍ، أو نزغِ شيطانٍ لَعين

* * *

مِن رحلةِ الأنوارِ يَرجِعُ أحمدٌ ⁖ لِيقولَ عمَّ قد رأى رأيَ العُيون
فيطيشُ عقلُ المشركين لقوله ⁖ ويُصدِّقُ الإخبارَ عقلُ المؤمنينْ
نجحَ الأُلى قد صدقوا خبرَ الرسو ⁖ لِ محمدٍ، مِن غيرِ شكٍّ أو ظنون
إنَّ الذى أسْرى بهِ هو ربُّهُ ⁖ هو مَن برَا الإنسانَ من ماءٍ وطين

* * *

مسْرى الرسولِ نداؤُه فى سَمعِنا ⁖ هو يسْتغيثُ من الطغاةِ المفْسدين
هلا نجيبُ نداءَه بشَهامةٍ ⁖ حتَّى نفكَّ إسَارَهُ مِن غاصبينْ؟!!
هو قِبلَةٌ أولى لنا يا قومَنا ⁖ مِثلُ العتيقِ بمكَّةٍ للمسْلمين

من وحي المناسبة

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله﴾

(سورة الإسراء الآية ١)

- دروس مستفادة من رحلة الإسراء والمعراج
- الإسراء والمعراج بالجسد والروح معاً
- منبر الجمعة :

  تأملات فى حادثة الإسراء والمعراج
- الإسراء والمعراج .. ورسائل تذكير
- بيت المقدس بين جور الغاصبين وعدل المسلمين
- رحلة الغيوب ..

  الإسراء والمعراج على صاحبهما أفضل الصلاة والسلام (شعر)

دروس مستفادة من رحلة الإسراء والمعراج

فضيلة الشيخ / محمد عبد المجيد زيدان

إن رحلة الإسراء والمعراج من أشهر المعجزات والبراهين البينات، ومن أعظم الآيات وأتم الدلالات على تخصيصه ﷺ بعموم الكرامات، لما اشتملت عليه من الأمور الخارقة للعادة التى تقصر العقول عن إدراك مثلها، وقد خلد الله سبحانه هذه الذكرى العطرة فى كتابه فقال: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ (سورة الإسراء الآية: ١)، وخلد ذكرى المعراج فى قوله: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى • عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى • عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى • إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى • مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى • لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾ (سورة النجم الآيات: ١٣ - ١٨)، والمسلمون إذ يحتفلون بهذه الذكرى لا يحتفلون بها على أنها حدث تاريخى مجيد مضى وانتهى بانتهاء الحدث أو أنها معجزة وقعت للنبى الكريم ﷺ فأظهرت ما له من الفضل والتكريم والتشريف، ولكن لأن حدث الإسراء والمعراج أوسع وأعم من كل ذلك فهو بحر زاخر بالدروس النافعة والعظات المنجية والحكم البالغة حيث تحمل هذه الرحلة المباركة البشائر العملية بدخول الناس فى دين الله أفواجًا، فلقد أزالت عوامل الأسف وكوامن الحزن والأسى التى طالما ساورت الرسول الكريم ﷺ، حيث كان المجتمع المكى غير كريم فى معاملة رسول الله ﷺ وكان شديد الأذى للمؤمنين ليفتنهم عن دينهم بشتى وسائل التعذيب ومختلف الأساليب، وقد أرهقه ﷺ دوام التفكير فى عماية قومه وضلالهم وقسوة قلوبهم ومجافاتهم لما يراد لهم من عز الدنيا وسعادة الآخرة؛ حيث كان يحرص الحرص كله على هدايتهم وكان يحزنه كثيرًا انحراف القوم عن طريق الهداية حتى قال له ربه: ﴿**فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**﴾ (سورة فاطر الآية: ٨)، وقال له أيضًا: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾ (سورة الكهف الآية: ٦).

إذن فحزنه ﷺ كان مرتبطًا بما أحاط مستقبل الدعوة من غموض مع ذبول زهرة الأمل فى قرب إسلام قريش، والحكمة الأساسية من هذه الرحلة المباركة جاءت فى قوله تعالى: **لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا** (سورة الإسراء الآية: ١)، وقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾ (سورة النجم الآية: ١٨) فالآيات الكبرى مجالها مخاطبة العقول فهو عمل علمى يحتاج استعمال فكر ودقة فى التأمل؛ حيث جمع له عجائب الكونين: الكون الأرضى والكون السمائى، وكل ذلك يغرس فى شعور كل مكلف عاقل من بنى آدم، ويوثق ويؤكد فى قلب كل إنسان

من البشر أن الإسلام هو الدين الخاتم، لذا كان من أهم الجوانب المضيئة فى هذه الرحلة المباركة أنها كانت درسًا عمليًا تربويًا مجددًا للطاقات الإيمانية فازدادت نفس النبى الكريم إشراقًا بسببه، نفس تواجه قوى الكفر فى سطوتها وجبروتها بإيمان قوى لا يعرف التردد أو المهادنة، وإن نفسًا رأت من العجائب والغرائب فى هذا الملكوت لقادرة على تحمل مسئوليتها ورفع راية الحق حتى يقهر الباطل فى عقر داره، حيث إن رؤية الآيات الكبرى تقوية وتثبيت للإيمان ليصبح إيمانا بالدليل المؤسس على المشاهدة والاطلاع؛ لأن الله سبحانه عندما يهيئ لرسله فرصة المشاهدة العينية يملأ قلوبهم أمنا وإيمانا ويسلحهم بالعزيمة، فهو سبحانه لم يرسل موسى إلى فرعون إلا بعد أن أراه غرائب وعجائب قدرته، إذ أمره أن يلقى عصاه فقال سبحانه: ﴿**قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى • فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى • قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى • وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى • لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى**﴾ (سورة طه الآيات: ١٩- ٢٣)، فلما ملأ الله قلبه إيمانًا طالبه مولاه: ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾ (سورة طه الآية: ٢٤)، ورسولنا ﷺ رأى قدرة الله المقتدرة ورأى عظمته فى مخلوقاته، فعاد مطمئنًا إلى نصر الله وقدرته، عاد مسلحًا بأقوى عزم متجهزًا لرحلة الهجرة ورفع راية الجهاد؛ لهذا كانت السنوات التى تلت الإسراء سنوات أمجاد للإسلام؛ حيث تم فتح مكة وانطلقت كتائب الإيمان تنشر الإسلام وتحرر الجزيرة العربية من عبادة الأصنام ومن سيطرة الفرس والرومان. ولقد كان فى هذه الرحلة المباركة درس تحذيرى لهذه الأمة: ذلك عندما تقرأ الآية الأولى من سورة الإسراء تجد

رؤية الآيات الكبرى تقوية وتثبيت للإيمان ليصبح إيمانًا بالدليل المؤسس على المشاهدة والاطلاع

الآية الثانية من سورة الإسراء تسرد قصة موسى عليه السلام والتوراة ومراوغات بنى إسرائيل، قال تعالى: ﴿**وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا • ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا • وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا • فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا • ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا • إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا • عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا**﴾ (سورة الإسراء الآيات: ٢ - ٨).

ظاهر هذه الآيات أنها تتحدث عن أحوال بنى إسرائيل ولكنها - والله أعلم - تعنينا، فهى تقول لنا - نحن المسلمين - إنكم ورثتم بنى إسرائيل فى الدين والملك فقد كانوا على دين فضلهم الله على العالمين وكان لهم الملك الذى بلغ الذروة فى عهد داود وسليمان عليهما السلام وحفظه الله لهم لما استقاموا على الطريق، فلما ضلوا السبيل وخانوا أمانة الشرع وأمضوا فى الفساد رفع الله عنهم رعايته وحمايته فهانوا عند الأمم وقهروا بالإذلال على يد الغير، ورماهم ربهم بعباد أولى بأس شديد من البابليين والفراعنة والفرس والروم، فرقوا شملهم وقوضوا دولتهم، فالحذر الحذر أن تكونوا

أيها المسلمون على شاكلتهم فيصيبكم ما أصابهم، وسنته مستمرة تقهر أعداء الله بعدالة لا تحابى أحدًا والله سبحانه يقول: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ (سورة آل عمران الآية: ١٣٧).

إن هذه الرحلة المباركة كانت درسًا له الأثر الكبير فى نفس الرسول ﷺ وأصحابه وفى مستقبل هذه الأمة، أما الرسول ﷺ فقد استيقن بتكريم الله له وأنه لن يتخلى عن نصره وتأييده، وأما الصحابة فقد كان هذا الحادث الخطير امتحانًا فاز فيه من أراد الله له السعادة فثبت على الحق وصدق بأخبار السماء، لقد جرى لرسول الله ﷺ استقبال حافل حضره جميع الأنبياء والمرسلين حيث أسلموا له الراية وأقام فيهم عليه الصلاة والسلام مقام الإمام فى رحاب المسجد الأقصى المبارك حيث تحقق ميثاق الله المأخوذ على النبيين منذ بدء الخليقة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٨١)، وهكذا تم نقل الأمر كله من بيت إسرائيل إلى بيت إسماعيل جد رسول الله ﷺ وأصبح الإسلام هو الدين الوارث. نعم إن هذه الرحلة ربطت بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى الرسول الخاتم محمد ﷺ، كما ربطت بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعًا، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾ (سورة الفتح الآية: ٢٨)، فأمارات رحلة الإسراء المباركة قررت وحدة الديانات السماوية وأن الإسلام قد حوى كل حقائق الرسالات السابقة وهو الدين العام الصالح المصلح لكل زمان ومكان.

أما مشاهد المعراج فقد احتوت على السلوك العملى الذى يجب وينبغى أن يكون عليه المسلم والمسلمة، وبهذا السلوك نستطيع أن نقيم المجتمع الإسلامى المتماسك الطاهر من الانحلال والمحفوظ من عوامل التفكك. فالأمة قد سعدت فى رحلة المعراج بفريضة الصلاة التى هى قرة عين الأنبياء وهى معراج الصالحين تدنيهم من ربهم وتصلهم بخالقهم. قال تعالى: ﴿**وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب**﴾ (سورة العلق الآية: ١٩)، وهى الفريضة الوحيدة التى فرضت فى السماء بدون واسطة فلا يجوز التهاون فيها؛ لأنها عماد الدين ومفرجة لكل غم وهم، فانظر كيف صورت معجزة المعراج حالة المتثاقلين عنها جاء فى الحديث: «**ثم أتى الرسول ﷺ على قوم ترضخ رءوسهم كلما رضخت ترجع كما كانت فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة**»، كذلك الذين لا يؤدون زكاة أموالهم جاء فى الحديث: «**ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم، ويأكلون الضريع والزقوم - رضف جهنم وحجارتها - فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيئا**»، وتصور رحلة المعراج الزناة فى صورة كريهة لإنسان لا عقل له ولا يميز بين الطيب والخبيث ولا يحفظ إنسانيته كإنسان فتقول: «**ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدورهم ولحم آخر نيئ وخبيث فجعلوا يأكلون من النيئ الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ﷺ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتى امرأة خبيثة، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيبًا فتأتى رجلاً خبيثًا فتبيت معه حتى تصبح**»، وأخبر الرسول ﷺ أنه فى معراجه مر على قوم يزرعون ويحصدون كل

يوم كلما حصدوا عاد زرعهم كما كان فسأل جبريل فأخبره أن هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم حسناتهم.

نأخذ من هنا أن الرسول الكريم بين أن المعانى تتجسم، فمعانى الخير تتجسم نموًا وزيادة، ومعانى الشر تتمثل عذابًا وبلاء، وأن أعمالنا تأخذ عند الله أشكالاً وتتجسد صورًا قائمة، فالعمل الطيب يأخذ صورة حية مرئية تسر الناظرين، والعمل السيئ يصبح صورة بشعة قبيحة، والرسول ﷺ بين لنا هذه الرموز التى تمثل معانى للحق والباطل؛ ليغرينا بالحق وينفرنا من الباطل لأننا لو أخذنا أنفسنا بتجسيم ما نعمل لتركنا الكثير من شرور أنفسنا وتمسكنا بخيار أعمالنا وهذا التجسيد وقع فى الأرض، فقد أخبروا رسول الله ﷺ عن امرأتين أجهدهما الصوم حتى أعيتا فطلبهما وأمرهما أن يقيآ ما فى جوفهما فقاءتا لحمًا عبيطا ودمًا فأخبر الرسول ﷺ أن هذا لحم الغيبة: **﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾** (سورة الحجرات الآية: ١٢).

إن هذه المشاهد تعالج الكثير من الأمراض الاجتماعية فإشغال الطريق الذى يمثل فى حياتنا مشكلة اجتماعية جاء فى الحديث: «**ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا مزقته، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه**». كما تصور آكل الربا وحالته فيقول الحديث: «**فقد مر ﷺ على قوم بطونهم أمثال البيوت لضخامتها كلما نهض أحدهم خرّ، فقال النبى ﷺ: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هم آكلوا الربا**». كما تدعوا هذه المشاهد إلى حفظ حقوق الغير فتظهر صورة أكلة أموال اليتامى يقول الحديث: «**فقد مرّ ﷺ على قوم مشارفهم كالإبل يلتقمون حجرًا فيخرج من أسفالهم فقال النبى ﷺ: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلمًا**».

إن هذه المرائى تريد من المسلم أن يسلك الطريق القويم فى أقواله وأفعاله وسيره وسلوكه وأن يحفظ لسانه فلا ينطق قولاً فى غير محله فقد جاء فى الحديث: «**وأتى ﷺ على ثقب صغير يخرج منه ثور عظيم يريد أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها**»، «**وأتى ﷺ على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يزيد عليها**».

هذه بعض جوانب من صور تضمنتها معجزة المعراج التى نتذكرها والتى تهدف بهذه الصور إلى سعادة المسلم فإذا ما ترك ما نهى الله عنه سعد فى دنياه وفاز فى أخراه. وبهذا يتبين بأن رحلة الإسراء والمعراج وما فيها من أحداث ومشاهد تمثل منهج حياة للمسلم من كافة جوانبها العقائدية والخلقية والاجتماعية، وعلى السادة الدعاة تقديم التفسيرات المعاصرة والمجددة لروح الإيمان والإسلام وأن يجعلوا من الدين دافعًا للتقدم حتى لا يعطوا الفرصة للعابثين والمضللين والمتطرفين، وأن يوظفوا دروس رحلة الإسراء والمعراج لإنهاض المجتمع والأمة، فبالكلمة الصادقة التى هى مشحون فكرى وثقافى ومعرفى يمكنكم أن تخرصوا هؤلاء العابثين والمتطرفين.

إننا نؤمن بقدرة هذه الأمة على أن تستعيد عافيتها وأن تتجاوز محنتها التى طالت كثيرًا مما ينبغى وأفرزت من أحاسيس اليأس والإحباط ما

يفوق طاقات الأمل والتفاؤل، ولكن لا يأس مع الإيمان فلا خوف من بطش الأعداء ما دام المسلمون فى حصن حصين من طاعتهم لله، فمهما كان لدى أعدائهم من قوة فقوة الله أكبر ومهما كان لدى الأعداء من كيد ومكر فالله خير الماكرين وهو سبحانه وتعالى يقول وقوله الحق فى قرآنه المجيد: **﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ﴾** (سورة الأنفال الآية ٥٩). ويقول: **﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾** (سورة الأنعام الآية ١٣٤)، ويقول: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾** (سورة فاطر الآية ٤٤). ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **«لقد كنا أذل الناس فأعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العز فى غير ما أعزنا به الله صرنا أذل الناس»**.. ولله در القائل:

وآلمنى وآلم كل حر

سؤال الدهر أين المسلمون

ترى هل يرجع الماضى فإنى

أذوب لذلك الماضى حنينا

وبهذه الوسائل الفعالة لا ينبغى لأمة الإسلام أن تيأس من النصر فكم من أمم بغت وطغت فأصبحت فى الغابرين وأورث الله أرضها وديارها لقوم آخرين، كم من أمة اتخذت الظلم لها شعاراً واعتدت على غيرها ظلماً وعدواناً وتاهت بذلك افتخاراً فحطم الله كبرياءها وسلط عليها من يذيقها الهوان ويودى بها فى هاوية الخسران.

فعلى الأمة أن تنتبه لمؤامرات أعدائها وأن تستعد لهم بكل طاقاتها بقوة الإيمان وصحة الأبدان وسلامة الخلق وحسن الاستعداد، تصنع سلاحها بيدها تنتج قوتها من أرضها، شعبها قوى فى اتحاده قوى فى استعداده، تأخذ بأسباب العلم النافع والتكنولوجيا الحديثة، وهذا هو ما دعانا إليه رب العزة عقب حديثه عن شر دواب الأرض وهم اليهود الصهاينة الذين احتلوا الأرض والمقدسات وارتكبوا كل المخالفات الدولية أمام صمت دولى مريب وهذا عيب فى حق الدول الكبرى وفى ساساتها ومثقفيها أن تغل أيديهم وأن تصمت ألسنتهم متبعين سياسة التعمية والتضليل والخداع لإبراء ذمة هؤلاء القتلة وهذا أمر يتنافى مع أبسط القيم الإنسانية والقوانين الدولية التى يتشدقون بها باسم حقوق الإنسان، لكل هذا وغيره أمرنا الله بالاعتماد عليه وحده وبتنفيذ أمره فى قوله: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾** (سورة الأنفال الآية: ٦٠)، ويرحم الله عمر بن الخطاب حيث قال: **«من أراد أن ينظر إلى قطعة من الجنة فلينظر إلى الأقصى»** وهل يوجد على الأرض مسلم يكره أن ينظر إلى الجنة؟ هذا مثل من ينظر إلى الأقصى فما بالك بمن يزور الأقصى ويصلى فيه؟!

أى حل لا يؤمّن للقدس إسلاميتها وعروبتها لا حظ له من القبول

إن أى حل لا يؤمّن للقدس إسلاميتها وعروبتها لا حظ له من القبول، والقدس هى خزانة التاريخ تكتنز سير المرسلين، وهى أرض المحشر والمنشر فهى تاريخ يروى للتاريخ فهل من فاتح لينشر الأمن والسلام والإسلام ويحفظ هذه المدينة المقدسة من دنس العابثين؟!

اللهم اجعل من ذكرى الإسراء والمعراج باعث خير وهادى بركة ومشعل هداية وطريق عز ونصر للمسلمين.

الإسراء والمعراج بالجسد والروح معا

د. سالم عبد الجليل

الإسراء والمعراج آيتان من أعظم آيات النبوة، اختص الله بهما عبده محمدًا صلى الله عليه وسلم من دون سائر الأنبياء عليهم السلام، وأمره أن يصلى بهم فى بيت المقدس، موطن النبوات الأولى، وأمرهم أن يقتدوا به، تشريفًا لقدره وتعظيمًا ؛ ولذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم : **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى»** وإشارة إلى عموم بعثته، كما قال الله - تعالى - فى كتابه الكريم: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾** (سبأ : ٢٨) وتعليمًا لأممهم وأتباعهم أن يؤمنوا به ويصدقوه ويقتدوا به كما اقتدى أئمتهم الأنبياء، ودخلت إمامتهم فى إمامته إلى يوم القيامة، فهو إمام الأئمة، وهو الإمام الأعظم، فمن آمن به من أتباع الأنبياء فقد آمن بهم، ومن لم يؤمن به فلم يؤمن بواحد منهم، ومصداق ذلك قول الله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾** (سورة آل عمران: الآية ٨١)، وقوله ﷺ حين جاءه عمر بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه: «والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعنى).

إن حديث الإسراء والمعراج من الأحاديث الثابتة الصحيحة، وقد جاء بروايات كثيرة متواترة، منها المطول ومنها المختصر، ألفاظه مختلفة، وكلها تدل فى مجموعها على صحة هذه الحادثة وعلى ثبوتها التاريخى.

قال الشيخ القاضى المحقق أحمد محمد شاكر: «وقد تواترت الروايات فى حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلى وابن مسعود وأبى ذر ومالك بن صعصعة وأبى هريرة وأبى سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبى بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبى حبة وابن ليلى الأنصاريين وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة وأبى أيوب وأبى أمامة وسمرة بن جندب وأبى الحمراء وصهيب الرومى وأم هانئ وعائشة وأسماء ابنتى أبى بكر الصديق، رضى الله عنهم أجمعين، منهم من ساقه بطوله، ومنهم من اختصره على ما وقع فى المسانيد " انظر : مجلة المنار - المجلدات ٣١ - ٣٥ - (٤٩ / ١١).

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما : أن نبى الله صلى الله عليه و سلم حدثهم عن ليلة أسرى به: «بينما أنا فى الحطيم، وربما قال: فى الحجر مضطجعا إذ أتانى آت فقدَّ - قال وسمعته يقول

فشق - ما بين هذه إلى هذه - فقلت للجارود وهو إلى جنبى: ما يعنى به ؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول: من قصه إلى شعرته - فاستخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض - فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس: نعم - يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحبا به فنعم المجىء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح، ثم صعد حتى إذا أتى السماء الثانية فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم صعد بى إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل ومن معك؟ قال: محمد قيل أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت إلى إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى إذا أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ قيل: وقد أرسل إليه قال نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجىء جاء فلما خلصت فإذا هارون قال: هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى إذا أتى السماء السادسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبًا به فنعم المجىء جاء فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح فلما تجاوزت بكى قيل: له ما يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى ثم صعد بى إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه قال: نعم قال: مرحبا به فنعم المجىء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلم عليه قال: فسلمت عليه فرد السلام قال: مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم رفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل؟ قال أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك. ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال هى الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإنى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بما أمرت؟ قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله

التخفيف لأمتك قلت: سألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى» انظر : صحيح البخارى - ٣ / ١٤١٠ .

ومما ورد من الأحاديث الصحيحة ما رواه الإمام أحمد، ومسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «حين أسرى بى لقيت موسى عليه السلام فنعته النبى ﷺ، فإذا رجل مضطرب، رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة، قال : فلقيت عيسى، فنعته النبى ﷺ، فإذا ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس - يعنى حمامًا - قال : ورأيت إبراهيم - صلوات الله عليه - وأنا أشبه ولده به، قال : فأُتيت بإناءين فى أحدهما لبن، وفى الآخر خمر، فقيل لى : خذ أيهما شئت. فأخذت اللبن فشربته، فقال : هديت للفطرة - أو أصبت الفطرة - أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك».

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: «لما كان ليلة أسرى بى وأصبحت بمكة، فظعت بأمرى، وعرفت أن الناس مكذبى، فقعد معتزلاً حزينًا، قال : فمر به عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، وقال له كالمستهزئ: هل كان من شىء؟ فقال رسول ﷺ: نعم. قال: ما هو؟ قال: إنه أسرى بى الليلة. قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! قال: نعم. قال: فلم يُرد أن يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه، قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتنى؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم. فقال: هيا معشر بنى كعب بن لؤى. فانفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما، قال: حدّث قومك بما حدثتنى. فقال رسول الله ﷺ: إنى أسرى بى الليلة. قالوا: إلى أين؟ قلت: إلى بيت المقدس. قالوا: ثم أصبحت بين ظَهْرَانَيْنَا؟!. قال: نعم. قال: فمن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجبًا للكذب قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ وفى القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذهبت أنعت، فما زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت، قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه، حتى وضع دون دار عقال أو عقيل، فنعتُّه وأنا أنظر إليه قبل. فقال القوم : أما النعت، فوالله لقد أصاب».

هذا قليل من كثير مما ورد من الأخبار الصحيحة فى الإسراء والمعراج، وكلها تدل دلالة صريحة واضحة على أن الإسراء والمعراج كانا بشخصه الكريم صلى الله عليه وسلم، بجسده وروحه، ولا يفهم منها سامعها غير ذلك، وقد بدا لبعض المتأولين من المتقدمين والمتأخرين أن يتأولوا كل النصوص، ويفهموا منها أن الإسراء والمعراج كانا بروحه فقط، وزعم بعضهم أن ذلك كان رؤيا فى المنام، ولا تجد لواحد من هذين الفريقين دليلاً يعتمد عليه فى نقل دلالة الأخبار عن ظاهرها وصريحها، وهو مدلولها الحقيقى فى وضع اللغة، فإنما التأول نوع من المجاز الذى لا يصار إليه فى الكلام إلا بدليل أو قرينة واضحة، نعم، قال الشيخ المحقق/ أحمد محمد شاكر: قد تجد حديثين عن عائشة ومعاوية، يفهمان أن الإسراء لم يكن بجسده الشريف، وهما حديثان ليسا مما يحتج بمثلهما أهل العلم بالحديث، وقد رواهما ابن إسحاق فى السيرة، قال : حدثنى بعض آل أبى بكر أن عائشة كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الله أسرى بروحه. وقال : حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبى سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت رؤيا من الله صادقة. قال ابن إسحاق عقيب ذلك : فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن : هذه الآية نزلت فى ذلك، قول الله - عز وجل -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء : ٦٠) ولقول الله - عز وجل - فى الخبر عن إبراهيم عليه السلام، إذ قال لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ﴾ (الصافات : ١٠٢) ثم مضى على ذلك، فعرفت أن الوحى من الله يأتى الأنبياء أيقاظًا ونيامًا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يقول: «تنام عينى وقلبى يقظان» فالله أعلم أى ذلك كان قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله، على أى حاليه كان نائمًا أو

يقظان كل ذلك حق صدق. هذا كلام ابن إسحاق الذى نقله عنه ابن هشام فى تهذيب سيرته، وهو ظاهر فى أن ابن إسحاق لما رأى كلمتى عائشة ومعاوية تردد فى أنه كان فى اليقظة أو فى النوم، ولم يستطع أن يجزم بشىء، ولكنه لم يستطع أيضًا أن ينفى ما دلت عليه الأخبار أن ذلك كان يقظة عيانًا بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم. إن كلمة ابن إسحاق واستدلاله بخبرى عائشة ومعاوية - فى غالب رأينا - هى أول ما نقل عن العلماء المتقدمين من الخلاف فى هذه المسألة، ثم جاء بعد من جَزم بما تردد فيه، واستدلال ابن إسحاق بهذين الخبرين غير جيد، فإنهما خبران ضعيفان ليس لهما إسناد صحيح، وقد أطلت البحث عنهما فلم أجد لهما إسنادًا غير ما ذكر ابن إسحاق، أما خبر معاوية، فإنه منقطع ؛ لأن راويه يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس لم يدرك معاوية، ولم يدرك أحدًا من الصحابة أصلاً، وإنما يروى عن التابعين فقط، ومات سنة ١٢٨هـ، ومعاوية مات سنة ٦٠هـ، وأما حديث عائشة فإنه كما ترون لا إسناد له، لأن قول ابن إسحاق حدثنى بعض آل أبى بكر إيهام للراوي، فلا نعرف منه من الذى حدثه، وهل هو ثقة أو ليس بثقة ؟ وهل أدرك عائشة أو لم يدركها ؟ فكلا الحديثين منقطع الإسناد، مجهول الراوى، لا يحتج بمثله عند أهل العلم " اهـ. مجلة المنار - المجلدات ٣١ - ٣٥ - (٤٩ / ١٥).

فالصواب أن يقال - كما قال الإمام الطبرى - : «إن الله أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما أخبر الله، حمله على البراق حتى أتاه وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه من الآيات، ولا معنى لقول من قال أسرى بروحه دون جسده ؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن فيه ما يوجب أن يكون دليلاً على نبوته ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك كانوا يدفعون به عن صدقه فيه؛ إذ لم يكن منكرًا، ولا على أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم أن يرى الرائى منهم فى المنام على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل.

وبعد.. فإن الله أخبرنا فى كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزًا لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره، ولا دلالة تدل على أن مراد الله من قوله : ﴿**أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾ (الإسراء : ١) أسرى بروح عبده، بل الأدلة الواضحة والأخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أسرى به على دابة يقال لها البراق، ولو كان الإسراء بروحه، لم تكن الروح محمولة على البراق ؛ إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام، إلا أن يقول قائل: إن معنى قولنا أسرى بروحه، رأى فى المنام أنه أسرى بجسده على البراق، فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن جبريل حمله على البراق ؛ لأن ذلك إذا كان منامًا - على قول قائل هذا القول - ولم تكن الروح عنده مما تركب الدواب، ولم يحمل على البراق جسم النبى صلى الله عليه وسلم، لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على قوله حُمل على البراق، لا جسمه ولا شىء منه، وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين، وذلك دفع لظاهر التنزيل وما تتابعت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين" تفسير الطبرى - (١٧ / ٣٥٠).

ونقل بعض المؤلفين عن الحسن بن أبى الحسن البصرى القول بأن الإسراء كان منامًا، وهذا أيضًا نقل خاطئ ؛ فإنه لم يرو عنه هذا القول بأى إسناد، والذى يبدو أن الذين نقلوا عنه هذا القول قرأوا كلام ابن إسحاق وفهموه على غير وجهه ؛ لأنه نقل روايتى عائشة ومعاوية ثم احتج لتأييدهما بأنه لم ينكرهما أحد ؛ لأن الحسن قال : إن قوله تعالى : ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ**﴾ (الإسراء: ٦٠) أنزل فى ذلك، أى الإسراء والمعراج، فهو يريد الاحتجاج بكلمة (الرؤيا) لغلبة استعمالها فيما كان منامًا، وبأنه إذا كانت الآية نزلت فى هذه الحادثة كان ذلك لا ينفى قول من زعم أن الإسراء والمعراج لم يكونا فى اليقظة، ففهم بعض من قرأ قوله أنه ينقل عن

الحسن ما يوافق كلمتى عائشة ومعاوية، وهذا فهم خطأ يظهر خطؤه واضحًا لمن تأمل سياق الكلام ومعناه.

وقوله تعالى: **﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾** (الإسراء : ٦٠) نزل فى شأن الإسراء والمعراج على القول الراجح عند العلماء، ولكن احتجاج ابن إسحاق بذلك لتأييد كلمتى عائشة ومعاوية غير جيد ؛ لأن الرؤيا تستعمل أيضًا فى الرؤية بالعين، ففى لسان العرب : قال ابن برى : وقد جاءت الرؤيا فى اليقظة : قال الراعى:

فكبر للرؤيا وهش فؤاده .·. وبشر نفساً كان قبل يلومها

وعليه فسر قوله تعالى : **﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾** (الإسراء : ٦٠) وعليه قول أبى الطيب :

ورؤياك أحلى فى العيون من الغمض

(مجلة المنار - المجلدات ٣١ - ٣٥ - (٤٩ / ١٦)

ويؤكد هذا ما روى الإمامان أحمد والبخارى وغيرهما عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية : هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس، وليست برؤيا منام، وفى لفظ : شىء أريه النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة، رآه بعينه حين ذُهب به إلى بيت المقدس.

وليس أصرح من هذا نص ولا أقوى منه حجة ؛ لأن ابن عباس - وهو ترجمان القرآن - يفسر به الآية، ويرى أن الإسراء كان فى اليقظة، وينقل - وهو العربى القرشى الهاشمى الفصيح - أن كلمة الرؤيا تكون وهى لغة القرآن بمعنى الرؤية.

لقد أخبرنا الله سبحانه فى كتابه بصريح القول أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أنه عرج به إلى السماوات، وأشار الله سبحانه إلى ذلك فى القرآن، فى قوله تعالى : **﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى • مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى • وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى • إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى • عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى • ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى • وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى • ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى • فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى • فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى • مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى • أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى • وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى • عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى • عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى • إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى • مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى • لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾** (النجم : ١ -١٨).

فليس للمؤمن الذى يؤمن بالغيب مندوحة عن تصديق ما أخبر الله به رسوله وإن عجز عقله عن إدراك حقيقة ما آمن به وكَّل علمه إلى الله سبحانه وتعالى.

إن الذين زعموا أن الإسراء والمعراج كانا بالروح أو منامًا من المعاصرين، إنما يدعون أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن له معجزة غير القرآن، وينكرون كل الأخبار المتواترة فى المعجزات، ويظنون أن الإسراء والمعراج ينافيان ما اصطلحا على تسميته فى هذا العصر (بالعلم) لأن العلوم المادية لم تثبت قدرة الإنسان على نقل الأجسام بمثل هذه الصورة التى حكيت فى حديث الإسراء والمعراج، ولكنى أسألهم : هل يؤمنون بما حكى الله فى القرآن من قصة سليمان مع ملكة سبأ ؟ فقد أخبرنا الله سبحانه بما دار بين سليمان وبينها من المراسلة، ثم قال تعالى: **﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ • قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ • قَالَ الَّذِى عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾** (النمل : ٣٨ - ٤٠).

فهذه حادثة لا تحتمل تأويلاً، استطاع فيها رجل من أصحاب سليمان عليه السلام بما علمه الله من الكتاب، أن ينقل عرش الملكة من اليمن إلى الشام فى مثل لمح البصر، ويؤمن بصحتها كل مسلم يصدق القرآن، وهى من نوع الإسراء والمعراج فى نقل الأجسام، فماذا نسمى من يؤمن ببعض الآيات وينكر بعضها؟؟

منبر الجمعة

تأملات فى حادثة الإسراء والمعراج

د / إسماعيل الدفتار

الحمد لله يخص من شاء بما شاء بمزيد من الكرامات، أحمد الله سبحانهُ وتعالى وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفرهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك لهُ.

قوله الحق، ووعده الصدق، وهو علامُ الغيوب، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيهُ من خلقهِ وخليلهُ بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد فى سبيل ربه حتى أتاهُ اليقين، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغُ عنها إلا هالك.

اللهم صلٍ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آلهِ وأصحابه الذين اهتدوا بهديه واتبعوا النور الذى أُنزل معه أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب.

أما بعد فيا أيها الأخوة المسلمون.

أذكر بأنه من قبل دار كلامنا حول معجزة القرآن الكريم للنبى محمد ﷺ وبيَّنا أنها معجزة المعجزات، وأن الأمر من البساطة بمكان كبير بالنسبة لأى إنسان ... الفيلسوف يجد المادة العلمية التى تبهرهُ، والتى تفوق إدراكاته وتعقلاته، وكذلك الرجل البسيط العامى يدرك أن هذا الكتاب الذى استمر نحو خمسة عشرة قرنًا من الزمان، وهناك أعداؤه وهناك معارضوه ولم يستطع أى فريق من هؤلاء المعاندين المكذبين أن ينالوا شيئًا من كرامة القرآن الكريم وظل القرآن وسيظل ... **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** (سورة الحجر الآية ٩) وبالبساطة ... هذا الكتاب

الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. جاء به نبىٌّ أمى بين قومٍ أميين وإذا كان لهذا الكتاب هذه المكانة العالية السامية وإذا كان لهذا الكتاب أن يأتى عن طريق النبى محمد ﷺ. فتلك آية الآيات ومعجزة المعجزات أقول حينما نتكلم عن القرآن الكريم لا نُهمل أن هناك عددًا من المعجزات الحسية التى تُرى والتى تُسمع، هناك عدد من المعجزات الحسية فاق الألف معجزة فى عدِّ العلماء المحققين هذه المعجزات ليست هى بيت القصيد بالنسبة لرسالة محمد ﷺ، وإنما هى مؤشرات وعلامات ودلالات تقول لأى إنسان يفكر هنا تدبر - هنا - تأمل - ستدرك لا محالة أن صاحب هذه العلامات، وصاحب هذه الأمارات رسول من عند الله ببرهان، فَتُدرك أمر النبوة - وقد تكلمنا فى عديد من الخطب على الدروس المستفادة من حياة النبى ﷺ من سيرته قبل بعثه، ومن سيرته بعد بعثه مما يؤكد أن الإقرار برسالته ونبوته لايحتاج إلى كثير من التفكير، والسابقون الأولون من المسلمين صدّقوا برسالة النبى محمد ﷺ قبل أن يطالبوه بمعجزة، قبل أن تظهر لهم آية من الآيات .. أمرُ السيدة خديجة وأمر زيد بن حارثة وأمر ورقة بن نوفل .. وأمر على بن أبى طالب .. وأمر أبى بكر الصديق رضى الله عن الجميع أمرُهُم فى إسلامهم يدل دلالةً واضحةً على أن حياة النبى ﷺ هى من أوضح الأدلة .. ومن أوضح البراهين على أنه الصادق الأمين المعصوم المصطفى ﷺ، فى هذا الإطار أقول إن كثيرًا من آيات القرآن الكريم ردت على الكفار المعاندين الذين يطالبون بآية من الآيات. الآية التى يطالبون بها .. يطالبون بمعجزة حسية، والمعجزات الحسية كما قلت كثيرة لكن الله عز وجل لم يصنعها لنبيه استجابةً للكفار المعاندين، وإنما صنعها تكريمًا له ولمن آمن به من المسلمين، فالله عز وجل مثلاً فى سورة الإسراء يذكر لنا الاقتراحات الساذجة للكفار والذين يطالبون النبى ﷺ بتحقيقها .. **﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا﴾** (سورة الإسراء الآية ٩٠) .. إن تفجير الينبوع كما ذكرت قبل ذلك فى مناسبة أخرى أمر عادى والذين يبحثون عن المياه الجوفية لديهم الخبرة فى استنباط هذا الماء إلى ظاهر الأرض .. **﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا • أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا • أو تسقط السماء كما زَعَمْتَ علينا كِسَفًا أو تأتى بالله والملائكة قبيلاً • أو يكون لك بيتٌ من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيِّك حتى تُنزل علينا كتابًا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرًا رسولاً﴾** (سورة الإسراء الآيات ٩٠:٩٣).. لم يخبرهم بأنه يستجيب لهم، لكن إذا نظرنا فى أول السورة الكريمة، والله يقول فيها: **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾** (سورة الإسراء آية ١) تتحدث أول السورة عن رحلة الإسراء ثم بعد ذلك فى سورة النجم .. تتحدث الآيات عن قصة المعراج بالنبى ﷺ إذًا الرقى والعروج فى السماوات السبع إلى سدرة المنتهى إلى ما بعد ذلك من المستوى الذى سَمِعَ فيه صريف الأقلام إلى وجوده فى المكان الذى لا يحلُّ به غيرُ محمد ﷺ حفاوةً به وجبريل الذى كان يصحبهُ ويقول لهُ: **(وما منا إلا له مقامٌ معلوم) ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما**

بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيّا﴾ (سورة مريم الآية ٦٤) هذه الرحلة هى رد على الكفار المعاندين لكن الله عز وجل لم يحفل بهم وبيَّنَ لنا بذكر هذه الاقتراحات أن هؤلاء لايحسنون التفكير، أما الإتيان بالكتاب لكى يقرأوه بالنسبة لرحلة الإسراء والمعراج وما فيها من الأدلة الواقعية على أرض الواقع؟ كم فيها من الأدلة التى شارك فيها النبى ﷺ بعض القبائل فى موقعهم؟ وشربَ الماء الذى كان معهم كلُّ ذلك أدلة كالكتاب الذى طالبوا بأن ينزل عليه وهذه الأشياء سمعوها وأيقنوا بها وصدقوها ولكنهم مع ذلك قالوا: ﴿إن هذا إلا سحر يؤثر﴾ .. ومن حكمة الله عز وجل أن المعجزات الحسية للنبى ﷺ مع كثرتها من حكمته أنه لم يذكرها فى القرآن الكريم؟ لأن القرآن الكريم معجزة أبدية ومنهج رسالة مستمرة دائمة خالدة إلى يوم القيامة وإلى ما بعد يوم القيامة لأن دخول الجنة ومراتب الناس فى الجنة، ودخول النار ودركات النار بالنسبة للمعذبين فيها كلُّ ذلك موجود فى الدار الآخرة، وقد صرح به القرآن الكريم، فحينما نجده فى الدار الآخرة فأنت مع القرآن الكريم .. الحور العين .. الولدان المخلدون كلُّ ما ذكره القرآن الكريم ويتحقق فى الدار الآخرة. دليل واضح على استمرار رسالة القرآن الكريم، فالقرآن الكريم هو منهج الرسالة الأبدية إلى أن يشاء الله رب العالمين هذه المعجزة كما قلت لم تتضمن الكلام عن المعجزات الحسية مع كثرة عددها إلا فى أمرين أو فى معجزتين اثنتين معجزة الإسراء والمعراج ومعجزة انشقاق القمر، وحينما نتدبر ـ ونتأمل، ونحاول أن تقتفى الحكمة الإلهية من ذكر هاتين المعجزتين فقط دون نبع الماء .. دون

السابقون الأولون أيقنوا أن الإيمان برسالة ونبوة الرسول ﷺ لا يحتاج إلى كثير من التفكير فآمنوا برسالته قبل أن يطالبوه بمعجزة

حنين الجذع .. دون تكثير الطعام .. دون تسبيح الحصى فى يده ﷺ .. المهم المعجزات كثيرة حينما يقتصر القرآن الكريم فى ذكر على المعجزات الحسية على هاتين المعجزتين يدعونا إلى التأمل العميق وإلى التدبر الواعى، فالقرآن الكريم ما يتفق مع مقاصده الدائمة يركز عليه وما يكون طيفًا أو بريقًا عابرًا فى مرحلة أو فى موقف من المواقف، فقد يشير إليه القرآن الكريم، وقد يكتفى القرآن الكريم بأدلة لله فى السماوات وفى الأرض وفى الجبال وفى البحار وفى الأنهار ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ نكتفى بهذه الجوانب أما بالنسبة للإسراء والمعراج فهى تُرسى دعائم مبدأ وتؤكد هذا المبدأ من يوم آدم إلى محمد ﷺ.

الإسراء والمعراج يؤكد أمر النبوة .. أمر النبوة لأى نبى من أنبياء الله عز وجل .. آدم .. نوح .. إبراهيم .. إدريس .. موسى .. عيسى إلي محمد عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأتم التسليم. لماذا إذًا ذكرت هذه المعجزة؟ قلنا من أجل تأكيد أمر النبوة ما معنى أن فلانًا من الأنبياء نبى من عند الله عز وجل؟

معنى هذه النبوة أن جبريل عليه السلام ملك الوحى ينزل من مسكنه فى السماء بأمر من الله عز وجل إلى هذا النبى وهو على أرض الله عز وجل ليبلغهُ رسالة من الله كى يبلغها للناس ثم يعود جبريل عليه السلام إلى مكانه مرة أخرى ويتكرر هذا الأمر مدة حياة ذلك النبى

الذى ينزل عليه جبريل فى وقت ما من الأوقات، وإذا كنا نُقرُّ بأن فلانًا نبى، وأن هذه النبوة تقتضى أن جبريل ينزل من السماء إلى الأرض ثم يعود من الأرض إلى السماوات.

فلماذا نستبعد على أكمل الخلق وعلى أشرف خلق الله عز وجل؟ لماذا نستبعد على محمد ﷺ أن يذهب من الأرض إلى السماء ثم يعود من السماء إلى الأرض، هذا المعنى أدركه الصديق أبو بكر رضي الله عنه حينما ذهب إليه المشركون لكى يتعجبوا ولكى يثيروا استغرابه، ويقولون له: هل سمعت صاحبك؟ صاحبُك يقول الآن إنه ذهب من مكة إلى بيت المقدس ثم عاد فى ليلته قبل أن يصبح الناس فقال لهم: لئن كان قال ذلك فلقد صدق. قالوا: تصدقهُ فى هذا .. قال ويحكم إنى أُصدّقهُ فيما هو أبعد من ذلك أصدقه فى خبر السماء يأتى به فى غدوة أو روحة أفلا أُصدقهُ فيما يقول من أمر الأرض، هكذا أدرك الصديق بفطرته النقية بعقله السليم بتفكيره الواعى أن أمر الإسراء والمعراج تأكيدٌ لنبوة النبى ﷺ. أما بالنسبة لانشقاق القمر فالسبب الرئيسى الذى كان يدفع كفار مكة ومن شاكلهم إلى رفض دعوة النبى ﷺ. أنه يقول لهم إنهم سيبعثون يوم القيامة وسيحاسبون على ما قدموا من عمل وهم يستبعدون هذا استبعاداً شديداً ومن حولهم طوائف يقولون مثل مايقول وجاء القرآن الكريم فى رسالته إلى الناس يحمل الإيمان بالله واليوم الآخر وما فى اليوم الآخر من مواقف وما فى اليوم الآخر من مسائل ثم بيِّنَ لهؤلاء الناس بأنه عندما تحين الساعة ويأتى يوم القيامة تتبدل الأرض غير الأرض والسماوات.

﴿إذا السماء انشقت﴾ و**﴿إذا السماء انفطرت﴾** **﴿إذا الشمس كورت﴾**. هذه الآيات وغيرها تذكر لنا مقدمات القيامة الكبرى وأهوال يوم القيامة، فانشقاق القمر آية من الآيات تؤكد صدق النبى محمد ﷺ فى المطالبة بالإيمان باليوم الآخر، وتبديل الأرض غير الأرض والسماوات، واللهُ عز وجل يريد منا أن نستعمل عقولنا ونفكر والله عز وجل يريد منا أن نتدبر كتاب الله عز وجل ونفقه ما فيه **﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾**.

الله عز وجل يريد منا أن نجعل القرآن منهاجًا لتفكيرنا ولسلوكنا فى جميع أحوال حياتنا لأن الكتاب المعصوم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأتذكر فى هذا المقام كلمة تنسب إلى الإمام الجنيد، والإمام الجنيد كان شيخًا زاهدًا إلى جانب أنه عالم بأمور دينه يقول لبعض مُريديه: إذا تعارض كشفك الذى يدعى أنه «مكشوف الحجاب» بالنسبة له يقول: إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة فاترك الكشف وتمسك بالكتاب والسنة .. وقل ضمن الله لى العصمة فى الكتاب والسنة ولم يضمن لى العصمة فى الكشف. هكذا كان علماء المسلمين يدركون هذا الإدراك وما أحرانا وأولادنا فى مثل هذه الأيام ونحن نتذكر معجزة الإسراء والمعراج أن نتذكر هذه المعانى وأن نجدد إيماننا بالله، وإيماننا برسول الله ﷺ، وإيماننا باليوم الآخر، وإيماننا بكل ما طالبنا به النبى ﷺ، أن نؤمن به والله يهدينا جميعًا إلى سواء السبيل، وأقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم، ادعو الله، وأنتم موقنون بالإجابة.

اقتصار القرآن الكريم على ذكر معجزتين حسيتين للرسول ﷺ يدعونا إلى التأمل العميق والتدبر الواعى

الإسراء والمعراج ورسائل تذكير

د. ربيع خليفة عبد الصادق

يحتفل المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها بذكرى الإسراء والمعراج لكونها من المعجزات التى أيد الله تعالى بها نبينا عليه الصلاة والسلام ولا شك أن الإيمان بالمعجزة جزء من العقيدة الإسلامية وترسيخ لإيمان المؤمنين وامتحان للمنافقين الذين ارتدوا عن الدين لضعف إيمانهم، ولقد سجل القرآن الكريم هاتين المعجزتين فى سورتى الإسراء والنجم.

وتأتى ذكرى الإسراء والمعراج وما زال المسجد الأقصى أسيرا فى أيدى الإسرائيليين الذين اغتالوا الأبرياء من أبناء الشعب الفلسطينى دون وجه حق إلا أنهم يحاولون الدفاع عن أرض الوطن وتحرير القدس الشريف.

إن معجزة الإسراء والمعراج من أهم أحداث الدعوة الإسلامية سبقته البعثة وجاءت من بعده الهجرة فكانت مسحا لجراح الماضى وتثبيتا لقلب النبى ﷺ وتعويضا له عن جفوة الأرض بحفاوة السماء وعن قسوة الناس بتكريم الملأ الأعلى واشعارا له أن الله معه بالرعاية والعناية وتكريما فريدا له من دون الأنبياء والمرسلين.

ومن الأمور المقررة فى الإسلام أن من شأن أولى الألباب أن يتذكروا إذا كانت هناك موجبات للتذكر، لأن ذلك يعد علامة من علامات اكتمال العقل، وسمة من سمات اليقظة الإيمانية التى تنأى عن الغفلة والتبلد، والله تعالى يوجهنا إلى ذلك فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الرعد: الآية: ١٩)، وفى قوله عز وجل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الذاريات: الآية ٥٥).

ولكن يكون التذكر تذكرا حقيقيا إلا إذا كانت من ورائه ثمار نافعة، تعيد المؤمن إلى صراط ربه المستقيم، وتجعله يتزود ويزداد من الإيجابيات ويتوقف عن السلبيات التى ألمت به فى وقت من الأوقات.

وهذا التذكر هو ماينبغى أن نعيه جيدا كلما أطلت علينا أضواء وأجواء الذكرى العطرة لمعجزة الإسراء والمعراج التى كانت تكريما للنبى ﷺ، وكانت فى الوقت نفسه بيانا ربانيا للمنهج الإيمانى فى حياة الذين آمنوا بالله تعالى ربا، وارتضوا الإسلام دينا، وصدقوا بالنبى محمد ﷺ نبيا ورسولا.

ومن أهم رسائل التذكر فى هذه الرحلة المباركة مايلى:

أولا: استمرارية الدعوة إلى الله تعالى:

فالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى لاتتوقف تحت أى ظرف أو ضغط، والرسول ﷺ ظل يدعو إلى الله عز وجل مهما اشتد به البلاء ومهما كانت المحن، فقد مضى وقت عصيب بالنبى ﷺ فقد فيه زوجه خديجة وعمه أبا طالب، ومع حزن رسول الله ﷺ عليهما ذلك

الحزن الذى جعله يسمى عام فقدهما بعام الحزن، ثم الإيذاء الذى لحقه من أهل الطائف.

ومع هذا الحزن لم يتوقف رسولنا ﷺ لحظة واحدة عن الدعوة إلى الله تعالى، وهو مايجسده قوله عليه الصلاة والسلام: **«والله لا أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه»** أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وأبو يعلى، ورجال أبى يعلى رجال الصحيح.

ثانيا: مكانة النبى ﷺ وتكريمه:

لا شك أن استدعاء الله سبحانه وتعالى لنبينا ﷺ فى رحلة الإسراء والمعراج إنما هو تكريم له عليه الصلاة والسلام، **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** (سورة الإسراء: الآية:١)، ثم إمامته ﷺ للرسل والأنبياء، يقول الرسول ﷺ فى ذلك: **«فحانت الصلاة فأممتهم»** رواه الإمام مسلم.

أضف إلى ذلك معرفة أهل السماوات له ﷺ مما يدل على مكانته ﷺ، وذلك أن جبريل حين طرق أبواب السماوات وسألوا عمن يرافقه، فقال محمد، فلم يسألوا: من محمد؟ ولكن قالوا: وقد بعث إليه؟ فهو ﷺ معروف فى السماوات العلا.

ثالثاً: تمحيص الفئة المؤمنة:

إن تمحيص الفئة المؤمنة لم ينقطع بانقطاع العهد النبوى، فالتمحيص مستمر إلى يوم الدين، يقول الله تعالى: **﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ • وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾** (سورة العنكبوت: الآيتان: ٢-٣).

ومما يدل على تمحيص الفئة المؤمنة فى هذه المناسبة قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾** (سورة الإسراء: الآية: ٦٠)، فقد ذهب جمهور العلماء إلى أن ما رآه النبى ﷺ فى ليلة الإسراء والمعراج، هى رؤيا عين ويقظة، قال العلامة الشنقيطى: «التحقيق فى معنى الآية أن الله جل وعلا جعل ما أراه نبيه ﷺ من الغرائب والعجائب ليلة الإسراء والمعراج فتنة للناس، لأن عقول بعضهم ضاقت عن قبول ذلك، معتقدة أنه لايمكن أن يكون حقا.

فمعجزة الإسراء والمعراج محصت الفئة المؤمنة، فقد ارتد بعض ضعاف الإيمان لما حدثت هذه المعجزة وفتنوا، لاستبعاد عقولهم الضعيفة أمر الذهاب إلى بيت المقدس والصعود إلى السماوات العلا ومنها إلى سدرة المنتهى ثم العودة إلى مكة فى جزء يسير من الليل.

رابعا: إكرام أمة النبى محمد ﷺ:

فإكرام الرسول ﷺ فى هذه الرحلة إكرام لأمته ﷺ، يتجلى ذلك فيما أفاض الله به على رسوله ﷺ من تخفيف الصلاة وجعلها خمسا فى الأداء وخمسين فى الأجر والثواب، وما أفاء الله تعالى به على رسولنا وأمته من خير وفضل هذه الرحلة المباركة، ولا يزال الإسراء والمعراج تذكيرا بمكانة الأمة وما تستلزمه هذه المكانة من واجب ومسئولية، يظهر هذا جليا حين أمَّ رسولنا ﷺ الأنبياء ليربط أمته بكل أصولها وأسلافها من الأنبياء والصديقين والشهداء وليصل بها إلى أنها أمة الإمامة .. أمة القيادة .. أمة الواجب .. أمة المسئولية **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** (سورة آل عمران: الآية:١١٠).

خامسا: الربط بين المسجدين:

لقد وثقت رحلة الإسراء والمعراج الرباط بين المسجدين، إذ لم يعرج برسول الله ﷺ مباشرة من المسجد الحرام إلى السماوات، بل كان المرور ببيت المقدس، فى هذه الأرض التى بارك الله فيها للعالمين والصلاة بالأنبياء الذين استقبلوا رسول الله ﷺ فى بيت المقدس.

وهذا الربط يشعر بأمور، منها:

(أ) أن التهديد للمسجد الأقصى وأهله إنما هو تهديد للمسجد الحرام وأهله، وأن النيل من المسجد الأقصى إنما هو توطئة للنيل من المسجد الحرام، فمن ظفر بالمسجد الأقصى يمتد بصره إلى المسجد الحرام، وهو ما صرح به بعض زعماء اليهود، ولم تخفه أحقادهم بل أعلنته ألسنتهم، فبعد دخول الجيش

اليهودى القدس وقف ديفيد بن غوريون يقول: لقد استولينا على القدس ونحن فى طريقنا إلى يثرب.

ووقفت جولدا مائير رئيسة وزراء الكيان الصهيونى السابقة على خليج إيلات بعد احتلال القدس وقالت: إننى أشم رائحة أجدادى فى المدينة والحجاز، وهى بلادنا التى سوف نسترجعها!!

(ب) يجب التأكيد على مقاطعة الأعداء ومنتجاتهم ومن عاونهم، وإحياء روح الأخوة الإسلامية والعمل على وحدة الصف وجمع شمل الأمة وأن الدفاع عن الدين والوطن والعرض والمال والمقدسات الإسلامية فريضة على كل مسلم، وأن الجهاد هو التجارة الرابحة، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ • تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (سورة الصف : الآيتان: ١٠-١١).

(جـ) واجب العلماء والمسئولين إحياء الشعور الإنسانى بعداوة الصهاينة وكشف طبيعتهم وأنه لن ينالنا منهم إلا الأذى كما فى قوله تعالى: **﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾** (سورة: آل عمران: الآية :١١١)، والعمل على إيقاظ الروح الإيمانية فى الأمة والالتزام بالطاعة والدعاء، مع التأكيد على أن معية الله تعالى للمؤمنين سنة إلهية.

سادسا: ومن مواطن التذكر فى هذه المعجزة:

ماجاء من خلال المشاهد التى رآها النبى ﷺ والتى تعد بمثابة رسائل إلهية لهذه الأمة التى أريد لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس.

(أ) رسالة الجهاد فى سبيل الله تعالى، الذى يمثل الحراسة الدائمة لهذا الدين الخاتم، وقد تمثلت لنا هذه الرسالة من خلال المشهد الذى: **«رأى فيه النبى ﷺ أولئك القوم الذين يزرعون ويحصدون فى يوم وكلما حصدوا عاد الزرع كما كان»** حديث صحيح، وهو مشهد له دلالته الإيمانية من حيث الثواب المضاعف المباشر، وله دلالته الاستمرارية من حيث التناوب اللحظى بين الزرع والحصد المتواليين مما يعنى التلازم بين وجود الأمة ووجود الجهاد.

الأخوة الإسلامية ليست مجرد هتافات أو شعارات ترفع وإنما هى عمل يقدم وتضحيات تبذل ابتغاء مرضاة الله

(ب) ومن هذه الرسائل رسالة التوجيه الاجتماعى وأن هذا التوجيه يجب أن يبتعد عن كل قول مثير للفتن بين الناس ذلك لأنه ليس هناك أسوأ من إشاعة البلبلة الفكرية التى تثير الفوضى وتشتت شمل الأمة، وتجعلها لا تجتمع على كلمة سواء، وقد جاءت هذه الرسالة من خلال تحذير أولئك الذين يسيئون القول، ويزينون الخروج على وحدة الأمة بما أوتوا من فصاحة اللسان وقد جاء هذا التحذير من خلال المشهد الذى: **«رأى فيه النبى ﷺ قوما تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، وكلما قرضت عادت كما كانت»** حديث صحيح.

سابعا: واجب الأمة ومسئوليتها تجاه مسرى نبيها ﷺ:

إن الأمة الإسلامية قد ولدت وتكونت بمولده ﷺ، وذلك لأن الله أراد لها بهذا الدين الذى جاء به النبى محمد عليه الصلاة والسلام أن تكون قائدة ورائدة وموجهة ومرشدة للأمم والشعوب، كيف لايكون ذلك والله ناط بها مسئولية الشهود الحضارى **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** (سورة البقرة: الآية: ١٤٣).

فيجب على أمتنا المسلمة مايلى:

١ - من حقوق الأخوة العامة:

التعاون لستر عورات المسلمين وقضاء حاجاتهم طريق النجاة والستر فى الآخرة فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»** متفق عليه.

والجهاد فى سبيل الله فريضة جماعية لا ينهض بها فرد ولا مجموعة وإنما يجب تعاون المجتمع كله على

أداء هذه الفريضة الجماعية فمنهم من ينفر بالنفس ومنهم من يجهز الغزاة ليمدهم بالمال والسلاح قال ﷺ **«من جهز غازياً فقد غزا»** متفق عليه. أو الإعداد والتدريب أو بصناعة السلاح قال ﷺ: **«يدخل الله بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه وراميه ومنبله (الذى يضع فى كبد القوس ويعده للرمى)»** رواه أبو داود والنسائى والحاكم.

والكفالة الاجتماعية لأسر الشهداء والمجاهدين حيث قال ﷺ **«ومن خلف غازياً فى أهله بخير فقد غزا»** متفق عليه.

٢ - الإعمار النفسى فى فلسطين:

إن إعادة الإعمار النفسى للشعوب التى تمر بالمحن العصيبة مطلب مهم وضرورة وعقب هذه الحرب المضنية والطاحنة ضد شعب غزة المدنى لن يجدى معه التعويض المادى فقط عن الخراب الذى طال بلدهم.

بالطبع إعادة الإعمار المادى مهم والتبنى لهذه الدعوة من منظمات وهيئات دولية وحكومات عربية يعبر عن عظم وكرم الساهم فيها لأنه يحقق الوئام والتكافل الاجتماعى الدولى والإقليمى، ولكن يجب ألا تنسى إعادة الوئام النفسى لعلاج ردود الفعل النفسية الكئيبة ومرارة أحزان عايشها أبناء غزة من جراء المحرقة ومجازر الإبادة الإسرائيلية والتى ستظل لأجيال متعاقبة فأطفال فلسطين عامة وغزة قتلوا أمام أعين أمهاتهم وآبائهم وذوى قرباهم وجيرانهم، حطم لديهم جدار الترابط النفسى المعروف فى علم النفس باسم «جدار الأنا».

٣ - تربية الأمة على العزة:

والعزة التى نقصدها إنما هى العزة التى رسمتها شريعة الإسلام العزة التى رباهم ﷺ عليها ليس معناها التكبر والتطاول وسوء الأدب وإنما معناها المحافظة على الحقوق التى كفلتها شريعة الإسلام للناس جميعا. لقد جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال له: **«يارسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى أى يغتصبه. فقال: لا تعطه مالك، فقال الرجل: أرأيت إن قاتلنى. فقال: قاتله. فقال يارسول الله: أرأيت إن قتلنى. فقال: فأنت شهيد. فقال الرجل: أرأيت إن أنا قتلته. فقال: هو فى النار».** حديث صحيح، لأنه ظالم ومن حقك أن تدافع عن مالك وعرضك وعن بلدك وعن كل ما أمرك الله عز وجل بالدفاع عنه، العزة التى رباهم الرسول ﷺ عليها هى التى تجعل صاحبها يعتمد على الله فى سلوكه ويعطى كل ذى حق حقه ويعامل الناس معاملة كريمة ويحتقر كل سفيه ومعتد أثيم ويلجأ عند الشدائد إلى خالقه يناجيه بقلب طهور وبلسان صادق. قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة المنافقون: الآية: ٨).

٤ - سنة التمكين ومبشرات النصر لأمة الإسلام:

عندما ينظر كثير من المسلمين إلى حال أمتنا المسلمة وقد اجتمع عليها الأعداء، يتسلل إلى نفوس بعضهم نوع من اليأس وشعور بالإحباط من حاضر هذه الأمة ومستقبلها، لذلك لزم أن ننبه إلى بعض المبشرات من الكتاب والسنة والتاريخ وواقع الأمة المعاصر، والتى تشهد بأن المستقبل لهذا الدين وأن قيادة العالم لهذه الأمة بمشيئة الله تعالى.

ففى القرآن الكريم آيات كثيرة يعد فيها الحق سبحانه وتعالى بأن ينصر الإسلام وأهله مهما كانت محاولات الكافرين للوقوف أمام نوره قال تعالى فى سياق حديثه عن المشركين وأهل الكتاب المعاندين ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ (سورة التوبة: الآية: ٣٢) ويقول سبحانه ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾ (سورة الفتح: الآية: ٢٨) ومنها قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة الروم: الآية: ٤٧) وقوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (سورة النور: الآية: ٥٥).

عن تميم الدارى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول **«ليبلغن هذا الأمر (يعنى أمر الإسلام) مابلغ الليل والنهار، ولايترك الله بيت مدر (بيوت مبنية بالحجارة) ولا وبر (بيوت من شعر الأنعام) إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر»** رواه الإمام أحمد.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتى سيبلغ ملكها مازوى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض..»** رواه مسلم.

وبهذا تجمع الأحاديث لهذه الأمة بين قوة الدولة وقوة الدعوة وقوة القرآن وقوة السلطان وفى هذا الخير كله إلى غير ذلك من الأحاديث التى تبشر بانتشار الرخاء والأمن وفيض المال والآحاديث التى تبشر بعودة الخلافة الإسلامية على منهج النبوة والانتصار على اليهود وبقاء الطائفة المنصورة، وظهور المجددين فى كل قرن.

لقد بقى الإسلام وبقيت الأمة، وإذا كانت الحملة الآن قد اشتدت على الإسلام والمسلمين فليس هذا دليلا على ضعف الأمة المسلمة، وإنما هو دليل على قوتها التى يشعر بها أعداء الدين، فيحاولون كبتها.

وأخيرا..

إن الأمر جد خطير ويتطلب فى المقام الأول وحدة الصف والهدف معا لكل المسلمين والعرب، من منطلق أن الجميع مستهدفون من قبل خصم وعدو يتربص بهم جميعا ويستكمل مخططه لتهويد القدس كلية أرضا وتراثا وتاريخا ومستقبلا.

إن دعوة الغرب وإسرائيل للتخلى عن الأسلحة النووية لن تتحقق إلا إذا أصبح العرب أقوى اقتصاديا.. أكثر حداثة.. أكثر ديمقراطية.. ولديهم القدرة على أن يقفوا فى وجه الآلة العسكرية الإسرائيلية كما فعلت مصر فى حرب ١٩٧٣م.

إن الأخوة ليست مجرد كلام أو هتافات أو شعارات تردد أو ترفع هنا وهناك، إنما هى عمل يقدم وتضحيات تبذل ابتغاء مرضاة الله عز وجل، ووفاء بحق الأخوة، وهذا ماكان من أبى بكر الصديق رضي الله عنه تجاه بلال رضي الله عنه عندما رآه يعذب تحت يد أمية بن خلف، لم تقف مواساة أبى بكر أو أخوته لبلال عند حدود الدعاء له والحث على الصبر، أو شجب وتنديد مايقوم به أمية بن خلف، إنما تحول شعوره الأخوى إلى عمل تجسد فى افتكاك بلال من رق العبودية، وإطلاقه حرا لوجه الله.

إن الأقصى الأسير مسرى رسول الله ﷺ يشكو إلى الله ظلم العباد وضياع البلاد والصراع الدموى الدائر.

فهل آن الأوان أن يفيق أصحاب الحق من غفوتهم بتوحيد صفهم وكلمتهم واستغلال تلك المواقف الإيجابية ليشكر لهم التاريخ ذلك إن أرادوا.

إن معجزة الإسراء والمعراج تجدد مسئولية المسلمين لتحرير البلاد الإسلامية والعربية وتحرير المسجد الأقصى، وتحرير القدس الشريف لم يتحقق بالخطب والمواعظ، ولاينبغى للأمة أن تصاب بالحزن: **﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** (سورة آل عمران: الآية: ١٣٩).

إن مايدور بأمتنا الآن يصيب القلب بالهم والحزن خصوصا فى ذكرى الإسراء والمعراج ومازال المسجد الأقصى أسيرا والله تعالى لاينصر إلا من نصره الله. قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾** (سورة محمد: الآية: ٧).. وإنما تتحقق النصرة لله تعالى بنصرة دينه وإعلان كلمته وتحكيم شرعه فى خلقه والنصر كذلك لايكون إلا بالمؤمنين فالنصر لهم والنصر بهم فهم غاية النصر وعدته وفى هذا يخاطب الله رسوله بقوله: **﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾** (سورة الأنفال: الآية: ٦٢).

وبهذا يتضح أنه ينبغى أن نكون مؤمنين على حق حتى ينصرنا الله تعالى.. ولذلك يجب أن نعتقد أن الله تعالى معنا وأنه ناصرنا إذا أدينا مسئوليتنا تجاه هذه القضية المقدسة.

تلك بعض الرسائل التى وقفنا عندها مذكرين: **﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** (سورة الذاريات: الآية: ٥٥).

وهكذا ستظل نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة غنية بالدلالات التوجيهية للأمة عبر عصورها المختلفة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، تأخذ منها مايسهم فى حل مشكلاتها المعاصرة إن أرادت أن تسير فى طريق الرشد والعزة والقيادة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرد الأمة الإسلامية إلى دينه ردا جميلا، وأن يجمع شملها، وأن يوحد صفها، وأن ينصرها على أعدائها، وأن يهلك عدوها وألا يجعل لكافر أو ظالم عليها سبيلا.

رحلة فى الغيوب

الإسراء والمعراج (على صاحبهما أفضل الصلاة والسلام)

د/ عبد الغفار حامد هلال

قد ملأت الآفاق والأرجاء ∴ شرفا يزدهى بكم واصطفاء
لم يكن حولك الوجود غريقا ∴ فى سبات ولا الزمان هباء
إنما كان يحتفى بقدوم ∴ أحكمته الأقدار .. ماذا تراءى؟
هل على الأرض تستذل عروش ∴ وتعز الحياة زرعا وماء
هل سنبقى بعالم فقد الرحـ ∴ ـمة والناس فيه أضحوا رعاء
أين عقل الإنسان كرمه اللـ ∴ ـه وأنى يصير سعد شقاء

* * *

جئت تمحو معالم الظلم فيهم ∴ وتعيد الشريعة الغراء
وكسا نورك الحياة بدعوى ∴ ملؤها التقوى والسمو وفاء
وسهام الضلال تبغى انقضاضا ∴ ولنور الإيمان تهوى انطفاء
فحباك الإله فضلا جزيلا ∴ ولواء تحدو به الأنبياء
جاءك الوحى مثلهم وتجلى ∴ يوم أسرى بعبده إسراء

* * *

كنت تغفو بجوف ليل بهى ∴ زانه النور بالهدى وضاء
وفراش لأم هانئ يبدو ∴ دافئا - قد تركته - ما تناءى
وبفجر يبيتها وقيام ∴ أيقظ الصبح طوله والمساء
رحت ترجو من المجيب دعاء ∴ فى ابتهال وما تمل الدعاء
وعلى صحبة لجبريل تمضى ∴ نحو بيت تزداد فيه جلاء
شق صدرا بحكمة ويقين ∴ أودع السر فى الشغاف صفاء
إذ ستلقى فى عالم الغيب ريا ∴ فتراه حقيقة لا خفاء

* * *

قد ركبت البراق تخترق الحجـ ∴ ـب وتطوى به هناك الفضاء
وترى ناسا يحصدون نعيما ∴ وترى ناسا قد بدوا أسواء
وأناسا تسيل منهم فروج ∴ حاملات جريمة نكراء
يأكلون الطعام نيئا - خبيثا ∴ ويعافون ما يطيب غذاء
ولقوم حجارة من سعير ∴ جعلت من رءوسهم أشلاء
وأناس تبيض منهم وجوه ∴ ووجوه أخرى غدت سوداء
إن مهد الصلاح مهد رسول ∴ فى يديه الطهور يعفو وباء

* * *

وعلى الرسل كنت فيهم إماما ∴ بصلاة - فى القدس - فاحت زكاء
باركوا رحلة وولوا قيادا ∴ لرسول بذكرهم قد جاء
وتنادوا مهنئين بيوم ∴ سيعيد المكارم الزهراء
فأخوهم (محمد) عرفوه ∴ كرموه وما أعز إخاء
يحمل العبء عنهم ويلاقى ∴ ما يلاقى عزيمة ومضاء
كم تصدى للشرك يذكى حوارا ∴ بسنا حلمه وزاد بلاء
فأراد الحبيب مديد العو ∴ ن إليه مؤزرا وعلاء

* * *

ومضى يسبق الزمان إلى السبـ ∴ ـع الطباق المستحكمات بناء
والدراري مرقاته لعروج ∴ تتهاداه رفعة وارتقاء
وترامى بين الملائك صوت ∴ باعث فى أهل السما سراء
فانبرى الصوت عابرا كل أفق ∴ وسماء يرجع الأصداء
صوت ذكرى للعالمين جميعا ∴ هو صوت الإسلام للناس فاء
يفتح الباب إثر باب ويلقى ∴ سالف الرسل خلفه سعداء
آدم واقف يرحب بالابـ ∴ ـن وإبراهيم يزيد ثناء
رددوا مرحبا بأحمد فينا ∴ وأذاعوا الحديث والأنباء
ثم نادى جبريل هذا مقامى ∴ لو تجاوزته احترقت فناء
لو تقدمت لاخترقت حصونا ∴ عند ذى العرش يجتبى من شاء
فدنا نحو عبده وتدلى ∴ فرأى نورا يستفيض ضياء
إنه ربه الجليل عيانا ∴ ليس شىء كمثله لا مراء

* * *

ورأى ما رأى تجلى بديعا ∴ سدرة المنتهى بدت حسناء
ورأى أعجب العجائب آيا ∴ شاهد الخلد يكتسى آلاء
ما طغى طرفه وما زاغ عنها ∴ غض طرفا وغض قلبا حياء
صلوات خمس فرضن علينا ∴ وهى خمسون فى الثواب جزاء

* * *

عاد للقوم ينشر الوحى فيهم ∴ إذ تلقاه صادقا معطاء
كذبوه فراعهم ببيان ∴ يفحم الخصم حجة بيضاء
وتمارى الضالون يبغون كيدا ∴ وأثاروا العواصف الهوجاء
وحكوا للصديق زعم خليل ∴ أكثروا القول فرية وادعاء
وأبو بكر ردهم بحديث ∴ سفه الحاقدين والجهلاء
رحلة فى الغيوب قلد فيها ∴ تاج وحى رسلة عصماء

* * *

الأسرة والتشريع الإسلامي

- أهمية الرقابة الأسرية
- الوالدان

أهمية الرقابة الأسرية

المستشار/ حسن حسن منصور

الأسرة هى فى ذاتها أولى مؤسسات المجتمع، وكل مؤسسة تحتاج إلى من يحسن إدارتها، ولذلك فقد جعل الشارع الحكيم هذه المهمة الجليلة من اختصاص الرجل، بل قصر عليه وحده دون غيره، القيام بواجب الإنفاق داخل هذه المؤسسة، وذلك بمقتضى قول الحق تعالى : **﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ...﴾**، (سورة النساء الآية : ٣٤)، وقوله تعالى : **﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ....﴾**، (سورة الطلاق الآية : ٧)، ومع هذا فإن القيام بهذه المهمة، يحتاج إلى تعاون جميع أفراد الأسرة مع الرجل، لتحقيق النجاح والمستوى الأفضل لهذه المؤسسة.

وهذه القوامة تنصب على رعاية الأسرة، وهى مسئولية تقع على عاتق من يقوم بها فى الأسرة، فقد روى أبو داود والترمذى والإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال : **«كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»**.

ومن عظمة دين الإسلام، أن جعل رقابة الضمير، لمن لهم الحرص على مصلحة الإنسان، ويتصفون بالعدل، فليس فى الحياة من هو أفضل، من الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين، فكانت لهم هذه الرقابة، بمقتضى قول الحق تعالى : **﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** (التوبة : الآية ١٠٥)، وعلى ضوء ذلك، فهناك ثلاثة مظاهر لهذه الرقابة، هى: -

(أ) الرقابة الإلهية على الإنسان :

فقد تكون هذه الرقابة على ذات الإنسان، لأن الله تعالى، هو من قال عن نفسه : **﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾** (سورة طه الآية ٧)، : **﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾** (سورة غافر الآية ١٩)، ومن هنا كان التعويل على النية، كجوهر لأى عمل يقوم به الإنسان، كما أخبر الرسول ﷺ، فى الحديث المشهور : **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى.....»**، بل قد يكون الجزاء على مجرد النية، وهذا لايملكه إلا المطلع عليها وحده، وهو الله تعالى، وكما أخبر ﷺ بقوله : **«نية المرء خير من عمله»**.

وقد تكون رقابة الله على الإنسان، وهو مع غيره من البشر، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى : **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** (سورة المجادلة الآية ٧).

وحقيقة رقابة الله تعالى، هو مقام الإحسان الذى أوضحته السنة النبوية المطهرة، فقد روى مسلم عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والإمام أحمد عن أبى هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال فى حديث جبريل المشهور : **«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك».**

وكما يقول العلماء : الإحسان فى حقيقته، هو سجية فى النفس تحمل على مجازاة المسىء بجوائز المحسن، وقيل هو إتقان العبادة بإيقاعها على وجهها، مع رعاية حق الله، بمراقبته واستحضار عظمته فى كل حال، والإخلاص فى سائر الأعمال، والحث عليها بحيث لو فرض أنه عاين ربه لم يترك شيئًا، فإن لم ينته اليقين والحضور إلى هذه الرتبة، فإلى أن تحقق من نفسك، فإنك بمرأى منه سبحانه، فاعلم أنه لا تخفى عليه خافية، فهو قائم على كل نفس بما كسبت، ومشاهد لكل أحد من خلقه فى حركته وسكونه.

قال النووى : وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين، وبغية السالكين، وكنز العارفين، ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التى أوتيها ﷺ، وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين، ليكون ذلك مانعاً من التلبس بشىء من النقائص، احترامًا لهم، واستحياء منهم، حتى لا يزال الله مطلعًا على من كان على هذه الحال فى سره وعلانيته.

(ب) رقابة الحرص من الرسول ﷺ :

لأن من خصائصه ﷺ أنه هو الشاهد على الرسل وأممهم، كما أخبر تعالى عن ذلك، بقوله : **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾** (سورة النساء الآية ٤١).

ورقابة الرسول ﷺ على المسلم، من منطلق حبه له وحرصه عليه، فهو الذى وصفه ربه بقوله تعالى : **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾** (سورة التوب الآية ١٢٨)، وهذه الرقابة لاحقة على قيام المسلم بالعمل، وهى دائمة فى حياته ﷺ وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فقد روى ابن سعد فى الطبقات الكبرى عن بكر بن عبد الله المزنى رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال : **«حياتى خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتى خيرًا لكم، تعرض على أعمالكم، فإن رأيت خيرًا، حمدت الله، وإن رأيت شرًا، استغفرت لكم».** وقد قال العلماء : إن لكل نبى فى السماء مستقرًا إذا قبض، كما دلت عليه الأخبار، فالمصطفى ﷺ مستمر هناك ويسأل الله لأمته فى كل يوم، ولكل صنف منهم ما يناسبه، فللمذنبين التوبة، وللتائبين الثبات، وللمستقيمين الإخلاص، ولأهل الصدق الوفاء، وللصديقين وفور الحظ، وقوله ﷺ : **«ومماتى خير لكم»**، يفيد عدم انقطاع النفع بالموت، بل الموت قد يكون أنفع ولو من وجه.

(ج) رقابة المؤمنين فيما بينهم :

وهى تأتى من خلال توافر رقابة الله ورسوله، فى نفس الإنسان، وذلك بمقتضى قول الحق تعالى : **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ........﴾** (سورة البقرة الآية ١٤٣)، وهم أهل لهذه الرقابة، لأنهم كما أخبر عنهم الرسول ﷺ : **«لا تجتمع أمتى على ضلالة»**، وكما قال ﷺ : **«ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن»**، وهذه الرقابة لا تعنى أن يسود النفاق فى العلاقة بين المؤمنين، ولكن معناها التواصى بينهم بالحق والصبر، فى كل شئون حياتهم.

والرقابة الأسرية ليس معناها التخويف أو الترهيب، ولكنها مجرد حسن رعاية رب الأسرة لأفرادها، وذلك بتفقد أحوالهم المادية والمعنوية، ومن أمثلة ذلك الآتى :-

أولاً : الرقابة على مصدر الإنفاق :

وذلك لمعرفة ما يطرأ على مظهر أفراد الأسرة، وخاصة الإناث، من أوضاع، كالملبس والمصروف اليومى وغير ذلك، فقد لا تتناسب مع قدرته المالية على الإنفاق، للوقوف على مصدر النفقات الزائدة عن حدود هذه القدرة، و لا يمل رب البيت من توجيه سؤاله الدائم إلى كل منهم : أنى لك أو لك هذا ؟!!، فإذا علم مشروعية هذا المصدر اطمأن قلبه، وإلا، فعليه البحث عن الوسيلة المناسبة - لتقويم السلوك غير السوى، المؤدى إلى هذا المصدر الخبيث، لأن التغاضى عن هذا التقويم، يترتب عليه استفحال أمر هذه المخالفة، وفيه ضياع محقق للفرد، وربما للأسرة كلها.

ومن المهام الرئيسية الملقاة على عاتق رب الأسرة، تفقد أحوال كل فرد من أفرادها، للوقوف على مراحل التربية السليمة له، على غرار الأسلوب الذى اتبعه سيدنا زكريا عليه السلام، عندما كان يكفل السيدة مريم، وسألها عن مصدر الرزق الذى وجده عندها، ولم يحضره هو لها، وذلك فى قوله تعالى : ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (سورة آل عمران الآية ٣٧)، وهو ما يعرف بقانون : «من أين لك هذا؟».

ويلاحظ أن سؤال الإنسان عن مصدر ما يكتسبه من مال لاحرج فيه، سواء بالنسبة للسائل، أو من يوجه إليه السؤال، مادام كان السائل لايبغى إلا الخير والمصلحة، وكان المسئول متأكدًا من حل ومشروعية مصدر كسب المال، الذى أضافه إلى ملكيته، فلو كان فى الأمر غضاضة، ما كان نبى الله زكريا عليه السلام ليوجه سؤاله إلى السيدة الطاهرة مريم عن مصدر الرزق الذى وجده عندها، وهو يعلم علم اليقين، هى من هى، فى التقوى ومخافة الله تعالى، ويكفى أنها وقت وجود الرزق لديها ووقت سؤالها، كانت متعبدة فى المحراب، وبالتالى لايمكن أن يتطرق إلى الذهن أدنى شبهة فى التفكير فى عدم مشروعية مصدر هذا الرزق، ومع كل هذا، فإنها لم تتردد فى إثبات ذلك المصدر، التى هى على يقين تام من مشروعيته، فقالت فور سماعها السؤال : «هو من عند الله». ولاقتناع السائل، وهو سيدنا زكريا عليه السلام بعظمة الرازق سبحانه، توجه إليه بالدعاء قائلاً : ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾ (سورة آل عمران الآية ٣٨)، وقد أجاب الله دعاءه عقب ذلك مباشرة : ﴿**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ (سورة آل عمران الآية ٣٩).

ثانيًا : اختيار الأصدقاء :

تداخل وتعقد المصالح فى المجتمع وتكاثر الفتن تفرض على المرء البحث عن الصديق الحميم الذى يتخذه عدة لمواجهة أعباء الحياة

ومن الأمور التى يجب أن تكون موضع رقابة الأسرة على أفرادها، اختيار الجلساء الأصدقاء، لأن هذا الاختيار من الأهمية بمكان فى حياة كل فرد، لما روى عن الرسول ﷺ : **«المرء على دين خليله(صديقه)، فلينظر أحدكم من يخالل».**

ومن المعلوم أن الله تعالى الذى خلق الإنسان، وهو أعلم بمن خلق، قدر فيه هذه الحالة، وما تتطلبه من معونة للتغلب على صعاب الحياة الدنيا، وذلك على نحو ما أفصح عنه القرآن الكريم، من حال أصحاب النار من الكفار والعصاة، الذين يقول الله تعالى فى حقهم ﴿**وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ • فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ • وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾ (سورة الشعراء الآيات ٩٩/١٠١)، ومن لطائف الإشارة فى هذه الآيات ما ذكره المفسرون، من أن طلب المعونة عن طريق الشفاعة، جاء بصيغة الجمع «شافعين»، ولكن طلبها عن طريق الصداقة، جاء بصيغة المفرد «صديق»، وذلك لكثرة الشفعاء، وقلة الصديق، ولاسيما إذا كان صديقًا حميمًا.

والصداقة رابطة إنسانية، تجمع شخصين أو أكثر، ولو لم يكونا على دين واحد، وقد احترم الإسلام هذه الرابطة، وقدر لها قدرها، وجعلها بمنزلة القرابة النسبية، وذلك عندما رفع الحرج عمن يتناول الطعام فى بيت الصديق، كما هو الشأن فى بيوت أصحاب هذه القرابة، على نحو ما أشار إليه قول الحق تعالى : ﴿**لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ**﴾ إلى أن قال : ﴿**أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا......**﴾. (سورة النور الآية ٦١). وأيضًا للصديق الحق فى الإنفاق عليه، كما هو مقرر لمن تجب على الإنسان نفقته، كالولد والزوجة وغيرهما، فقد روى البيهقى عن أبى حمزة إبراهيم رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال : **«كل نفقة ينفقها المسلم، يؤجر فيها على نفسه، وعلى عياله، وعلى صديقه، وعلى بهيمته.....»**، وقد كان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه هكذا، النموذج الأمثل للصديق الحميم لسيدنا رسول الله ﷺ، قولاً وعملاً، فكان صادقًا صديقًا، ونعم الصديق.

إن ظروف الحياة المشتركة فى المجتمع، مع تداخل وتعقيد المصالح فيه، وتكاثر الفتن التى تلاحق الإنسان ليلاً ونهارًا، تفرض عليه البحث عن الصديق الحميم، الذى يتخذه عدة وذخيرة، لمواجهة الأعباء التى تثقل كاهله فى هذه الحياة، وليعلم أن الصديق الحق، كما جاء فى الأثر : من صدقك، وكان معك، وإذا ماريب الزمان صدعك، شتت فيك شمله ليجمعك، وهو عين ما أوصى به الرسول ﷺ بقوله : **«لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقى»**.

ثالثًا : تربية الضمير :

وهو من أهم الثمار الإيجابية لهذه الرقابة الأسرية، وذلك لأن الضمير وإن كان كلمة متسعة الدلالة على معان كثيرة، إلا أن ثمرتها جميعًا، هى شعور إيجابى يسيطر على الإنسان، يجعله صادقًا فى أقواله، مخلصًا فى أفعاله، محبّا للخير ومبغضًا للشر، وفى يقظة دائمة حتى يلقى الله تعالى.

وتربية الضمير فى الإنسان لها روافد متعددة، ولكن الدين أهمها وأعظمها قدرًا، لما يمتاز به من ربط الإنسان بخالقه فى الدنيا والآخرة، فالدين يغرس الرقابة الذاتية فى الإنسان، فيجعله يقدم على الأمر ويعرض عن النهى، من تلقاء نفسه، دون تدخل إرادة أخرى غير إرادته، فيما لها مجال فيه.

وثمرة هذه التربية، تتجلى فى نفس الإنسان، وهى رقابة دائمة تلازمه فى كل شئون حياته، وتصبح إحدى خصاله الأصيلة، ومن خلالها يتعامل مع الآخرين، فتتحقق لهم الفائدة، وينعم المجتمع بالاستقرار.

والله تعالى ولى التوفيق..

الوالدان

د . طه عبد السلام خضير

إن بر الوالدين إنما يكون بطاعتهما فى الحق والخير وأن تكون لين الجانب معهما متواضعاً خفيض الجناح رحيماً متسامحاً داعياً لهما بعد موتهما بالرحمة والمغفرة وصولاً لرحمهما متودداً إلى معارفهما وأصدقائهما حتى تظفر برضاهما عنك وتفوز بدعائهما لك.

١- فضل الوالدين:

الإسلام دين وفاء وولاء، دين يوصى بالإحسان ويقدر المعروف ويوجب المكافأة عليه **﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾** (سورة النساء: الآية ٨٦). **﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾** (سورة الرحمن: الآية ٦٠). وفى حديث رسول الله ﷺ: **«من أسدى إليكم - معروفا فكافئوه»**.

أيها الأخ الكريم: أى فضل بعد فضل الله أعظم من فضل والديك وأى حق بعد حقوقه تعالى أقدس من حقهما عليك. بسببهما وجدت، ومن جسمهما تكونت وبين أحضانهما نشأت، وبخيراتهما تغذيت. ولقد قرن الله تبارك وتعالى الإحسان إليهما بعبادته فقال: **﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾** (سورة النساء: الآية ٣٦). وقرن شكرهما بشكره: **﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾** (سورة لقمان: الآية ١٤). وجعل رضاهما شرطاً فى رضاه يقول عليه الصلاة والسلام: **«رضا الرب من رضا الوالدين»** وذلك تقديراً لاحتمالهما فى إنجاب الولد وسهرهما على تنشئته وبذل الجهد فى توجيهه ورعايته، حتى يكون إنساناً ينفع نفسه وغيره ويعتمد عليه فى هذه الحياة.

وليس هذا بالأمر الهين فإن تربية الولد وتنشئته وتعليمه وتهذيبه أمر شاقٌ ومسألة خطيرة، ولذلك ملأ الله قلوب الآباء بالرحمة والرأفة وشحن صدور الأمهات بالعطف والحنان ليندفعا معاً بغريزة الأبوة والأمومة إلى القيام بهذا العمل الجليل مهما كلفهم ذلك من تعب وألم ومهما كان فيه من نصب ومشقة ومهما كابدا من جهد وعناء فها هو الوالد من أجل ولده يتحمل فوق طاقته فيجد فى السعى ويدأب فى العمل ويضحى بوقت راحته. يقضيه فى كَبد ليحصل على رزق أكثر، وقد ينهك جسمه ويتعب قلبه وفضلاً عن ذلك فإن البعض يحتمل من الذل أحياناً ماهو يتمثل فى ضغط العمل وتنفيذ الأوامر بما يتعبه ويضنيه. كل ذلك فى سبيل أن يعود إلى ولده آخر النهار بما يملأ بطنه من طعام وبما يستلذه من حلوى وفاكهة وبما يفرحه ويسليه من تحف ولعب، فإذا ماتلقاه ولده عند عودته بالبشر والسرور والابتسامة الصادقة البريئة أحس بسعادة غامرة تنسيه متاعبه طول اليوم وعنائه. ومن هنا كان حق هذا الجندى المجهول عظيماً وكان واجبه على ولده كبيرًا. ولقد روى أن أبا هريرة رضي الله عنه لقى رجلين فقال لأصغرهما: ما هذا منك؟ قال: أبى. قال: «لا تسمه باسمه ولا تمش أمامه ولا تجلس قبله».

وإن تعجب بشأن الوالد واحتماله وما يلقاه فشأن الأم أعجب وعبؤها أثقل، إن هذه الأم الضعيفة هى التى تتحمل متاعب الحمل ومشاكل الوهم وآلام الوضع. وحرصاً على سلامة ولدها فى بطنها فهى تزور الأطباء ولو كانوا رجالاً أجانب وتشرب الدواء ولو كان مرًا كريها، وتتعرض لأخطر العمليات التى قد تؤدى إلى الموت والفناء، وكل ذلك هين فى سبيل أن ينزل وليدها إلى هذه الحياة سليمًا معافى، فإذا ما اكتحلت عيناها برؤيته بدأت مرحلة أخرى من مراحل التضحية

والفداء. ألم تجعل من دمائها لبنًا خالصًا تجود به غذاءً شهيّا وشرابًا سائغًا هنيئًا مريئا. إن هذه الأم هى التى جعلت لك من ثدييها شفاءً ومن صدرها متكئًا ومن ذراعيها وركبتيها فراشًا وغطاء ولقد ربطت راحتها براحتك وصفائها بسعادتك، تتنزل إلى طفولة وليدها تداعبه وتلاعبه وتغنى له وتسليه، إنها لا تطعم إلا إذا أطعمت ولاتنام إلا إذا نمت. ثم هى تحتمل فى سبيل إزالة القذر عن جسمك وثيابك وتحرص على نظافتك ما لا تحتمله منك أحب الزوجات إليك ولا تبغى من وراء ذلك جزاء ولا شكورًا إلى أن يشتد عودك ويطول عمرك رافعة أكف الضراعة إلى الله ليلاً ونهارًا أن يحفظك لها وألا يمسك مكروه. ولله در من يصور هذا الجهد والحنان فيقول:

لأمك حق لو علمت كبير
كثير برك ياهذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكى
لها من جواها أنسة وزفير
وفى الوضع لو تدرى تعانى مشقة
فكم غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها
وما حجرها إلا لديك سرير
تفديك مما تشتكيه بنفسها
ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها
حناناً وإشفاقًا وأنت تضور
فدونك فارغب فى كثير دعائها
فأنت لعمرى للدعاء فقير

٢- حق الوالدين على المولود:

إن حقوق الآباء والأمهات أعظم من أن يحصيها مولود أو يقدرها إنسان ولو استطاع الأولاد أن يحصوا ما يتحمله الوالدان فى سبيلهم لاستطاعوا تقدير ما يستحقان من البر والتكريم، ويكفى فى تقدير الإسلام لهذا الحق العظيم أن الله عز وجل أمر بالإحسان إليهما عقب الأمر بعبادته ولم يقدم عليهما فى وجود الإحسان شيئًا من مخلوقاته يقول تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا**﴾ (سورة الإسراء: الآية ٢٣).

جعل الله من ثدى الأم غذاءً شهيّا وشرابًا سائغًا ومن صدرها متكئًا ومن ذراعيها وركبتيها فراشًا وغطاءً

يقول الشيخ النيسابورى فى تفسيره: وإنما جعل الإحسان إلى الوالدين تاليًا لعبادة الله لوجوه منها:

أولاً: أنهما سبب وجود الولد كما أنهما سبب التربية فلا إنعام بعد إنعام الله تعالى أعظم من إنعام الوالدين.

ثانيًا: ومنها أن أنعامهما يشبه إنعام الله تعالى من حيث إنهما لا يطلبان بذلك ثواباً ولا ثناءً.

ثالثًا: ومنها أنه تعالى لا يمل من إنعامه على العبد وإن أتى بأعظم الجرائم فكذا الوالدان لايمنعان عنه موائد كرمهما وإن كان غير بار بهما.

رابعًا: ومنها أنه لا كمال للولد إلا ويطلبه الوالد لأجله ويريده عليه كما أن الله تعالى لا يرضى لعباده إلا الخير، ومن بالغ شفقتهما على ولدهما أنهما لا يحسدانه إذا كان خيرًا منهما فالإنسان لا يتمنى أن يكون إنسان خيرًا منه إلا أن يكون ذلك الإنسان هو ولده.

إن الوالد يسعده أن يكون ابنه خيرًا منه. لماذا؟ لأنه جزء منه وامتداد له وبقاء لأثره وتخليد لذكراه. لاسيما إذا كان الولد خيرًا بارّا بالوالدين. ثم ما المراد بالإحسان المطلوب إليهما؟؟

إن الإحسان يكون ماديّا كما يكون معنويّا والولد مطالب بهما جميعًا. فأما الإحسان المادى فالإنفاق عليهما إن احتاجا إلي النفقة والتوسعة عليهما إذا كان حالهما أقل من حال ولدهما. وأن يغنيهما عن الحاجة إلى القيام بالأعمال الوضيعة والمهن الحقيرة، فمادام غنيّا موسرًا لا يرضى لأبيه أن يكون خادمًا عند أحد أو حمالاً لأمتعة الناس؛ كما لا يرضى الأبى الكريم وقد وسع الله عليه لا يرضى لأمه أن تعمل خادمة أو غسالة لثياب الناس وما أشبه ذلك من الأعمال الحقيرة وعليه كذلك أن يصلهما بالهدايا والعطايا من وقت لآخر إذا كانا غنيين.

وأما الإحسان المعنوى فإنه يكون فى حسن المعاملة باحترامهما والأدب معهما فلا يرفع صوته فوق صوتهما

بل لا يرفع صوته عليهما ولا يتأفف منهما ولاينظر إليهما شذرًا ولايخالفهما ظاهرًا ولاباطنًا إلا أن يأمره أحدهما بمعصية فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وعليه أن يحسن صحبتهما ما عاشا وأن يترحم عليهما ويدعولهما إذا ماتا **﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا • وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾** (سورة الإسراء: الآيتان: ٢٣، ٢٤).

٣ - مضاعفة حق الأم:

أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال. أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك» يقول القرطبى: هذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغى أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب، ذلك أن صعوبة الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الأم دون الأب وهذه ثلاث مشقات يخلو منها الأب.

أيها الأخ الكريم:

من القواعد الثابتة المقررة عقلاً وشرعًا أن الأجر على قدر المشقة لذلك فالإسلام يقدر هذه الصعوبات ويعرف للأم حقها ويوصى بمضاعفة برها جزاء جميل احتمالها وصبرها وطول ملازمتها لوليدها وشديد حرصها على كمال رعايته وحُسن توجيهه وصدق الله إذ يقول: **﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾** (سورة لقمان الآية ١٤). ويقول **﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْرًا﴾** (سورة الأحقاف الآية ١٥).

وفضلاً عن ذلك فالأم أصل عظيم فى نماء الحياة ورقيها وازدهارها وإسعادها؛ إنها هى الأرض التى تنبت الرجال والمصنع الذى ينتج الأبطال. والمدرسة التى تخرج كبار القادة والزعماء فهى عماد كل أمة وسلم كل نهضة وباعث كل حركة، ولا عجب فإن هذه الأم هى التى أنجبت الفلاح الزارع والعامل الصانع والمهندس البارع والسياسى المحنك والجندى الباسل والقائد البصير.

هذه الأم هى التى أنجبت الطبيب الماهر والعالم المحقق والكاتب الأديب. والشاعر اللسن والمفكر القدير ولله در القائل:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبًا طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا
بالرى أورق أيما إيراق

٤ - جزاء بر الوالدين:

إن بر الوالدين ثابت فى كل حال فهو حق لهما فى غناهما وفقرهما فى حياتهما وبعد موتهما، وفى بر الأبوين الكافرين يروى حديث أن قتيلة أم أسماء قدمت على ابنتها أسماء وكانت قتيلة غير مسلمة فلم تسمح لها أسماء بنت الصديق رضى الله عنهما لها بالدخول عليها ولا بقبول هديتها حتى تستفتى رسول الله ﷺ - وفى صحيح البخارى - تقول أسماء قدمت علىّ أمى وهى مشركة على عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله قلت: يا رسول الله أن أُمى قدمت وهى راغبة - يعنى راغبة عن الإسلام - أفأصل أمى؟. قال ﷺ **«نعم صلى أمك».**

قال غير واحد من المفسرين: وفيها نزل قوله تعالى: **﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** (سورة الممتحنة الآية ٨). وفى حق برهما بعد موتهما يروى أبو داود عن مالك بن ربيعة الساعدى يقول: كنا عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله هل بقى من بر والدى شىء أبرهما به بعد موتهما؟ قال ﷺ: **«نعم خصال أربع: الدعاء لهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا رحم لك إلا من قبلهما».** وفى صحيح مسلم **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».** وفيما رواه الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ **«إن الله عز وجل ليرفع للعبد الدرجة فى الجنة فيقول: يارب أنى لى هذه فيقال له: ذلك باستغفار ولدك لك».**

إن من بر الوالدين استئذانهما فى الخروج للسفر ولو كان ذلك فى غزوة أو جهاد فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: جاء رجل من أهل اليمن مهاجرًا إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: **«ألك أحد باليمن؟» قال: أبواى. قال «أأذنا لك؟» قال: لا. قال ﷺ: «فارجع فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرهما».**

ومن البر بالوالدين إدخال السرور عليهما فإن رضا الرب فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما وهذا جاهمة رضي الله عنه يقول: أتيت رسول الله ﷺ أستشيره فى الجهاد فقال: **«ألك والدان؟»** قلت: نعم. قال: **«الزمهما فإن الجنة تحت أرجلهما»**. ثم هذا عمر يروى أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ يقول له: جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبواى يبكيان. فقال ﷺ: **«ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما»**. ألا ما أعظم جزاء بر الوالدين. إن الله عز وجل أعد لمن برهما جزاءً طيبًا كريمًا فى هذه الحياة وأجرًا عظيمًا فى الآخرة. أما فى الدنيا فقد أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وهو الذى لا ينطق عن الهوى أن بر الوالدين يزيد فى الرزق ويطيل العمر. يروى الإمام أحمد عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من سره أن يمد له فى عمره ويزاد له فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه»** وروى أبو يعلى والطبرانى والحاكم عن معاذ بن أنس أن رسول الله ﷺ قال: **«من بر والديه طوبي له زاد الله فى عمره»**.

ومن هذا الجزاء الطيب فى الحياة. أن الناس إذا أبروا والديهم ترك ذلك أثرًا طيبًا فى نفوس أولادهم فيبروهم كما بروا ويحسنون إليهم كما أحسنوا والجزاء من جنس العمل. روى الحاكم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«بروا آباءكم تبركم أبناؤكم»**.

ومن هذا الجزاء الطيب لبر الوالدين فى هذه الحياة ما ذكره الإمام الطبرى فى تفسيره يقول: كان رجل من بنى إسرائيل من أبر الناس. بأهله وأن رجلاً مر به معه لؤلؤ يبيعه وكان أبوه نائمًا وتحت رأسه المفتاح - يعنى مفتاح خزانة المال - فقال له الرجل: تشترى منى هذا اللؤلؤ بسبعين ألفًا. فقال له: انتظر حتى يستيقظ أبي فأشتريه منك بثمانين ألفًا. قال صاحب اللؤلؤ: أيقظ أباك وهو لك بستين ألفًا فما زال يحط له ليوقظ أباه حتى بلغ ثلاثين ألفًا وزاد الآخر ينتظر حتى يستيقظ أبوه حتي بلغ مائة ألف فلما أكثر عليه قال: والله لا أشتريه منك بشىء أبدًا. فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ أن جعل له تلك البقرة فمر بنو إسرائيل به يطلبون البقرة التى أمرهم موسى بذبحها، هذه البقرة التى ورد ذكرها فى القرآن والتى سميت سورة باسمها فأبصروا البقرة عنده فسألوه أن يبيعهم إياها البقرة ببقرة فأبى. فأعطوه اثنين فأبى فزادوه حتى بلغوا عشرًا فأبى. فقالوا: والله لا نتركك حتى نأخذها منك فانطلقوا به إلى موسى وقالوا: يا نبى الله إنا وجدنا البقرة عند هذا فأبى أن يبيعنا إياها فقال له موسى: أعطهم بقرتك. قال يا نبى الله أنا أحق بمالى. قال: صدقت. وقال للقوم: أرضوا صاحبكم فأعطوه وزنها ذهبًا فأبى حتى أعطوه وزنها عشرات مرات فباعهم إياها «فانظر أيها الأخ الكريم كيف أن الله عوضه عن ربح هذا اللؤلؤ أضعاف أضعاف جزاء إكرامه لأبيه وعدم إيقاظه وإزعاجه.

أما ثواب الآخرة فإن إكرام الوالدين وبرهما لا يقل عن الجهاد فى سبيل الله، روى أبو يعلى والطبرانى قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه، فقال ﷺ: **«هل بقى من والديك أحد؟»**. قال: أمى. فقال له: **«قابل الله تعالى فى برها فإن فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد»**، وبعد: فإنه لن يوفى الإنسان والديه حقهما مهما بذل لهما من معروف ولقد لقى رجل عبد الله بن عمر وهو يحمل أمه على ظهره فى الحج فقال: أردت أن أكافىء أمى. وأخدمها بنفسى وأنا اليوم أحملها على ظهرى فى الحج أفترى أنى قد كافأتها؟ قال: لا ما جزيتها قال: ولم؟ قال: لأنها كانت تحتمل منك فى صغرك وتتمنى حياتك وأنت اليوم تحتمل منها فى كبرها وتنتظر وفاتها فشتان ما بينكما.

٥ - جزاء عقوق الوالدين :

العقوق مأخوذ من العق وهو القطع. والمراد به: عقوق الوالد من ولده بقوله أو فعله، وذلك كالتأفف من الوالدين والتحرج من مجالستهما، والإعراض عنهما وعدم طاعتهما، والسخرية منهما ومن تصرفاتهما، لا سيما فى كبرهما. وربما تمادى الولد فى عقوق والديه، فيرفع صوته عليهما، ويغلظ القول لهما، وربما يتبجح ويبالغ فى العقوق فيرفع يده على والديه بالضرب، أو بأى لون من ألوان الإيذاء ناسيًا أو متناسيًا عظيم فضلهما عليه وجميل إحسانهما إليه. ولست أدرى بأى منطق وبأى مروءة يتعامل العاق لوالديه معهما، فيسيئ إليهما جزاء ما قدما فى سبيل تربيته، وتنشئته وتعليمه من تضحية وفداء، فلطالما جاد الوالد على ولده بأعز ما يملك؛ من دمه وصحته وماله آملاً أن يرحمه فى كبره كما رحمه فى صغره، وأن يرعاه فى شيخوخته كما رعاه فى صباه، ولقد نهى القرآن الكريم عن أقل درجات الإساءة للوالدين فقال تعالى: ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا**

كَرِيمًا﴾ (سورة الإسراء الآية ٢٣)، يروى البيهقى وغيره عن جابر رضي الله عنه. جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إن أبى ظلمنى يريد أن يأخذ مالى. فقال ﷺ: **«فاذهب فأتنى بأبيك»** فنزل جبريل يقول له: يا محمد، إن الله يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فسله عن كلام قاله فى نفسه ما سمعته أذناه فلما جاء الشيخ. قال له رسول الله ﷺ: **«ما بال ابنك يشكوك تريد أن تأخذ ماله؟»** قال: سله يا رسول الله، وهل أنفقته إلا على عماته وخالاته، أو على نفسى. فقال ﷺ: **«إيه دعنا من هذا، حدثنى عن شىء قلته فى نفسك ما سمعته أذناك»** فقال الرجل: والله ما يزال الله يزيدنا بك يقيناً يا رسول الله، لقد قلت فى نفسى كلاماً ما سمعته أذناى. فقال ﷺ **«قل وأنا أسمع»**. فقال الرجل:

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً
تعل بما أجنى إليك وتنهل
إذا ليلة ضاقتك بالسقم لم أبت
لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى
طرقت به دونى فعينى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وإنها
لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى
إليها مدى ما كنت فيها آمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة
كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتى
فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال راوى الحديث. فحينئذ أخذ النبى ﷺ بتلابيب ابنه وقال له: **«أنت ومالك لأبيك»**.

إن عقوق الوالدين إثم كبير وذنب عظيم، وهو أفظع الكبائر بعد الشرك بالله، يقول ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر»** قال الصحابة: بلى يا رسول الله: قال ﷺ: **«الإشراك بالله وعقوق الوالدين»** وكان ﷺ متكئاً فجلس وقال: **«ألا وقول الزور وشهادة الزور»**.

إن الله أعد لمن يعق والديه عقاباً معجلاً فى دنياه قبل آخرته، وفى حياته قبل موته. وعن أبى بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله تعالى يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات»**.

أيها الجحود لإحسان والديك، أأمنت قصاص العدالة؟ أأمنت انتقام القدر،؟ ما أسرع ما تدور الأيام دورتها، ولسوف يتقدم بك السن وينزل بك المشيب، وتوهنك الليالى والأيام، وتهرمك الشهور والأعوام ولسوف يرزقك الله من الأولاد من يجزيك كفراناً بكفران، وعقوقاً بعقوق، وجحوداً بجحود. **﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾** (سورة الحج الآية ١٠) . وصدق رسول الله ﷺ: **«البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت. افعل ما شئت كما تدين تدان»**. ومن العقاب المعجل فى الدنيا أن الله يستجيب دعاء الوالدين على ولدهما. فقد روى أبو داود والترمذى، أن رسول الله ﷺ قال: **«ثلاث دعوات مستجابات، لاشك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالدين على ولدهما»**.

وإن فى التاريخ لعبرة، يروى التاريخ أن رجلاً كبر عنده أبوه، فعزله يأكل وحده فى إناء خاص به، وتصادف أن عثرت قدم الرجل الكبير بالإناء فانكسر، فوضع له إناءً من الخشب حتى لا ينكسر، وبينما يأكل الشاب سعيداً مع أسرته وأولاده على المائدة، سأله أحد صغار أولاده فى براءة: لماذا وضعت لجدى هذا الإناء من الخشب؟ قال أبوه: حتى لا ينكسر كما انكسر الإناء قبله. فقال الولد فى براءة: حسناً فعلت سنحتفظ لك يا أبتاه بهذا الإناء، حتى إذا كبرت وصرت مثل جدى وضعناه لك لتأكل فيه.

وحينئذ أدرك الشاب خطأه فى حق أبيه وأحس بسوء المصير الذى ينتظره فأقبل على يد والده وقدمه يقبلهما ثم ضمه إلى الأسرة كما كان.

أما عقاب ذلك فى الآخرة فشديد فإن العاق لوالديه مطرود من رحمة الله محروم من جنته. فلقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال **«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بعطيته، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والديوث والرجلة - أى المرأة المتشبهة بالرجال فى زيها وهيأتها»**.

وبعد، فيا أيها الأبناء الكرام لا تستوجبوا سخط الله عليكم بعقوق والديكم، ولا تستعجلوا ازدراء الناس لكم، واحتقارهم لصنيعكم فى هذه الحياة، ولا تشتروا بشركم هذا فى الناس القدوة السيئة والأسوة المرذولة، والمثل الدنىء، وبروا والديكم، وأحسنوا إليهم يحسن الله إليكم ويجزكم خير الجزاء.

الدين والحياة

- حماية البيئة فى الإسلام
- أمراض الكبد والوقاية منها .. نظرة طبية إسلامية
- نظرات جادة فى منبر الإسلام (٨) (لا يأس مع الحياة)

فى يوم البيئة العالمى

حماية البيئة فى الإسلام

د. خالد حامد سعد خليفة

يحتفل العالم فى الخامس من يونيو كل عام بيوم البيئة العالمى، وذلك بمناسبة انعقاد أول مؤتمر دولى للبيئة فى استكهولم عام ١٩٧٢م، والذى على أثره تفجرت قضية البيئة وتوالت صيحات التحذير للعالم تنبهه إلى وجود المشكلات البيئية، وتبين خطورتها على الحياة البشرية، وتعتبر المشكلات البيئية المعاصرة نتاجًا تراكميًا للممارسات التى تمت من قبل المنظومة الاجتماعية فى غياب المفاهيم البيئية لدى هذه المنظومة بمؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وما استخدمته هذه المنظومة من آليات ملوثة للبيئة ومواردها من خلال عمليات تحويل هذه الموارد إلى منتجات مصنعة فى صورة سلع وخدمات مما أخل بالتوازن البيئى، فضلا عن الاستخدام الجائر للموارد الطبيعية، الأمر الذى أدى إلى استنزافها.

ولقد اهتم الإسلام بقضية حماية البيئة لأنها هى الرحم الذى يحتوى الإنسان، وتبين لنا آيات القرآن الكريم كيف خلق الله هذه البيئة فى مكوناتها المختلفة فى إطار موزون، لأنه سبحانه وتعالى خلق كل شىء بقدر ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ (سورة القمر الآية ٤٩).

وينبع الاهتمام بالحفاظ على البيئة وحمايتها من الالتزام بالمنهج الإلهى الحكيم، حيث توجب الأوامر الإلهية على الإنسان فى تعامله مع البيئة وعدم الإسراف فى مواردها، والبُعد عن الإفراط فى استعمال خيرات الموارد الطبيعية: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ (سورة الأعراف الآية ٣١). ويقول الحق تبارك وتعالى فى التحذير من الإسراف ليس فى المأكل والمشرب، بل فى كل شىء: ﴿**وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ • الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ**﴾ (سورة الشعراء الآيتان ١٥١ ، ١٥٢)، فقد نهانا الله جل شأنه عن الإسراف فى أى شىء، الأمر الذى يحفظ للبيئة مواردها ويحفظ للإنسان والحيوان والنبات حياتهم، فالإفساد فى البيئة فى أى عنصر من عناصرها فيه مخالفة لأمر الله عز وجل فيما استخلفنا فيه، سوف يحاسبنا عليه فى الآخرة، بعد أن نكون قد أفسدنا حياتنا فى الدنيا، فالمسئولية الأخلاقية تجاه البيئة تحتم علينا كما يأمرنا الحق تبارك وتعالى بعدم الإفساد فى الأرض: ﴿**وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ (سورة العنكبوت الآية ٣٦).

ويؤثر فى البيئة عدد من الظواهر تعمل على اختلال توازنها، بل وتدهورها أيضا مثل: ظاهرة الاحتباس الحرارى، والتصحر، وتآكل طبقة الأوزون، وفقدان التنوع البيولوجى، ولكن أهم هذه التحديات على الإطلاق، التلوث بمختلف صوره، تلوث الماء أو الهواء أو الأرض، والتلوث البيئى مشكلة عالمية، ولقد أخذ التلوث البيئى بشكل خاص والمشكلات البيئية الأخرى بشكل عام صفة العالمية، لأن الملوثات بمختلف أنواعها لا تعرف حدودًا سياسية أو إقليمية، فقد يظهر التلوث فى دولة لا تمارس نشاطًا صناعيًا أو تعدينيًا، ودلك نتيجة لانتقال الملوثات من دولة ذات تلوث عال إليها. فتسهم الرياح والسحب والتيارات المائية فى نقل الملوثات من بلد إلى آخر، وقد عرف القانون المصرى رقم ٤ لسنة ١٩٩٤م تلوث البيئة بأنه «أى تغيير فى خواص البيئة يؤدى بطريق مباشر أو غير مباشر إلى الإضرار بالكائنات الحية أو المنشآت أو يؤثر على ممارسة الإنسان لحياته الطبيعية»، فالتلوث هوالعدو الأول البيئة الذى يعمل على تدهورها بما يقلل من قيمتها أو يشوه من طبيعتها أو يستنزف مواردها.

مفهوم التلوث فى القرآن الكريم:

لم ترد فى القرآن الكريم كلمة «تلوث» بلفظها ولكن بمفهومها اللغوى، ويمكن القول أن كتاب الله الحكيم قد عبر عن مضمونها ولكن بلفظ «الفساد».

وقد وردت مادة «فسد» فى القرآن الكريم فى العديد من الآيات القرآنية بلغت (٥٠) مرة منها ما يلى:

قال تعالى: **﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾** (سورة البقرة الآية ٢٠٥)، وقال تعالى: **﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾** (سورة البقرة الآية ٦٠).

والفساد مفهوم يتسع لكل الأعمال الضارة بالبيئة أو مصادر تهديدها أو كل ما يؤدى إلى إحداث الخلل والاضطراب فيها بحيث يعنى الفساد تلويث البيئة

أكبر الإسلام أمر البيئة وأعلى من شأنها وجعل الحفاظ عليها جزءًا من برنامجه فى الطاعة والعبادة

وكذلك استنزاف مواردها والتبذير فى استخدامها على نحو يهدد دوامها لصالح الأجيال المقبلة.

وقد نهى ﷺ عن تلويث مصادر المياه، أو قضاء الحاجة فى طريق المارة، وشدد على من يقطع شجرة أو يحارب الخضرة، فعن عبد الله بن حلشى قال: قال رسول الله ﷺ **(من قطع سدرة صوب الله رأسه فى النار)**.

سئل أبو داود عن معنى الحديث: فقال هذا الحديث مختصر يعنى من قطع سدرة فى فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثًا بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه فى النار (أبو داود ج٤ / ص ٣٦١).

الإسلام والضوابط الأخلاقية فى حماية البيئة:

قال تعالى **﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾** (سورة الأعراف الآية ٥٦) وأن هذه البيئة من أرضها خُلقنا، وفيها استعمرنا الخالق سبحانه وتعالى، ولذلك وجب على الإنسان أن يصلح ولا يفسد ويعمر ولا يدمر: **﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾** (سورة هود الآية ٦١).

ثم يحض ﷺ على الغرس والزرع عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال **(ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)**. (رواه البخارى ومسلم والترمذى).

ليس هذا فحسب بل يأمر المسلم، فيقول ﷺ: **(إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع الا يقوم حتى يغرسها فليغرسها)** - (رواه أحمد). فقد بلغ من حرص الإسلام ومحافظته على البيئة وما تحتويه من ماء وهواء وأرض أن حث على الزرع

والغرس إلى يوم القيامة ونهى عن قطع الأشجار والنخيل وحرقها، ولم تغفل السنة الحفاظ على النظافة الشخصية واستعمال الطيب، كما جاء فى الاغتسال والوضوء فعن عبد الله بن السباق المدنى الثقفى أن الرسول ﷺ قال: فى جمعة من الجمع: «**يا معشر المسلمين إن هذا يوم جعله الله عيدًا فاغتسلوا ومن كان عنده طيب فلا يضره أن يمس منه وعليكم بالسواك**». (أخرجه مالك)، كما أمرنا بالوضوء لكل صلاة، وأمرنا بنظافة الماء والحرص على طهارته، فعن جابر رضي الله عنه عن النبى ﷺ **(أنه نهى أن يبال فى الماء الراكد)**، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ **(نهى أن يتنفس فى الإناء أو ينفخ فيه)**، وكذلك الحفاظ على نقاء الهواء وعدم تلويثه، فنهى الرسول ﷺ عن كل ما يلوث الهواء بالروائح الكريهة، كما نهى عن إيذاء الناس برائحة الثوم والبصل، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا، أو فليعتزل مساجدنا».

ومن التوجيه الأخلاقى فى التعامل مع البيئة عدم الإخلال بالتوازن البيئى سواء فى غاباتها، ومزروعاتها، وحيواناتها وطيورها، حتى حشرات الأرض ثبت أن التخلص من بعضها له تأثير سلبى على توازن بعض هذه المخلوقات على بعضها، وبات من المؤكد لدى العلماء، أهل الاختصاص أن أى تعد على عناصر البيئة يحدث إخلالاً بمكوناتها.

حماية الإسلام للحيوان والنبات والحفاظ على توازن البيئة:

وضع الإسلام منهجًا فى التعامل مع الحيوان كمكون من مكونات البيئة وجنس من أجناسها من حيث رعايته والحفاظ عليه وعدم إيذائه أو استخدامه فى غير مصلحة، أو ذبحه لغير منفعة، وعدم قتله إلا لدفع أذاه أو درء ضرره، ويُعد ذلك نموذجًا للحفاظ على التنوع البيولوجى والتوازن البيئى، فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، فلا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض**».

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ «نهى عن قتل أربع من الدواب: النملة والنحلة والهدهد والصُرد» أما نهيه عن قتل النمل فإنما أراد به نوعًا منه خالصًا وهو الكبار ذوات الأرجل الطوال لأنها قليلة الأذى والضرر، وأما النحلة فلما فيها من المنفعة. وأما الهدهد والصُرد (أبو قردان) فإنما نهى عن قتلهما لتحريم لحمهما، ولأنهما صديقان للفلاح والبيئة يتغذيان على الديدان والحشرات والآفات الزراعية، ولا شك أن أمر الله سبحانه وتعالى إلى سيدنا نوح لكى يأخذ من كل زوجين فى سفينته، هو أول درس للإنسانية للمحافظة على النوع البيولوجى، حيث قال تعالى فى كتابه المبين: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾ (سورة هود الآية ٤٠)، وهذا له شأن كبير فى حماية الحيوان والنبات وحفظ التوازن البيئى. ويقول الله فى كتابه الكريم ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ • الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ**﴾. (سورة البقرة الآيتان ٢١ ، ٢٢)، ثم قوله سبحانه ﴿**وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ • وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ • وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ (سورة الحجر الآيات ١٩ - ٢٢).

لقد أكبر الإسلام أمر البيئة وأعلى من شأنها، وحرص على تعظيم دورها، واستمرارها فى بقاء الحياة والأحياء، وأولاها عناية خاصة، ووضعها فى الاعتبار، وأحلها المقام اللائق بها، بل جعل الحفاظ عليها جزءًا من برنامجه فى الطاعة والعبادة.

«أمراض الكبد والوقاية منها»
نظرة طبية وإسلامية

د/ عبد المعبود عمارة

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان فى أحسن تقويم، وكرمه أعظم تكريم وجعله فى الأرض خليفة، وحمله الأمانة التى عرضها الله سبحانه على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا، وكان من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ النفس، وحرمت الشريعة الإسلامية الإساءة إلى البدن سواء أكانت الإساءة بتعريض النفس للأذى البدنى، كأن يعرض الإنسان نفسه إلى التهلكة بتعرضها للعدوى بالأمراض أو التعرض لملوثات البيئة أو ترك التداوى لقوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ الآية ١٩٥ من سورة البقرة وقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ الآية ٢٩ من سورة النساء. وقوله ﷺ: «يا عباد الله تداووا» وجسم الإنسان يحتوى على كثير من الأعضاء التى تتأثر بالبيئة وتلوثها والإصابة بكثير من الأمراض والفيروسات كغدة الكبد التى لايمكن للإنسان الاستغناء عنها، واعتلالها يسبب الوهن والضعف وتعوق الإنسان عن العمل وتسبب خسارة فادحة فى الاقتصاد القومى.

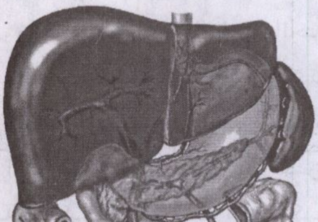

غدة الكبد:

هو أكبر عضو من أعضاء جسم الإنسان، معقد التركيب وفوائده متعددة، ويقع فى الناحية اليمنى من أعلى البطن تحت الحجاب الحاجز مباشرة بجوار المعدة والإثنى عشر والبنكرياس والكلى اليمنى، تحت الضلوع مباشرة، ومن وظائف الكبد أنه يقوم بتحويل المواد الغذائية إلى مواد كيميائية لازمة وضرورية للحياة ويقوم بتصنيع بروتينات الدم وخاصة الألبومين، وإذا نقص هذا الأخير اختل التوازن فى الضغط

الأسموزى ويتورم الإنسان، وبروتين الإلبومين ضرورى لالتئام الجروح مثل العمليات الجراحية، ويفرز الكبد مادة الصفراء اللازمة للهضم وكذلك مادة البروترومين المانع للنزيف، والكبد يخلص الجسم من السموم التى يتناولها الإنسان أو يستنشقها وكذلك يخلص الجسم من سموم الأدوية وسائر ملوثات البيئة.

والكبد يعتبر مخزنا للطاقة فهو يختزن الكثير من احتياجات الجسم من النشويات «الجليكوجين» والدهون، والفيتامينات والمعادن والحديد ويمد الجسم بها وقت الحاجة، كما أن الكبد يساعد على نمو الطفل، ويعتبر من أهم أجهزة المناعة، ويصنع الدم فى الجنين وهو فى بطن أمه، وبالجملة فالكبد هو الحياة وهو مكمن الخير وبناء الإنسان وسلامته وجهازه المناعى والغذائى والوقائى من الأمراض واعتلاله بسبب الإصابة بكثير من الأمراض الأخرى.

أمراض الكبد:

إن أمراض الكبد كثيرة ولكن أكثرها انتشاراً هو تليف الكبد الذى يحدث بسبب الإصابة بالبلهارسيا أو الإصابة بالفيروسات الكبدية مثل فيروس سى، بى وغيرهما ومعنى التليف هو تحول الخلايا الكبدية المتفاعلة مع دورة الحياة إلى كتل من الألياف التى ذبلت خلاياها وأصبحت مصدراً للفشل الكبدى، وتليف الكبد غير مُدرَك فى بداية المرض وقد ينشأ تليف الكبد بسبب شرب الخمر وسائر المسكرات والمخدرات، وإذا زادت نسبة التليف زادت نسبة الصفراء فى الدم وقل إفراز بروتين الألبومين والبروثرمبين وتجمعت السوائل فى الغشاء البريتونى بالبطن "ASCITIS"

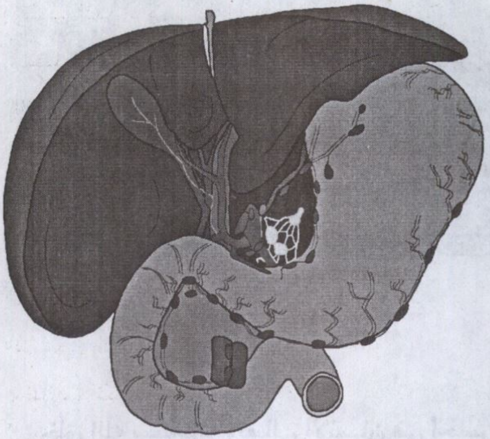

وارتفع الضغط فى الوريد البابى مما يؤدى إلى النزيف وخاصة دوالى المرىء والشرج، وقد يحدث نزف من الأسنان أو الأنف، وقد يصاب المريض بسرطان الكبد، وهو أحد المصائب التى قد تصيب الكبد.

سرطان الكبد:

تصدر هذا الوباء قائمة الإصابة بالأورام بسبب تليف الكبد وبسبب الإصابة بالفيروسات الكبدية وانتشار المبيدات المسرطنة والتلوث بمادة الدايوكسين والأفلاتوكسين المسرطنة. وكان سرطان الكبد قبل ٢٥ عامًا يمثل حالات نادرة، كما زادت نسبة الإصابة بسرطان القولون والشرج. والفيروسات الكبدية والبلهارسيا أصابت وقتلت آلاف الشباب المصريين فى سن الشباب وخاصة بين الذين يعملون بالزراعة ويصابون بأمراض البلهارسيا وبعد الإصابة بالبلهارسيا يصبح الكبد هشاً ضعيفاً، والمريض يصبح ضعيف المناعة مصابا بتضخم الكبد والطحال ودوالى المرىء، إن تلوث مياه النيل بالبلهارسيا وانتشار المبيدات المسرطنة ومخلفات المصانع والقمامة

وتلوث الغذاء والتربة الزراعية تعد أهم الأسباب المساعدة فى انتشار الفيروسات والتى تؤدى فى النهاية إلى الكثير من الأمراض ومنها سرطان الكبد والقولون والشرج والتى أصبحت تصيب الشباب وتزيد الإصابة بها فى دلتا النيل أكثر من الصعيد بسبب التلوث فى مياه الشرب التى تتلوث بمياه الصرف الصحى ومخلفات المصانع، وعلى مريض التليف الكبدى المتابعة الدورية بتحليل وظائف الكبد والكلى وصورة الدم ودلالات الأورام والأشعة الصوتية للوقوف على حالة الكبد أولاً بأول بمعرفة الطبيب المختص.

الوقاية من أمراض الكبد والسرطانات:

أولاً: يجب القضاء على مرض البلهارسيا القاتل والمنهك والمدمر لأكباد المصريين والقضاء على قواقع البلهارسيا فى مياه النيل والترع والمصارف وعدم التبول أو التبرز فى المجارى المائية، والكشف الدورى على الفلاحين وعلاج الحالات المصابة.

ثانيًا: القضاء على الإصابة بالفيروسات الكبدية لعلاجها والوقاية منها واستخدام السرنجات المعقمة مرة واحدة وتجنب العدوى باستعمال أدوات الغير كأدوات الحلاقة وفرش الأسنان ومقصات الأظافر وأدوات التجميل. ويجب تعقيم أدوات طبيب الأسنان تعقيما طبيا سليما والقضاء على القمامة والذباب والحشرات وعدم تناول الأطعمة من الباعة الجائلين. ويجب الكشف الدورى على طلاب المدارس وعمال المصانع وتطعيم الأطفال ضد الفيروسات الكبدية وعلاج من تثبت إصابته بأحد الفيروسات.

ثالثًا: التوقف فورًا عن الصرف الصحى فى النيل والضرب بيد من حديد على من يلوث مياه النيل وخاصة المصانع الملوثة للبيئة. وعدم استخدام المبيدات المسرطنة والاهتمام بالبيئة ومراقبة صانعى الأغذية كالطعمية والبطاطس فى المحال وتحليل الزيوت المستخدمة وقياس نسبة مركبات الدايوكسين المسرطنة بها، ومراقبة التخزين الخاطئ للحبوب والبقوليات والفول السودانى والامتناع عن شراء الحبوب الملوثة بمادة الافلاتسوكين المسرطنة والتى توجد فى الحبوب والبقوليات المحتوية على العفن والفطريات.

رابعًا: اتباع الهدى النبوى بالطهارة والنظافة الشخصية وعدم التبول أو التبرز فى الماء والظل وقارعة الطريق لنهيه ﷺ عن ذلك، ونظافة المنازل والقضاء على الحشرات والبعد عن مصادر المواد المشعة، وعدم تناول الأدوية إلا بإذن الطبيب المختص، والأخذ بأساليب العلاج الحديثة لأمره ﷺ بالتداوى **«يا عباد الله تداووا»** إن علاج فيروسات الكبد أصبح الآن متوافرا فى المستشفيات الحكومية بالمجان، وأصبح علاج سرطان الكبد فى مراحله الأولى يتم بنجاح بطرق متعددة، وأصبحت زراعة الأعضاء سهلة ومتاحة، ويجب الدعوة إلى التبرع بالأعضاء لإنقاذ حياة المئات من مرضى التليف المتقدم وأورام الكبد فى بعض مراحله. وذلك تحت إشراف الدولة لعدم التلاعب فى موضوع التبرع لضمان تحقيق شروطه. والله هو الهادى لما يحبه ويرضاه إنه سميع قريب.

نظرات جادة.. فى منبر الإسلام.. (٨)

لا يأس مع الحياة

المستشار/محمد التهامى

يقول الشاعر الجاهلى:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنَها

فلم تهِنْ وأوهى قرنه الوعَل

وكما قلنا أكثر من مرة أن الشعر العربى الجاهلى هو عطاء موهبة إنسانية نادرة تتألق فيها قمة الطاقة البشرية الحسية الشعورية والعاطفية والفكرية والعقلية والتعبيرية والخيالية والتصويرية وكل ذلك فى وعاء موسيقى ساحر جداً ساد طويلا حتى جاء الخليل بن أحمد فى العصر الإسلامى، فحاول تقنين هذه الموسيقى فيما سماه علم العروض ومن يتعمق الموضوع يتضح له أن العلم شىء والشعر شىء آخر.

والمهم أن البيت من الشعر الذى نحن بصدده يحاول فيه الشاعر بعبقرية نادرة أن يصور المستحيل المتمثل فى تفتيت الصخر وهو أقوى شىء أمامه فاستبعد توظيف الإنسان لأنه صاحب عقل ولذلك فهو لا يحاول المستحيل فيوظف الحيوان (الوعل) الذى يتصور لغروره وقوة قرونه أنه يستطيع تحطيم الصخرة المستحيل فينطحها فتتكسر قرونه وهذا جزاء من يحاول المستحيل ... ومع قسوة التشبيه وفجاجته وهبوطه عن مستوى الإنسانية إلا أنى لا أخجل من الهبوط إليه وأكرر أننا سنعيد المحاولات لأننا لا نستطيع الوقوف والزمن يجرى بنا وليكن شعارنا (علىّ أن أسعى وليس علىّ إدراك النجاح) (ولابد لمدمن القرع للأبواب أن يلج).

وموضوعى الذى يؤرقنى إلى حد كبير جداً والذى لا أملّ من الطرق على صخرته هو تصحيح مناهج التدريس فى مواد التاريخ والتربية القومية فى المدارس فى الدول الأجنبية، وتنقية هذه المناهج من الأكاذيب التى تشوه التاريخ الإسلامى وتنال من شخصية النبى الكريم محمد ﷺ، وقد فصلنا فى مقالنا السابق هذا الأمر ونعود للتكرار، فإذا لم تنجح الطرقة الأولى فقد تنجح الثانية أو الثالثة أو العاشرة، وحينذلك يتعذر التحديد هل الأولى أم العاشرة هى صاحبة الفضل فى الشفاء من هذا الداء الخطير المستشرى حيث يُلقن للقاعدة الشعبية العريضة ويحفظه ويمتحن فيه الجميع على سواء.

ولقد سبق أن فصلت فى مقالاتى السابقة جهود مكتب السياسة العربية فى أسبانيا الذى تشرفت برئاسته فى هذا السبيل ثم جهود لجنة التعريف بالإسلام والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ووزارة الأوقاف ثم المؤتمر الذى عقدته اليونسكو للتصويب فى الجامعة العربية وشاركت فيه لجنة التعريف، ونفذت توصياته فيما يتعلق بالتغيير فى مناهج دراسة الدين فى مدارسنا فقط، سامحهم الله ووقانا شر المضلين والمضللين.

ولقد فصلنا فى مقالنا السابق أيضا ما نشر على لسان وزيرة التعليم فى إيطاليا (ماريا ستيلا) من رغبة إيطاليا فى تصحيح برامج التعليم، واتفاق الوزيرة مع وزير التعليم العالى المصرى الدكتور هانى هلال على عقد مؤتمر ثقافى فى روما فى يونيو ٢٠١٠م ليدرس المتخصصون هذا التغيير، ورجونا معالى الدكتور رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية رجاء ملحّا؛ لأن يسارع المجلس بالاتصال بالدكتور طه مطر مدير المركز

الرغبة فى التقدم تتحرك فى أعماقنا ولا ينقصنا إلا التنظيم وخطوات البدء الواعية

الثقافى المصرى بروما، ويضع تحت نظره سابق مجهودات وزارة الأوقاف فى هذا السبيل.

ومن حسن الحظ أن جاءت زيارة الرئيس مبارك الأخيرة لروما والوفد المصرى الكبير واجتماعاته مع الرئيس الإيطالى (نابوليتانو) ورئيس الوزراء (بيرلسكونى) والخبراء الإيطاليين، وتوقيع أكثر من عشرين اتفاقية سياسية واقتصادية وثقافية، والاتفاق على إنشاء جامعة إيطالية فى مصر وكل ذلك يبشر بنجاح محاولات وزارة الأوقاف لتصويب مناهج التدريس فى مواد التاريخ والتربية القومية فى إيطاليا وتنقيتها من الأخطاء فى حق الثقافة الاسلامية وشخصية النبى الكريم ﷺ، فإن ذلك لا يمكن أن يرضاه مثقف واحد مهما كان دينه فى القرن الحادى والعشرين الذى بلغت فيه الثقافة العالمية مستواها الرفيع الذى ينأى عن الشوائب.

والحمد لله الذى قيض إيطاليا لتستجيب إلى محاولات مصر على أرفع مستوى ليقوم التعاون الكامل بين البلدين فى النهضة العالمية العامة وخاصة النهضة الثقافية، وقد جاء حرفيا على لسان بيرلسكونى رئيس وزراء إيطاليا كما نشر فى جريدة الأهرام ومجلة أكتوبر (هناك العديد من الاتفاقيات تم توقيعها بين وزراء البلدين لتدشين مرحلة جديدة فى العلاقات فى مجالات الزراعة والصناعة والثقافة والمواصلات).

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الزيارة كانت القمة الثالثة التى يعقدها الرئيس مبارك مع الرئاسة الإيطالية، ولا يخفى أن هذه القمم هى العلم الذى تنطلق تحته المجهودات المثمرة على جميع المستويات لتحقيق الهدف الكبير المنشود، وليت منبر الإسلام تتقدم الصفوف.

ومما يضاعف أملى فى «منبر الإسلام» ويدفعنى إلى المبالغة فى الحديث إليها ومحاولة دفعها إلى المبالغة فى تكرار دعواتها وتحركاتها الواعية لإيقاظ النهضة الإسلامية الواعية التى نملك كل عناصرها، فعندنا العلماء الكبار المتخصصون فى كل المجالات، وتتعالى عندنا الصرخات الواعية فى أكثر من مكان وتتحرك فى أعماقنا الرغبات فى التقدم، ولا ينقصنا إلا التنظيم وخطوات البدء الواعية.

ومما لفت نظرى أخيرا ما نشر فى مجلة أكتوبر العدد ١٧٤٩ فى ٢٠١٠/٥/٢م ص٢٨ عن موضوع فى منتهى الطرافة من وجهة نظرى عن معهد الحوار المصرى الدانماركى الذى تأسس فى القاهرة عام ٢٠٠٤م ومديره الدكتور (راسموس الينوس) الذى قال فى الحوار الذى أجراه معه الأستاذ أيمن سمير «أن اختيار القاهرة كمقر للمعهد جاء نظرا للدور الحيوى المصرى فى التقريب بين الشرق والغرب فى إحياء عملية السلام مؤكدا أن غالبية الشعب الدانماركى مع الانفتاح على العالم الاسلامى».

وهذا الكلام يحتاج إلى وقفة طويلة وتمعن كثير من ناحية أن هذا المعهد أنشئ قبل عامين من أزمة الرسوم الكاريكاتورية عن الإسلام والنبى الكريم ﷺ، وبما أننا نخاطب الناس جميعاً فيمكن أن نقول أنه ليس سكان الدانمارك جميعًا مع أصحاب الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للإسلام، بل يمكن أن تكون الغالبية ضدها، ولكن حرية التعبير فى البلاد المتحضرة مكفولة للجميع، وقد قال مدير المعهد: إن هناك عمدة مسلم لمدينة كبرى جاء بالانتخاب، وهناك مسجد كبير فى (كوبنهاجن) تختلف حوله الآراء.

ومن هنا أعتقد وأدعو الله ألا أكون مخطئًا أنه يمكن استثمار هذا المعهد من جانب منبر الإسلام والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ووزارة الأوقاف ليكون بصيصاً من النور ندخل منه إلى عالم الغرب عن طريق الدانمارك وما ذلك على الله بعزيز فالله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم يطلبان منا أن نعمل كل شىء نستطيعه فى سبيل الإسلام والحياة الإسلامية مادام فينا نفس يتردد وليتنا نذكر الحديث الشريف الذى معناه إذا قامت القيامة وفى يد الإنسان فسيلة فليغرسها قبل أن يموت وسيتولاها الله حتى تنبت وتزهر وتثمر وتبذل عطاءها للناس فى كل زمان ومكان.

ومما يطمعنى فى سماحة منبر الإسلام أنى لا أعد ما قلته الآن شططا ولكنه من قبيل الأحلام التى يعيش بها الشعراء، ويسكبوا منها العطر على شظف الحياة الدنيا وقسوتها، ويقينى أن مدير المعهد المشار إليه لا يمكن أن يرضى أن تدرس فى جميع المدارس برامج الإساءة للإسلام كما أن يقينى أن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لا يمكن أن يرضى أن نسكت على هذه الإساءة وفى أجسادنا عرق ينبض والله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن عباده الصادقين العاملين.

أقلام نسائية

- النجاشى (أصحمة) الصحابى التابعى
- علاقة المسلمين بيهود الأندلس

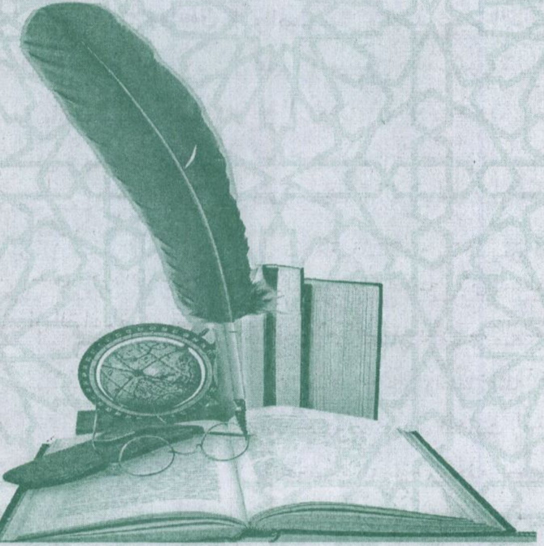

النجاشى (أصحمة) الصحابى التابعى

د. سامية منيسى

يطلق لقب (نجاشى) على ملوك الحبشة، كما يطلق لقب (الأكاسرة) على ملوك الفرس، (والقياصرة) على ملوك الروم. وقد اختلف فى معنى لقب (نجاشى)، إلا أنه فى الغالب يطلق على الرجل القدير على استخراج بواطن الأشياء والأمور (انظر المعجم الوسيط).

وأما اسم «أصحمة» فهو بالنبطية، ومعناه بالعربية «عطية» كما يذكر ذلك ابن قتيبة. والمعروف أن العلاقات بين العرب والأحباش تعود إلى عصور قديمة سابقة على الإسلام، بل إن سكان الحبشة تكونوا نتيجة هجرات سامية وفدت من شبه الجزيرة العربية إلى تلك البلاد فى عصور ما قبل الميلاد. وكان من المنتظر أن تستقر العلاقات السياسية بين هذين الشعبين لولا أطماع الأحباش فى السيطرة على التجارة التى تمر بالبحر الأحمر وعبر بلاد العرب، لذا حدث صدام بين الشعبين أكثر من مرة منها ما ورد فى القرآن الكريم عن أبرهة وأصحاب الفيل والطير الأبابيل (سورة الفيل).

فللحبشة أهمية تاريخية واقتصادية كبيرة لدى عرب الجزيرة سواء كان ذلك فى عهد رسول الله ﷺ أو ما قبل ذلك بكثير.

هذا، وقد تكالبت الدول المختلفة للسيطرة على بلاد الحجاز لأهميتها كشريان تجارى رئيسى عالمى بين الشام والبحر المتوسط واليمن والحبشة والصومال والهند عبر البحر الأحمر، لذا تتابع عليها المعينيون والسبئيون ثم الحميريون، ثم الأنباط ثم الرومان، ثم البيزنطيون، إلا أن البيزنطيين فشلوا فى حملاتهم للسيطرة على بلاد الحجاز بسبب فشل حملة أبرهة وحلفائهم الأحباش.

ثم ظهرت قدرات قريش التجارية ونجحت فى السيطرة على الشريان التجارى إلى بلاد الهند واحتكرت تجارة الهند بفضل زعيمها هاشم بن عبد مناف - جد رسول الله ﷺ - الذى سن رحلتى الشتاء والصيف، فكانت رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، ورحلة الصيف إلى بلاد الشام.

أما العلاقات السياسية قبيل الدعوة الإسلامية، فقد كانت علاقات طيبة حتى أنه بعد ظهور الإسلام فى جزيرة العرب على يد رسول الله ﷺ وصحابته فى مكة المكرمة، ونظرًا للاضطهاد الذى لحق بالمسلمين فى العام الخامس من البعثة

النبوية، فقد أمر الهادى البشير محمد ﷺ صحابته المسلمين بالهجرة إلى الحبشة؛ لأن تلك البلاد بها ملك لا يُظلم عنده أحد، ولأن الحبشة كانت أرضًا معروفة للعرب بسبب التجارة.

حكم أصحمة للحبشة: ورد فى المصادر العديدة عن حكم «أصحمة» روايات عديدة منها أن «أصحمة» تقلد حكم الحبشة بعد صراع طويل، حيث كان أبوه ملكًا على قومه ولم يكن له ولد إلا «أصحمة» بينما كان له أخ، له من صلبه اثنا عشر رجلاً، فأرادت الحبشة أن تحول الملك إلى أخيه ليظل ملكهم طويلاً فى أسرتهم، فقتلوا الملك وتحول المُلك إلى أخيه، إلا أن «أصحمة» تغلب بحكمته على عمه فأصبح لا يدبّر أمرًا دون أن يأخذ رأيه. فأرادت الحبشة قتله أو خروجه من بلادهم، فرفض عمه قتله، ثم باعوه لرجل عربى من بنى ضمرة، ثم ما لبث عمه أن قتلته صاعقة، فوضعوا أبناءه مكانه، إلا أنهم كانوا حمقى فأساءوا التدبير، فبحثوا عن أصحمة وأدركوه وألبسوه التاج وأجلسوه على سريره وملّكوه،

أسباب اختيار النبى ﷺ الحبشة دون سواها:

حينما آمن برسول الله ﷺ عدد من أشراف مكة وضعفائها، وتزايد عددهم، قامت قريش بتعذيبهم خاصة الضعفاء والعبيد، ولم يمنعهم من رسول الله ﷺ إلا مكانته الشريفة بين قومه وحماية عمه «أبو طالب» وزوجته «خديجة» - رضى الله عنها - له، فأشار النبى ﷺ لصحبه إلى الحبشة قائلاً: **«لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكا لايُظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه»** وقد كان ذلك فى العام الخامس من البعثة النبوية/ ٦١٥م، وكانت الحبشة متجرًا لقريش ولم يفكر رسول الله ﷺ فى أى بلد آخر؛ خوفًا من رفض دعوته، أو

كان من المنتظر أن تستقر العلاقات السياسية بين العرب والأحباش لولا أطماع الأحباش فى السيطرة على التجارة التى تمر بالبحر الأحمر

مجاملتهم لقريش لصلات بعضهم الوثيقة بها، أو للمصالح المتبادلة، أو لبعد المسافة مثل اليمن، أو الحيرة، أو الشام، أو غيرها، بالإضافة إلى قرب بلاد الحبشة من الجزيرة العربية فهى أقرب البلاد المسيحية إلى الجزيرة العربية. كما أن توثيق عرى التجارة ببلاد الحبشة جاء عن طريق أجداد رسول الله ﷺ أولاد عبد مناف بن قصى هاشم، وعبد شمس، ونوفل، والمطلب ضمن توثيق هذه العرى مع ملوك الروم، واليمن، والفرس، والغساسنة، والمناذرة، وغيرهم مع ملوك الحبشة. وأهم من ذلك كله أنه ملك عادل **(لا يُظلم عنده أحد)** كما ذكر رسول الله ﷺ.

وقد هاجر المسلمون إلى أرض الحبشة هجرتين:

الأولى: فى رجب فى العام الخامس من البعثة النبوية، وكانوا أحد عشر رجلاً، وأربع نسوة، فيهم رقية ابنة رسول الله ﷺ - رضى الله عنها - وعثمان بن عفان رضي الله عنه. وقد ظلوا فى الحبشة إلى جوار النجاشى حتى تنامى إلى علمهم إسلام حمزة ابن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب، وإسلام أهل مكة، فعادوا إلى مكة، خاصة وأن النجاشى قام ضده بعض أهل بلده، لكنهم وجدوا أن أهل مكة لم يسلموا بل زاد طغيانهم على المسلمين بعد إسلام حمزة وعمر - رضى الله عنهما -.

فعادوا مرة ثانية فى **هجرة ثانية** إلى الحبشة وكانوا فى هذه المرة ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانى عشرة امرأة، وظلوا بالحبشة فى حماية النجاشى

«أصحمة» ستة عشر عامًا توالد المسلمون خلالها حتى قدر البعض أن عددهم وصل إلى ستمائة مسلم، وكان ضمن هؤلاء: جعفر بن أبى طالب، وأم حبيبة بنت أبى سفيان، وزوجها عبيد الله بن جحش، وأم سلمة وأبو سلمة، وعثمان بن عفان ورقية وغيرهم.

موقف النجاشى «أصحمة» من المسلمين المهاجرين إلى الحبشة:

أقام المسلمون آمنين على أنفسهم ودينهم وأولادهم بجوار النجاشى لهم الحرية فى عبادة الله تعالى، وأحسن النجاشى جوارهم، إلا أن قريشًا أرسلت إلى النجاشى رسولين هما: عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبى ربيعة ومعهما هدايا للنجاشى والبطارقة منها الجلود، وغيرها. فوزعوا الهدايا على البطارقة، ثم قابل الرسولان النجاشى، وقال عمرو بن العاص له: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردوهم إليهم، فإن قومهم أعلى بهم غيّا وأعلم بما عابوا عليهم. فأمن البطارقة على كلامهما ـ وكان قد طلبا منهم ذلك - ولكن الملك (النجاشى) رفض أن يسلمهم إلى الرسولين وغضب قائلاً: (لا والله لا أسلمهم إليهما، ولا يعاد قوم جاورونى، ونزلوا بلادى، واختارونى على من سواى، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم، فإن كان كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاورونى هذا ما ذكره ابن هشام فى السيرة (ج١ ص٢٤٩ ـ ٢٥٠) من حديث أم سلمة أم المؤمنين - رضى الله عنها - ثم استطردت أم سلمة فقالت - رضى الله عنها -: ثم دعا النجاشى أصحاب رسول الله ﷺ ليحضروا للقائه مع أساقفته، وقد نشروا مصاحفهم حوله، وسألهم: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا فى دينى، ولا فى دين أحد من هذه الملل؟ فقال جعفر ابن أبى طالب: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيئ الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نُشرك به شيئًا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء من الله، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك، ورجونا ألا نُظلم عندك أيها الملك. فقال له النجاشى: هل معك مما جاء به من عند الله شىء؟ فقال: جعفر: نعم، فقال النجاشى: فاقرأه علىّ، فقرأ عليه صدرًا من «**كهيعص**» ـ أى سورة مريم ـ فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم. ثم قال النجاشى: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما، ولا يعادون.

ثم عاد عمرو بن العاص ومن معه فى اليوم التالى إلى النجاشى، وذكر أنهم يزعمون أن عيسى

ابن مريم عبد، ويقولون عليه قولاً عظيمًا. فناداهم النجاشى وسألهم عما يقولون فيه، فقال جعفر بن أبى طالب: نقول فيه ما جاءنا به نبينا ﷺ: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فضرب النجاشى بيده فى الأرض، فأخذ عودًا، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود. فتناخرت بطارقته - أى تكلمت مع غضب ونفور - حوله حين قال ذلك، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرض - والشيوم الآمنون - من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما أحب أن لى دبرًا من ذهب - وهو بلسان الحبشة الجبل - وأنى آذيت رجلاً منكم، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فىّ فأطيعكم فيه.

فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءوا به. تقول أم سلمة - رضى الله عنها - وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار (السيرة لابن هشام - دلائل النبوة للبيهقى - رفع شأن الحبشان للسيوطى) وفى رواية للبيهقى فى دلائل النبوة عن عبد الله بن مسعود أن النجاشى حينما تناول عودًا قال: يا معشر القسيسين والرهبان وما تزيدون على ما يقول هؤلاء ما تزن هذه، فمرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه نبى، لوددت أنى عنده، فأحمل نعليه، أو قال: أخدمه، فانزلوا حيث شئتم فى أرضى.

وفى رواية أخرى فى دلائل النبوة عن أبى موسى الأشعرى أنه قال: (.. فمرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله وأنه بشر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه، امكثوا فى أرضى ما شئتم وأمر لنا بطعام وكسوة).

ونظرًا لإعلان النجاشى تصديقه لرسالة محمد ﷺ، ولرفضه تسليم المهاجرين لقريش، وبشرية عيسى ابن مريم وأنه عبد الله ونبيه ورسوله وليس ابن الله، فقد خرج عليه الحبشة - وهم على النصرانية كما ذكرنا - فيذكر ابن هشام عن ابن إسحاق أنه اجتمعت عليه الحبشة وقالوا له: إنك فارقت ديننا، وخرجوا عليه، فأرسل النجاشى إلى جعفر والمهاجرين المسلمين، وأعد لهم سفنا، وقال لهم: إن هزمت فامضوا حتى تلحقوا حيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم أوهم الحبشة أنه على دينهم بينما ظل يؤمن أنه لا إله إلا الله محمداً رسول الله. ثم أرسل النجاشى وفداً إلى رسول الله ﷺ من النصارى، حين بلغهم أمره من الحبشة ليستمعوا إلى رسالته ويروا صفاته.

> **أقام المسلمون إلى جوار النجاشى آمنين على أنفسهم ودينهم وأولادهم، لهم الحرية فى عبادة الله تعالى**

وقد ذكر ابن هشام فى السيرة عن ابن إسحاق أن عددهم كان عشرين رجلاً أو قريبا من ذلك، فجلسوا إليه فى المسجد، وكان رجال من قريش فى أنديتها حول الكعبة، فلما فرغوا من سؤال رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وإلى الإسلام، ثم تلا عليهم آيات من القرآن الكريم، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا وآمنوا برسالته وصدقوه، وعرفوا منه ومن أوصافه ما كان يوصف لهم فى كتابهم بشأن نبوته. فلما قاموا من عنده اعترضهم كفار مكة وعلى رأسهم زعيم الكفر أبو جهل «عمرو ابن هشام» وقالوا لهم: «خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر

الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال؟ ما نعلم ركبا أحمق منكم» فرد عليهم الوفد بقولهم: «سلام عليكم، ولا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرًا» وفيهم نزل قوله تعالى: **﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون • وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين • أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون • وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين﴾** (سورة القصص الآيات ٥٢:٥٥) هذا، وقد ذكر حديث عن أبى أمامة قال: قدم وفد النجاشى على النبى ﷺ فقام يخدمهم، فقال: نحن نكفيك، فقال: «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإنى أحب أن أكافئهم» دلائل النبوة للبيهقى، والبداية لابن كثير.

وقد اختلف فى عدد هذا الوفد ما بين اثنا عشر إلى سبعين قسيسًا وراهبًا. كما نزلت فيهم آيات أخرى فى سورة المائدة والحديد وغيرها - أو فى النصارى بصفة عامة - وقد أقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشى أحسن جوار حتى سمعوا مهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فرجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وثمانى نسوة، مات منهم فى مكة رجلان، وحبس سبعة نفر، وشهد بدرًا منهم أربعة وعشرون رجلاً. هذا ما ذكره ابن سعد فى طبقاته.

ويذكر الواقدى فى (المغازى)، ونقله عن البيهقى فى (دلائل النبوة)، وابن كثير فى (البداية والنهاية) أن النجاشى حينما علم بانتصار رسول الله ﷺ فى بدر على قريش، خرج فى ثوبين أبيضين، ثم جلس على الأرض، ثم دعا جعفر بن أبى طالب وأصحابه وقال: «أيكم يعرف بدرًا؟ فأخبروه، فقال النجاشى: أنا عارف بها، قد رعيت الغنم فى جوانبها، هى من الساحل على بعض نهار، لكنى أردت أن أتثبت منكم، فقد نصر الله رسوله ببدر، فأحمد الله على ذلك. فلما سأله بطارقته عن صنعه ذلك، قال: إنى من قوم إذا أحدث الله لهم نعمة ازدادوا تواضعًا، ويقال إنه قال: إن عيسى ابن مريم عليه السلام كان إذا حدثت له نعمة ازداد بها تواضعًا.

رسالة النبى ﷺ للنجاشى وخطبته أم حبيبة - رضى الله عنها -:

فى العام السادس من الهجرة، وقيل: فى شهر ربيع الأول من العام السابع من الهجرة النبوية كتب النبى ﷺ رسالة إلى النجاشى حملها إليه عمرو بن أمية الضمرى يدعوه فيها إلى الإسلام، كما أرسل يخطب أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب، وكان زوجها عبيد الله بن جحش قد هاجر معها إلى الحبشة وأنجب منها (حبيبة) ثم ارتد عن الإسلام إلى المسيحية، بينما ظلت هى متمسكة بإسلامها، ثم ما لبث أن توفى بالجبشة، كما طلب ﷺ إرسال جعفر وأصحابه إلى المدينة.

رد النجاشى على رسول الله ﷺ مؤمنًا برسالته قائلاً:

(بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشى الأصحم بن أبجر - سلام عليك يا نبى الله ورحمة الله وبركاته، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثغروقًا - وهو قمع التمرة أو ما يلتصق به قمعها - إنه كما قلت. وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادق مصدق، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك بابنى «أرها بن الأصحم بن أبجر»، فإنى لا أملك إلا نفسى، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإنى

أشهد وأقول الحق، والسلام عليك يا رسول الله).

هذا، وقد ذكر الطبرى عن ابن إسحاق قوله: وذكر لى أن النجاشى بعث إليه ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة حتى إذا كانوا فى وسط البحر غرقت بهم السفينة، أما أم حبيبة بنت أبى سفيان التى مات زوجها مرتدًا إلى المسيحية، فقد طلب النبى ﷺ من النجاشى أن يزوجه إياها، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص. فأقام النجاشى حفلاً ووليمة للمهاجرين، وخطب خطبة أعلن فيها زواج النبى ﷺ من أم حبيبة - رضى الله عنها -، وأمهرها عنه أربعمائة دينار ذهبًا. ثم خرج المسلمون فى سفينتين متجهتين إلى المدينة، فالتقوا بالنبى ﷺ، وهو عائد منتصر من خيبر وتزوج أم حبيبة هناك.

إسلام الصحابى عمرو بن العاص على يد النجاشى:

لما أرسل النبى ﷺ عمرو بن أمية الضمرى برسالته السابقة للنجاشى بعد صلح الحديبية (عام ٦ هـ) أراد عمرو بن العاص من النجاشى أن يسلم له عمرو بن أمية ليضرب عنقه إهداء لقريش، فغضب النجاشى ولطمه على أنفه ضربة شديدة قائلاً: يا عمرو، تسألنى أن أعطيك رسول رسول الله من يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى، والذى كان يأتى عيسى ابن مريم لتقتله؟ فأفاق عمرو بن العاص من غفلته، ومد يده للنجاشى وبايعه على الإسلام، ثم خرج من عنده وسافر إلى المدينة وبايع رسول الله ﷺ، وقد استفاد منه الإسلام فائدة عظيمة فى نشر الدين.

وقد أسدى النجاشى أصحمة للإسلام فائدة عظيمة حينما احتضن المسلمين فى داره ستة عشر عاما آمنين حتى عادوا إلى رسول الله ﷺ فى المدينة فى العام السابع من الهجرة، ثم ما لبث أن توفى النجاشى «أصحمة»، فأبلغ الوحى رسول الله ﷺ فقال لصحابته - رضى الله عنهم - وهو ينعاه لهم: «**مات اليوم رجل صالح فصلوا على أصحمة**» وقال: «**استغفروا لأخيكم**» ثم اصطف الصحابة خلف رسول الله ﷺ وصلوا صلاة الغائب وذلك فى العام التاسع من الهجرة (من رجب)، ولم يكن النبى ﷺ قد صلى صلاة الغائب على غيره.

موجز يثبت إسلام النجاشى «أصحمة»:

أولاً: استقباله للمهاجرين المسلمين وترحيبه بهم وسماعه دفاعهم وشهوده للدين الجديد بأنه حق.

ثانيا: رفضه تسليم المهاجرين المسلمين لكفار قريش وإيمانه بالدعوة الإسلامية معترفًا برسالة محمد ﷺ.

ثالثًا: خروج الحبشة عليه حينما علموا بخروجه عن النصرانية وأن عيسى كلمة الله ألقاها إلى مريم البتول.

رابعًا: إرساله وفدًا من النصارى من الحبشة إلى رسول لله ﷺ وتسليمهم رسالة النجاشى إليه.

خامسًا: شهادته لرسول الله ﷺ ردّ به على رسالة النبى ﷺ، أعلن فيها مبايعته على الإسلام، كما بايع ابن عمه جعفر بن أبى طالب.

سادسًا: إرسال ابنه (أرها) فى ستين رجلاً من الحبشة ليعلنوا إسلام النجاشى وإسلامهم لكنهم غرقوا جميعًا مع ابنه (أرها).

سابعًا: توكيل النبى ﷺ له لخطبة أم حبيبة، فأقام حفلاً وأمهرها عنه أربعمائة دينار .

ثامنًا: دوره فى إسلام عمرو بن العاص ومبايعته له على الإسلام.

تاسعًا: دوره فى حفظ الدعوة الإسلامية وحماية المسلمين واحتضانهم ستة عشر سنة.

عاشرًا: صلاة النبى ﷺ وصحابته عليه صلاة الغائب، رغم أن النبى ﷺ رفض أن يصلى على مسلم مدين وقال: «**صلوا على أخيكم**».

علاقة المسلمين بيهود الأندلس

د/إصلاح عبد الحميد ريحان

كان اليهود ينتشرون فى معظم ممالك أوروبا، وإن كانت الشعوب الأوروبية لم تضطهد اليهود نتيجة للتعصب الدينى، ولكن اضطهدوهم لاعتقادهم أنهم أفضل الأجناس فى الأرض ويحق لهم أن يحتقروا غيرهم من بنى البشر.

وفى سنة ٧٠م استوطنت مجموعات كبيرة من اليهود التجار فى بعض البلاد الأوروبية ولما هدم الرومان المعبد اليهودى بأورشليم سبوا آلافًا من اليهود وباعوهم فى أسواق النخاسة الأوروبية، ولما رأى أغنياء اليهود الذين استوطنوا أوروبا أن أبناء دينهم يباعون لغيرهم ثارت حميتهم ونهضوا لتحرير إخوانهم اليهود بشرائهم من أسواق النخاسة ثم عتقهم وبهذا تكونت جاليات يهودية كبيرة فى البلاد الأوروبية، وكونوا أحياء خاصة بهم لأنهم يعتقدون أنهم أفضل أجناس العالم وقد تكتل اليهود فى أحيائهم الخاصة لاعتقادهم أن الآخرين يكرهونهم ويحقدون عليهم ويقسون فى معاملتهم.

وعمل اليهود فى أوروبا بالتجارة أساسًا والصباغة والحدادة وكانوا يتقربون بالرشوة والهدايا للحكام فى البلاد التى سكنوها ليحتموا بهم، كما احتكروا تجارة الذهب والفضة، وتحكموا فى مصائر البلاد الاقتصادية التى يعيشون فيها فيصيبونها بالكوارث الاقتصادية إذا رأوا أن مصلحتهم فى ذلك، ومن أسباب كره الأوروبيين لهم محاولاتهم الغنى الفاحش عن طريق العملات الذهبية والفضية ويبرون أطرافها ثم يطرحونها فى السوق مرة أخرى، كما أنهم كانوا يقرضون الناس بالربا الفاحش حتى أصبحت كلمة يهودى مرادفة للمرابى.

وكانت أعداد اليهود تزداد فى أوروبا على مر السنين خاصة فى أسبانيا التى كان يسكنها أكبر جالية يهودية فى أوروبا وذلك لإقبال حكامها القوط الوثنيين على منحهم حريات حرموا منها فى البلاد الأوروبية الأخرى.

المسيحية فى أسبانيا:

وبدخول المسيحية أسبانيا تغيرت وتبدلت المعاملة لليهود وبدأت الاضطهادات الكنسية ضدهم وصدرت ضدهم الأحكام الكنسية منذ سنة ٣٠٣، ٣٠٤م بأن المسيحيين لا يختلطون باليهود لا فى مسكن ولا فى مأكل وقد صدرت ضدهم الأحكام سنة ٥٨٩م بطليطلة بعد اعتناق الملك ريكاردو المسيحية، بأن تنزع أملاكهم فى كل المدن الأسبانية

وتحول إلى جانب العرش المسيحى ومنع استخدام العمالة المسيحية لدى اليهود، وعتق العبيد المسيحيين لدى اليهود، ومنع زواج المسيحيات من اليهود، ومنع الختان الذى فرضه اليهود على عبيدهم وضرورة تعليق اليهود شارة تميزهم عن غيرهم من المسيحيين، وطردهم من أعمالهم الحكومية.

وعندما اعتلى سيسقوط العرش ضيق الخناق على اليهود وحرمهم من إقامة شعائرهم الدينية وأعطاهم مهلة سنة للرجوع إلى المسيحية أو الرحيل من أسبانيا، ثم أصدر قراراته، بأن يشرد اليهود وأن يقضى عليهم بالرق الأبدى للنصارى، وأن يسبيهم الملك لمن شاء أولا يسمح لهم باسترداد حرياتهم ما بقوا على اليهودية، وأن يأخذ النصارى بعض أملاكهم، وأن ينزع أبناؤهم منذ سن السابعة ليربوا على دين النصرانية، وأن تتزوج اليهودية من النصرانى، والعبد اليهودى من النصرانية.

وبعد سنة من هذه القرارات هاجر كثير من اليهود من أسبانيا، أما الذين تظاهروا باعتناقهم المسيحية حرصًا على أملاكهم وأرواحهم، فكانوا يقومون بالشعائر اليهودية سرّا ويذهبون للكنائس فى الظاهر، وهكذا عصفت يد البطش والمطاردة باليهود، فكانوا قبل الفتح الإسلامى لأسبانيا ضحية ظلم لا يطاق وكانوا كباقى طوائف الشعب المهيضة يتوقون إلى الخلاص من هذا النير الجائر، ويرون فى أولئك الفاتحين الذين يتركون لهم حرية شعائرهم وحرية حياتهم بدون أى ضغوط مقابل جزية ضئيلة، ملائكة منقذين، وهكذا كان حال اليهود فى أسبانيا قبل الفتح الإسلامى لهذه البلاد.

الفتح الإسلامى لأسبانيا:

وبدأ الفتح الإسلامى لأسبانيا فى رمضان سنة ٩١هـ/ ٧١١م على يد طارق بن زياد، ففتح معظم المدن الأسبانية، غرناطة وقرطبة وأشبيلية وطليطلة ومادرة وسرقسطة وغيرها من المدن، وعندما سمع يهود أسبانيا بعبور الجيش الإسلامى مضيق جبل طارق وانتصاره فى أول معركة على أرض الأندلس سنة ٩١هـ تنفسوا الصعداء وأخذوا يترقبون باهتمام بالغ أخبار الجيش الإسلامى الذى كان يخرج من نصر إلى نصر وكلما تقدم المسلمون فى شبه جزيرة أسبانيا تجددت روح الأمل فى نفس اليهود واستعدوا لاستقبال الجيش الإسلامى، وقد وجد المسلمون من اليهود المستعبدين مساعدة فعالة، كانوا هم فى أشد الحاجة إليها وهم يتقدمون فى أراضٍ لا يعرفون عنها الكثير، وكلما احتلوا مدينة حرروا يهودها، وكان اليهود يعرضون على قائد الجيش الإسلامى خدماتهم فكثيرًا ما كان قائد الجيش يوكل إلى اليهود حراسة المدن الأندلسية المفتوحة لتأمينها تحت إمرة عدد قليل من الجنود المسلمين، ومنحهم المسلمون حريات كانوا لا يحلمون بها فى تلك البلاد التى سامتهم سوء العذاب، فمنحتهم حرية التنقل والتجارة فى البلاد وألحقوهم بالوظائف العامة، وأعادوا لهم أراضيهم وأملاكهم التى صادرتها الحكومة، وأبنائهم الذين كانت الكنيسة قد أخذتهم لتربيتهم تربية مسيحية، وسمحوا لهم ببناء معابدهم وإقامة شعائرهم الدينية، ومنحوهم الاستقلال القضائى فى القضايا الشرعية حتى عظم شأن الطوائف اليهودية وتمتعوا بتسامح المسلمين.

كان اليهود فى أسبانيا ضحية ظلم لا يطاق يتوقون إلى الخلاص حتى جاء الفتح الإسلامى ليؤمن لهم حياتهم وحرية شعائرهم

أما طليطلة العاصمة السياسية عندما تقدم إليها طارق، هرب منها معظم سكانها ما عدا اليهود، فكان بها أكبر طائفة يهودية، وكانوا يعيشون فى ربض، سمى بربض اليهود فى غرب طليطلة

ولذا عرف بالربض البرانى لأنه كان على أطراف المدينة.

وكان طارق قد ابتعد عن قواعده فى الفتح مما هدد المسلمين بكارثة لأنه ترك فى مؤخرته بلاداً كثيرة لم يتم فتحها فأسرع موسى بن نصير إليه لنجدته سنة ٩٣هـ، واحتل موسى كثيراً من البلاد التى تركها طارق ومنها أشبيلية، وهى مدينة عظيمة القدر، استعان على فتحها باليهود، وكان اليهود يشغلون مكانة سامية بين سكانها فانضموا للمسلمين وآزروهم وسهلوا لهم دخول المدينة.

أما سرقسطة فكان لها بابان، أحدهما يقال له باب اليهود، وكان حى اليهود فى سرقسطة يشغل الجانب الجنوبى الشرقى منها، أما جليقية الجبلية فى أقصى شمال الأندلس فبقيت فى أيدى الأعداء فظلت مدخراً للمسيحيين الأسبان وستخرج منها فيما بعد الحركة المعروفة بالانتقام من المسلمين لطردهم من الأندلس بعد بقائهم فيها حوالى ثمانية قرون.

وعندما انتشر خبر فتح المسلمين للأندلس ومنح اليهود حرياتهم، هاجر كثير من يهود أوروبا إلى الأندلس وكانوا يتجمعون فى المدن الأندلسية وراجت تجارتهم، واحتكروا بعض المهن والحرف والصناعات التى درت عليهم الأموال الطائلة، واحتكروا تجارة العبيد والجوارى البيض والحرير والتوابل وجمعوا أموالاً طائلة تحت مظلة الحكم الإسلامى وبدأوا يرسلون أموالهم إلى فقراء اليهود خارج أسبانيا.

الحكم الإسلامى فى الأندلس:

وبعد الفتح الإسلامى للأندلس قضى على سلطان الطبقات الممتازة، وفرض المسلمون الضرائب بالمساواة والعدل، وأمن الناس على حياتهم وحرياتهم، وأموالهم فكانت سياسة الإسلام، مثلاً أعلى للتسامح فلم يظلم أحد بسبب دين أو عقيدة ما دام يدفع الجزية وهى: كل ما فرض على الذميين ومن دخل منهم الإسلام سقطت عنه، وأصبح كالمسلم فى جميع الحقوق والواجبات وتركوا لهم مزاولة شئونهم فى الإسلام، وعاش اليهود جنباً إلى جنب بجوار المسلمين فى مجتمع واحد، ولم ير بأساً أن تقام لهم بيع إلى جانب المساجد الإسلامية فكان ذلك أجمل ما فى سياسة الفتح الإسلامى من تسامح بعد عصور طويلة من الاضطهاد والتعذيب.

وفى عهد هشام بن عبد الرحمن ١٧٣ - ١٨٠هـ ٧٨٩ - ٧٩٦م، اتخذت السياسة الأموية عدة إجراءات تشهد ببعد نظر الدولة، فكان هشام شديد الورع والتقوى، وكان يعمل على إعلاء كلمة الدين، إذ جعلت اللغة العربية لغة التدريس فى معاهد اليهود وكان لذلك أثر عميق فى التقريب بين اليهود وبين المسلمين فى بث روح التفاهم والوئام بينهما.

وفى عهد الحكم بن هشام ١٨٠ - ٢٠٦هـ/ ٧٩٦ - ٨٢١م، الذى كان يتصف بالحزم والشجاعة والإنصاف والعدل، ففى عهده أنشئ بالدولة منصب خاص لإدارة شئون أهل الذمة من اليهود فينعت صاحبه بالقومس أى الكونت، مما يدل على أن اليهود كانت لهم مكانة مرموقة فى عهد الحكم وأبيه هشام.

انتعاش الاقتصاد اليهودى فى الأندلس:

وكانت نتيجة الانتعاش الاقتصادى لليهود فى الأندلس خلال القرن الأول للفتح الإسلامى أن بزغت نهضة أدبية عبرية قوية، وذلك أن بدأ اليهود يفكرون فى انشاء مراكز ثقافيه يهودية ينافسون بها المراكز التقليدية فى الشرق الإسلامى احتذاءً بالعرب وبدأوا يشجعون العلماء اليهود بالأموال لجذبهم من الشرق، واختار اليهود قرطبة التى كانت تعجُ بالعلماء والفقهاء والفلاسفة المسلمين مركزاً لانتعاش الدراسات اليهودية، وقد دفعهم إلى اختيار هذه المدينة مركزاً ثقافيّا لهم هو وجود مكتبة قرطبة العظيمة الخاصة بالحكام الأمويين.

وقد أدرك يهود الأندلس خلال القرن الأول من

الحكم الإسلامى أن التفقه فى اللغة العربية وآدابها هو الطريق إلى وظائف الدولة والسبيل إلى التقرب إلى الحكام، فانكبوا على دراسة اللغة العربية وعلومها بجانب العبرية، ونبغ منهم الكثير مثل الأديب والطبيب والفلكى والكيميائى إسحاق بن عزر بن شفروط والذى اشتهر باسم حسداى بن شفروط، واستطاع أن يكسب حب وثقة **الخليفة عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ - ٣٥٠هـ/ ٩١٢ - ٩٦١م،** فكانت فاتحة عهد جديد لليهود وللأدب العبرى، وقد مارس حسداى الطب بمدينة قرطبة بجوار الخليفة الناصر، وقد ترجم حسداى للخليفة كتاب ديقوريدس عن الأعشاب الطبية، وحازت الترجمة إعجاب الخليفة الناصر فكافأه بتعيينه طبيبًا فى قصر قرطبة، وانتفع بدرايته باللغة اللاتينية لاستقبال رسل الخليفة من الممالك الأوروبية الناطقة باللاتينية، وكان الخليفة يستشيره فى أمور الدولة الداخلية والخارجية، وشئون التجارة، حتى أن شفروط أصبح على مر الأيام المهيمن على تجارة الأندلس وشئونها الخارجية.

وفى عهد الحكم المستنصر بن الناصر ٣٥٠ - ٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م، شغف اليهود باقتناء الكتب، وكان الكثير منهم يجيدون اللغة العربية ويتذوقون بها ثمرات التفكير العربى من أدب وشعر وفلسفة، وكان الحكم نفسه شغوفًا بالكتب؛ لأنه كان عالمًا زاهدًا ورعًا رباه أباه على حب العلم والعلماء وتكريمهم، وكان طبيب والده حسداى بن شفروط أيضًا طبيبه الخاص فى قصر قرطبة، وفى ظله ورعايته كتب اليهود فى قرطبة باللغة العربية، وأنشأ اليهود فى عهد الحكم مراكز أخرى للدراسات اليهودية بجانب قرطبة التى أصبحت كعبة لطلاب العلم من المشرق والمغرب في عهد الحكم المستنصر.

واستمرت مدرسة قرطبة للدراسات اليهودية التلمودية دارًا للإفتاء للشريعة اليهودية، وتخرج فى هذه المدرسة أشهر علماء اليهود فى عصر الحكم وهو يوسف بن أبى ثور الذى ترجم إلى اللغة العربية مقتطفات من التلمود أهداها للخليفة الحكم، وهذا يدل على معاملة المسلمين الحسنة إلى اليهود فى الأندلس وذلك فى ظل الأمويين فى الأندلس.

وفى عهد هشام بن الحكم ٣٦٦ - ٣٩٩هـ/ ٩٧٦ - ١٠٠٨م، كان يوسف بن إسماعيل بن نغريلة اليهودى من أشهر اليهود الذين كانوا يمتلكون المكتبات الخاصة فى الأندلس.

وكان ابن نغريلة وزيرًا لباديس بن حبوس بن مكناس الصنهاجى أمير غرناطة وكانت بيده أموال الملك وقال عنه ابن بسام: إنه تقلد أزمة الأعمال وألف كتابًا فى الرد على الفقيه أبى محمد بن حزم الأندلسى وجاهر بكلام فى الطعن على ملة الإسلام.

وقد استمرت الخلافة الأموية على رعاية الأقلية اليهودية تشجعها وذلك من سماحة الدين الإسلامى، فكان إلياس بن المدور اليهودى له شهرة كبيرة بمدينة رندة، أما الوزير أبو الفضل بن حسدى فكان له منزلة كبيرة فى بلاط المقتدر بن هود ملك سرقسطة وكان الكاتب أبو بكر بن سدراى اليهودى وزيرًا فى بلاط أبى مروان بن رزين ملك السهلة، وكان اليهود فى قرطبة يرتدون الزى العربى ويتخلقون بآداب التقاليد والعادات العربية، ويمتازون بثرائهم ومظاهرهم الأبهة وذلك فى ظل سماحة الدين الإسلامى.

وبعد انهيار الخلافة الأموية فى الأندلس، وانفراط عقد وحدة البلاد، **وانفراد ملوك الطوائف العرب ٤٢٢ - ٤٨٤هـ/ ١٠٣٠ - ١٠٥٦م،** بالمدن وضواحيها، ورأى يهود الأندلس أن توسيع شقة الخلاف بين هذه الإمارات فى مصلحتهم، فقاموا بنصيب وافر فى إشعال الفرقة بين أمراء الطوائف، ورأى البربر فى الأندلس أن يستفيدوا من اليهود ففتحوا لهم صدورهم ورحبوا بهم فهاجر كثير منهم اليهود جنوبًا.

عصر الموحدين ٥٢٤ - ٦٦٨هـ/ ١١٢٩ - ١٢٦٩م، وقد نبغ اليهود فى الأندلس فى عصر الموحدين شعراء ومغنيون كثيرون، منهم إبراهيم بن سهل الإسرائيلى الذى كان من أعظم شعراء أشبيلية فى عهد الموحدين، وكان يتظاهر بالإسلام، وهناك بسام بن شمعون الواشقى اشتهر بالغناء والموسيقى فى عهد الموحدين.

وبدخول الموحدين للأندلس واستيلائهم على السلطة هاجر كثير من اليهود إلى أسبانيا المسيحية شمالاً، والبعض الآخر إلى المشرق والمغرب جنوبًا وشرقًا فطردهم «الموحدون» من الأندلس لممالأتهم للنصارى الشماليين، وهاجر عدد كبير منهم إلى بلاط ملوك أسبانيا المسيحية وصانعوهم..

ومن أشهر علماء اليهود الذين تركوا الأندلس فى عصر الموحدين موسى بن ميمون خرجت عائلته إلى المارية ومكث هناك إلى أن فتح يعقوب بن يعقوب بن عبدالله المؤمن المارية.

وطرد الجيش الأسبانى المسيحى فنزحت أسرة ميمون إلى فاس ولم تستمر طويلاً حتى ١١٦٥م فاتجهت إلى عكا ومنها إلى مصر واستقرت فى مدينة الفسطاط فى عهد الحكام الفاطميين الذين كانوا يحسنون معاملة اليهود، وكانت مصر ملاذًا لليهود الذين كانوا ينزحون من الأندلس، وأنشأ يهود الأندلس بالفسطاط مدرسة لتعليم علوم الديانة اليهودية وغيرها من العلوم وكذلك الطب، فانضم موسى بن ميمون لهذه المدرسة وواصل البحث والدرس بها حتى أصبح من أساتذتها البارزين ومارس موسى الطب واحترفه وذاع صيته وعالج الأيوبيين الذين استولوا على الحكم بعد أن زالت دولة الفاطميين ٥٦٧هـ - ١١٧١م.

واعتنق موسى بن ميمون الإسلام فى أواخر أيامه، ولو أن اليهود ينكرون اليوم إسلامه ولكن ما كتبه أحد معاصريه على شاهد قبره يدحض إنكارهم فكتب على شاهد قبره فى طبرية بالعبرية

استغل اليهود انهيار الخلافة الأموية فى الأندلس فوسعوا شقة الخلاف بين الإمارات وأشعلوا نيران الفتنة بين أمراء الطوائف

ما ترجمته «دفن فى هذا القبر موسى بن ميمون الطريد المحروم الكافر» ومات ابن ميمون ١٠٢٤م بعد أن خلف ثروة أدبية وعلمية وطبية ولا تزال مؤلفاته من أمهات الكتب التى يرجع إليها علماء اليهود فى الديانة والفقه اليهودى وكانوا يقولون من موسى، أى من موسى بن عمران إلى موسى بن ميمون».

ومن أشهر مؤلفاته كتاب «السراج» وهو قسم من التلمود ترجم إلى العبرية فى برشلونة سنة ١٢٩٦م، وكتاب (مشنا توراة فى الفقه اليهودى، وكتاب الفرائض لتبسيط الكتاب السابق، وكتاب دليل الحائرين فى الفلسفة اللاهوتية وهو متأثر بالفلسفة الإغريقية وفلسفة الفارابى والغزالى وابن ماجه والرازى، وترجم إلى العربية كما صنف ابن ميمون كتب فى الطب بالعربية، وهو مختصر لكتب جالينوس فى الطب.

أما يهوذا بن سليمان الحريرى فقد عاش فى ظل الثقافة العرببية بالأندلس وذاع صيته بترجمته مقامات الحريرى العربية إلى العبرية، وترجم أدب الفلاسفة لاسحاق بن حنين وذاعت شهرته فى الأدب وبموث الحريرى اسدل الستار عن فترة من أزهى وأجمل فترات الأدب العبرى وكان الفضل فى ذلك يرجع إلى معاملة المسلمين الطيبة الحسنة إلى اليهود هذه المعاملة التى كان ثمرتها العصر الذهبى للأدب العبرى خلال أربعة قرون، وكان لليهود بيع أقاموها فى أسبانيا الإسلامية منها كنيس قرطبة وكنيس بطليطلة وهى إحدى روائع الفن المدجن وكان بها زخارف تشبه زخارف قصر الحمراء بغرناطة وقصر أشبيلية.

قضايا معاصرة

- محمد على باشا والسيد عمر مكرم ..
  (صراع الدولة والأمة)
- الرد على تكرار الإساءة لرسول الله ﷺ
- موقف الفكر الإسلامى من الفلسفة اليونانية

محمد على باشا و السيد عمر مكرم

صراع الدولة والأمة

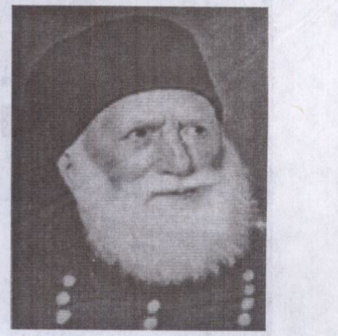

د/ محمد عمارة

كان محمد على باشا (١١٨٤ - ١٢٦٥هـ ١٧٦٩ - ١٨٤٨م) حاكما طموحًا.. بل إن طموحه قد كان من النوع الذى لا يعرف الحدود؟!

وفى السنوات الأولى من ولايته على مصر كان ضيقه يتزايد من السلطة والسلطان اللذين يتمتع بهما الزعيم الشعبى السيد عمر مكرم (١١٦٨ - ١٢٣٧هـ - ١٧٥٥ - ١٨٢٢م) وكان يزيد من مخاوفه أن رسوخ زعامة عمر مكرم الشعبية قد جعلته «ركنا من أركان الدولة» فهو أكثر من زعيم شعبى... إنه شريك فى السلطة بإرادة الشعب، وبتسليم من السلطان، ثم إن عمر مكرم هو الذى تزعم سعى العلماء والأعيان لتولية محمد على على مصر، ومن يملك سلطة «المنح» لا شك أنه يملك سلطان «المنع» عند اللزوم وحالما يريد؟!

ولقد قرر محمد على باشا أن يزيح عمر مكرم من الطريق، واستقر تخطيطه على أن يكون ذلك «بواسطة» عدد من «العلماء» الذين كانوا زاهدين فى السياسة، أوحاسدين لعمر مكرم، أو طامعين فى إغراء محمد على.. أو كانوا كل ذلك مجتمعًا؟!.

ولقد أتاح تطور الأحداث، فى مصر لمحمد على أن يحقق ما أراد!

فالقيادة الشعبية التى ضمت كبار العلماء وشيوخ الأزهر مع السيد عمر مكرم، قد أصاب جدار وحدتها شرخ كبير بعد يومين اثنين من ورود المرسوم السلطانى بتولية محمد على حكم مصر، **ذلك أن أغلب «المتعممين» وفق تعبير الجبرتى (١١٦٧ - ١٢٣٧هـ - ١٧٥٤ - ١٨٢٢م) قد اعتبروا أن مهمة هذه القيادة قد انتهت: وإن على الشعب أن يلقى سلاحه تاركا الأمر كله لمحمد على وحده.. رأت الأغلبية من كبار الشيوخ ذلك، وسعوا فى سبيله، منصرفين إلى مصالحهم الخاصة، بل وطالبين من الوالى الجديد ثمن هذا الموقف الذى رفضه عمر مكرم، والذى كان يتوق إليه الوالى الجديد!**

ويحكى الجبرتى أحداث هذا الانشقاق الذى انحاز فيه معظم كبار الشيوخ إلى محمد على - وكثير منهم كانوا قد تعاونوا من قبل - ضعفا وتجنبا «للفتنة» مع «الحاكم» حتى عندما كان هذا «الحاكم» هو «بونابرت» (١٧٦٩ - ١٨٢١م) أثناء احتلاله لمصر؟! على حين وقف السيد عمر مكرم يومها مع جماهير الشعب، فاتسق بذلك مع تاريخه وعلاقاته التاريخية الوثيقة بطوائف الأمة وجماهيرها!.. يحكى الجبرتى أحداث هذا الانشقاق الذى نفذ من ثغرته محمد على باشا

فضرب القيادة الشعبية وصفى أركانها، فيقول: «ويوم الخميس ٢٣ ربيع أول سنة ١٢٢٠هـ - ٢١ يونية ١٨٠٥م اجتمع الشيخ الشرقاوى، والشيخ الأمير وغالب المتعممين، وقالوا: إيش هذا الحال؟! وما تداخلنا فى هذا الأمر والفتن؟!.. واتفقوا أنهم يتباعدون عن الفتنة - (الثورة) - وينادون بالأمان، وأن الناس يفتحون حوانيتهم ويجلسون بها، وكذلك يفتحون أبواب الجامع الأزهر ويتقيدون بقراءة الدروس وحضور الطلبة، وركبوا إلى محمد على، وقالوا له: أنت صرت حاكم البلدة، والرعية ليس لهم مقارشة - (مداخلة) - فى عزل الباشا ونزوله من القلعة[١]، وقد أتاك الأمر فنفذه كيف شئت. وأخبروه برأيهم، فأجابهم إلى ذلك، وركب الأغا - (مندوبا عن محمد على) - وفى صحبته بعض المتعممين، ونادوا فى المدينة بالأمن والأمان والبيع والشراء، وأن يترك الناس حمل الأسلحة بالنهار، وإذا وقع من بعض العسكر «قباحة» رفعوا أمره إلى محمد على، وإن كان من الرعية رفعوه إلى بيت السيد عمر النقيب! وإذا دخل الليل حملوا الأسلحة وسهروا فى أخطاطهم - (أحيائهم) - على العادة وتحفظوا على أماكنهم!».

لقد نادوا بذلك فى الناس فى وقت كان الوالى المعزول خورشيد باشا لا يزال عاصيا متحصنا بالقلعة، والجند يسعون فى البلاد فسادا.. لكن الناس لم يستجيبوا لهذا النداء... وكما يقول الجبرتى: «.. ولما سمع الناس ذلك أنكروه، وقالوا: إيش هذا الكلام؟! حينئذ نصير طعمة للعسكر بالنهار، وغفراء بالليل! والله لا نترك حمل أسلحتنا ولا نمتثل لهذا الكلام ولا هذه المناداة!».

ولما أراد محمد على وضع هذا الكلام وهذا الأمر فى التطبيق، وهمَّ بنزع سلاح العامة نهارا حتى لا يمتازوا به عن وضع الخفراء!.. ونزل

لجأت الجماهير إلى السيد عمر مكرم ليعبئ المقاومة المسلحة ضد الغزو الإنجليزى لميناء رشيد ويُشرك الشيوخ والطلاب فى الجهاد ضد المحتل

«الأغا» فألقى القبض على «بعض العامة المتسلحين، وأخذ سلاحهم» ضج الناس بالشكوى، وزحفت جموعهم إلى دار السيد عمر مكرم، فأخبرهم «بأن هذا الأمر على خلاف مراده!»[٢].

وأمام معارضة الشعب وقائده عمر مكرم لصيغة «الأمان» هذه تلك التى تقضى بنزع سلاح الشعب، تعدلت الصيغة، بحيث يبقى السلاح مع الناس نهارا وليلا، وإن منعوا من الاستعراض به أثناء النهار.. ونادى المنادى بصيغة «الأمان» الجديدة والمعدلة فى اليوم التالى: الجمعة ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٢٠هـ ٢٢ يونية ١٨٠٥م، نادى بالأمان، وفتح الحوانيت والبيع والشراء، ولا يرفعون معهم السلاح، بل يجعلونه معهم فى حوانيتهم تحذرا من غدر العسكر».. وفتحوا أبواب الجامع الأزهر.

لكن سلوك كبار شيوخ الأزهر قد أحدث استرخاء أضر بالتعبئة الشعبية للجماهير.. فهم قد انصرفوا إلى إلقاء دروسهم بالأزهر، وألحوا على الناس كى يرموا أسلحتهم ففترت الهمم ورمى الكثيرون أسلحتهم، فشمخ عليهم العسكر وشرعوا فى أذيتهم، وتعرضوا لقتلهم وإضرارهم» الأمر الذى جعل الناس - كما يقول الجبرتى -: «يسبون المشايخ ويشتمونهم لتخذيلهم إياهم!» فلما تفاقمت تعديات الجند على الشعب ذهب الناس شاكين إلى السيد عمر مكرم، فقال لهم: «اذهبوا إلى الشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير، فهما اللذان أمرا الناس برمى السلاح! فلما زادت الشكوى نادوا فى الناس بالعودة إلى حمل السلاح[٣]».

هكذا بدأ الشرخ الذى أصاب جدار القيادة الشعبية «**فالشيوخ الكبار قد رأوا أن الثورة قد انتهت مهامها بموافقة السلطان على تغيير الوالى، ومن ثم فلا مكان لهم فى عالم السياسة، ولا محل لأن يحمل الناس السلاح.. والسلطة كل السلطة، يجب أن تتركز فى يد الوالى الجديد محمد على باشا.. أما عمر مكرم وأنصاره فقد كانوا يرون أن مهام الثورة لم تنته بعد، فهى قد قامت فى الأساس، لتجعل من الشعب ركنا من أركان السلطة والدولة، وتلك مهمة مستمرة، بل إنها لم تتبلور بعد ولم يستقر لها حال... وهى قد نجحت فى أن تجعل ولاية الوالى غير مطلقة، بل مقيدة ومشروطة فلقد كانت توليتهم لمحمد على مشروطة «بسيرة العدل، وإقامة الأحكام والشرائع، والإقلاع عن المظالم، وألا يفعل أمرا إلا بمشورته - (أى مشورة السيد عمر مكرم - ومشورة العلماء، وأنه متى خالف الشروط عزلوه!؟»(٤) وتلك مهمة شاقة، ودائمة تتطلب استمرار رقابة القوى الشعبية وقيادتها على الوالى وجهازه الجديد.**

كما أن فوضى الجند وتعدياتهم، واستمرار عصيان الوالى التركى المعزول، وتربص أمراء المماليك بالعاصمة وبالوالى الجديد.. جميعها مهام تجعل من تصفية الثورة ونزع سلاح الجماهير غباء يصل إلى حد الخيانة والانتماء!؟»

لكن.... قضى الأمر ... وانشق جدار القيادة الشعبية، لينفذ من ثغرته محمد على باشا الذى كان لا يخفى نفوره من رغبة عمر مكرم جعل الشعب ركنا من أركان «السلطة والدولة» **لأن عينه كانت على الهدف الذى قرر السعى لتحقيقه، وهو: الانفراد بالسلطة، وتصفية ثالوثها القديم.. فهو يريد جهاز دولة يأتمر بأمره وحده، وعلى الجميع أن يطيعوا، وأن يتحلوا «بالولاء» دون الطموح لمكانة «الشركاء»!.. ذلك أنه كان يرى فى جهاز دولة من هذا القبيل السبيل الوحيد لبناء مجتمع مصرى عصرى وحديث!..** ومن هنا بدأت الصراعات ومظاهر الشد والجذب بين محمد على وبين عمر مكرم... بدأت حذرة، وبالتدريج ... لكن الانشقاق الذى أصاب صفوف العلماء قد أتاح الفرصة الذهبية لمحمد على كى يضرب زعامة عمر مكرم بقفاز هؤلاء الشيوخ والعلماء!..

لقد سعى محمد على إلى تكوين «جهاز دولة» يكون أداته فى تصفية القوى الأخرى، وفى تنفيذ النهضة الإصلاحية التى كان يحلم بها كى تحول مصر إلى إمبراطورية ترث الدولة العثمانية التى كانت شمسها قد مالت إلى الغروب... وكان استصفاء «جند منظم» فى مقدمة أركان جهاز الدولة هذا - بل لقد أراد لهذا «الجهاز» أن يكون على صورة «الجند» فى الضبط والربط، والولاء والانقياد! .. وكانت التشريعات والتنظيمات المالية، والاقتصادية فى مقدمة أسباب الاحتكاك بينه وبين قيادة عمر مكرم... فهو يفرض الضرائب كى يدفع رواتب الجند ويؤلف قلوبهم ويضمن انقيادهم.. والذين تفرض عليهم هذه الضرائب هم من الطوائف التى منحت ولاءها لقيادة عمر مكرم، يذهبون إليه شاكين، فيتدخل لرفعها أو تحقيقها(٥)!.. وعندما اصطدمت الاصلاحات الاقتصادية «بالملتزمين» ونظام الالتزام» وهو الشكل الذى كان سائدا فى استغلال الأرض الزراعية - وقف عمر مكرم مع «الملتزمين»! لأن «العائلات» كانت قوة من القوى التى تستند إليها زعامته.. فمحمد على يستند إلى «الجند» وإلى «جهاز الدولة» على حين تستند زعامة عمرمكرم إلى الطوائف وأهل الحرف والتجار والعائلات والعصبيات!.. وهكذا حدثت المفارقة الغريبة والعجيبة.. فالثورة

عندما افتقرت إلى القوة المنظمة والمسلحة، واستعانت فى صراعها مع الوالى وجنده وجهاز دولته، بكل من تناقضت مصالحهم مع إنجازات النظام الجديد، حتى ولو كانوا من أركان العهد القديم! ولقد زاد من حدة هذه المفارقة أن الفكرة الإسلامية والرابطة الإسلامية عند السيد عمر مكرم. قد جعلته، وإن تناقض مع النمط العثمانى وعارضه، إلا أن هذا التناقض وتلك المعارضة لم تصل إلى درجة العداء، على حين كان محمد على طامحا إلى بناء نموذج جديد لمجتمع عصرى وحديث، فوجدنا زعامة عمر مكرم لا تقف عند حدود الدفاع عن التجار وأصحاب الحرف، بل وتدافع عن «الملتزمين».. وأيضًا «تغازل» أمراء المماليك..! لقد أرادت للشعب أن يكون ركنا وشريكا فى «السلطة والدولة» فجعلت همها الأول الحيلولة دون انفراد محمد على بالسلطة والدولة»، ومن ثم دافعت عن «الشركاء» حتى ولو كانوا من بقايا العهد القديم!.. ذلك هو المأزق الذى وقعت فيه هذه القيادة... وتلك كانت مأساتها؟! قوة ثورية، تضطر حفاظًا على وجودها، إلى موالاة أعدائها الحقيقيين، على حين هى تعادى الذين يطمحون إلى تحقيق الاصلاحات الثورية، بأسلوب علوى وبأدوات لا تقيم وزنًا للشعب وقواه الثائرة!!.

وفى إطار هذا المأزق، الذى بلغ حد المأساة، سار الصراع، حذرا وتدريجيّا، بين محمد على وبين السيد عمر مكرم تلجأ إليه الطوائف ليخفف عنها قسوة ضرائب النظام الجديد.. وتفزع إليه الجماهير كى يعبئ المقاومة المسلحة للغزو الإنجليزى لميناء «رشيد» فى المحرم سنة ١٢٢٢هـ، ابريل سنة ١٨٠٧م فيأمر الناس بحمل السلاح، ويوقف دروس العلم بالأزهر ليشترك الطلاب والشيوخ «بالجهاد فى الانكليز»(٦).

وعندما تصاعدت معارضة السيد عمر مكرم لما فرضه محمد على من ضرائب ولما أحدثه فى الاقتصاد الزراعى من تغييرات، جمع عمر مكرم المشايخ يوم الأحد ١٨ جمادى الأولى سنة ١٢٢٤هـ،- أول يوليو سنة ١٨٠٩م - «وكتبوا عرضحالاً إلى الباشا يذكرون فيه المحدثات من المظالم والبدع وختم الأمتعة «تسجيلها نظير دمغة» وطلب مال الأوسية والرزق، والمقاسمة فى مال الفائظ الذى كان (الملتزمون يستصفونه لأنفسهم).. وذلك بعد أن جلسوا مجلسا خاصا، وتعاهدوا وتعاقدوا على الاتحاد وترك المنافرة؟!» كما يقول الجبرتى(٧).. وكثير من هؤلاء الشيوخ كانوا «ملتزمين» يتضررون من هذه الإجراءات التى أحدثها محمد على باشا؟!.

لكن عين محمد على كانت على الثغرة التى بدأت ولدت فى جدار القيادة الشعبية منذ أربع سنوات... وكان النفاذ منها هو قرار «لضرب القيادة الشعبية لعمرمكرم، وتصفيتها حتى قبل تصفيته قوة المماليك!» لقد امتلك محمد على جندا منظما أو شبه منظم، فتخلص من أحد الأخطار على سلطته المركزية المنفردة، ولقد حان الحين كى يتخلص من قيادة عمر مكرم، عن طريق كبار الشيوخ وبواسطتهم.. وبعبارة الجبرتى: «.. فلقد أخذ الباشا يدبر فى تفريق جمعهم، وخذلان السيد عمر مكرم، لما فى نفسه منه من عدم إنفاذ أغراضه، ومعارضته له فى غالب الأمور، ويخشى صولته، ويعلم أن الرعية والعامة تحت أمره، إن شاء جمعهم وإن شاء فرقهم، وهو الذى قام بنصره وساعده وأعانه وجمع له الخاصة والعامة حتى ملكه الإقليم، ويرى أنه إن شاء فعل بنقيض ذلك؟!»(٨).

وطلب محمد على لقاء السيد عمر مكرم، فرفض مقابلته والصعود إليه فى القلعة.. فلما ألح

فى طلبه وافق على أن يلقاه شريطة أن يتم اللقاء فى بيت الشيخ السادات، فازداد وغضب محمد على.

ولقد كان المأمول أن يحذو الشيوخ حذو السيد عمر مكرم، فذلك هو تعاهدهم وتعاقدهم معه، لكنهم أسرعوا فلبوا الدعوة التى وجهت إليهم للقاء محمد على بمنزل ابنه إبراهيم.. حضر القاضى والمشايخ.. وأحضروا شيخ السادات الوفائية، والشيخ الشرقاوى.. وأرسلوا للسيد عمر مكرم كى يحضر «للتحقيق» فيما بينه وبين محمد على، فاعتذر عن عدم الحضور بتناوله دواء يمنعه من ذلك..! فمضى محمد على فيما خططه، وأعلن خلع عمر مكرم من نقابة الأشراف وتولية الشيخ السادات مكانه، وأمر بنفيه من القاهرة فى ذات اليوم - (الأربعاء ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٢٤ هـ ٩ أغسطس سنة ١٨٠٩م) وتطوع من الشيوخ من تطوع لتهوين شأن السيد عمر مكرم، والخوض فى حقه، بل وكتبوا «محضرا» افتروا عليه فيه، وزعموا أنه أدخل فى سجل «الأشراف» أقباطا ويهودا دخلوا حديثا فى دين الإسلام! وطلب بعضهم إمهاله ثلاثة أيام ليصفى شئونه بالقاهرة.

أما الرجل الذى فرض عليه النفى من قبل مرتين، فإنه لم يجزع، بل قال: الآن قد استرحت من هذا العبء - ولعله قد سعد للتخلص من المأزق الذى وقعت قيادته فيه! - لكنه طلب أن يكون نفيه إلى أرض لا سلطان عليها لمحمد على: «الطور»، أو «ورنة» - وذلك بعد أن رفض محمد على أن تكون بلدته «أسيوط» هى منفاه - لكن محمد على رفض أن يجيب رغبته، وخيره بين الإسكندرية وبين دمياط، فاختار دمياط.

وفى دمياط أمضى الرجل من سنة ١٢٢٤هـ سنة ١٨٠٩م حتى ١٢٢٧هـ سنة ١٨١٢م .. ثم انتقل إلى مدينة طنطا فأقام بها حتى ١٢٣٤هـ سنة ١٨١٨م، عندما تاقت نفسه أن يحج إلى بيت الله الحرام .. فالتمس الإذن بالحج، فأذن له محمد على، وشفع إذنه بالثناء عليه والحديث عنه كوالده، وأمر بأن تكون عودته من الحجاز إلى منزله بالقاهرة، إيذانا بانتهاء نفيه، حيث لم تعد أسبابه قائمة بعد استقرار السلطة والسلطان جميعهما بيد محمد على.. فلما أن عاد السيد عمر مكرم إلى منزله بالقاهرة، احتفل به الناس أياما، مدحه فيها الشعراء والأدباء، ثم اعتكف فى داره عن لقاء الجمهور..

فلما كانت فتنة من ألفتن التى تعرض لها نظام محمد على باشا، خشى أن يكون لعمر مكرم ضلع فيها، فطلب إليه العودة إلى منفاه فى طنطا سنة ١٢٣٤هـ سنة ١٨٢٢م، فلم يلبث بعد عودته إليها أن انتقل إلى جوار ربه فيها.

مات موتة الأسد الذى تحولت أخطاؤه هو وجرائم الآخرين نحوه إلى أعواد قفص حبست فيه قوته حتى أصابها الذبول!؟

لكن.. هيهات أن يطوى الموت صفحة كهذه، زاخرة بالأحلام النبيلة، مليئة بالمساعى الحميدة تفيض، أبدًا على الذين يفقهون التاريخ ويبصرون ما به من عبر وعظات!؟

الهوامش

١- هو الوالى العثمانى خورشيد باشا الذى عزله العلماء والأعيان وولوا بدلا منه محمد على باشا فرفض الانصياع لقرار العزل وتحصن مع خاصته فى القلعة.
٢- الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) جـ ٦ ص ٢٣٣، ٢٣٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨م.
٣- المصدر السابق، جـ ٦ ص ٢٣٥.
٤- عبد الرحمن الرافعى (تاريخ الحركة القومية) جـ ٢ ص ٢٣٧. طبعة القاهرة ١٩٥٨م.
٥- (عجائب الآثار) جـ ٦ ص ٢٥٠، ٢٥١، جـ ٧ ص ٣.
٦- المصدر السابق، جـ ٦ ص ٣٥٥، ٣٥٦.
٧- المصدر السابق، جـ ٧ ص ٦٧.
٨- المصدر السابق، جـ ٧ ص ٦٨.

الرد على تكرار الإساءة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

د/ أحمد عمر هاشم

إن منزلة رسولنا سيدنا محمد ﷺ منزلة عظيمة وإن خلقه عظيم، كما قال رب العزة سبحانه: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (سورة القلم: الآية: ٤) وحين يصف الله تعالى رسوله ﷺ بعظمة خلقه فهذا أعظم وصف حيث إنه صدر من الله سبحانه وتعالى.

ولذا فإن تكرار تلك الإساءات الكاذبة الظالمة التى وجهتها الصحف الدانماركية إلى سيدنا محمد ﷺ، ماهى إلا دعاوى باطلة وآثمة دافعها الحقد على الإسلام الذى ينتشر ويزداد أتباعه فى كل يوم.

ودافعها: عدم الإيمان عند المسيئين بأى دين ولا بأى رسول إذ لو كان هؤلاء المسيئون يدينون بدين، ما أساءوا إلى أشرف المرسلين، لأن الأديان السابقة، بشرت بسيدنا محمد ﷺ، بل إن رب العزة سبحانه وتعالى أخذ العهد والميثاق على جميع الرسل أن يؤمنوا برسول الله وأن ينصروه وأمرهم بالإقرار بذلك فأقروا، وشهدوا بهذا، بل وشهد معهم رب العزة سبحانه وتعالى وذلك فى قول الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (سورة آل عمران: الآية ٨١).

وهذا العهد من الله تعالى لجميع الرسل شهدوا به على أنفسهم وشهد الله معهم قد بلغوه لأممهم، وهو عهد يوجب على هذه الأمم جميعا أن يؤمنوا بسيدنا محمد ﷺ وأن ينصروه إن أدركوه وعايشوا زمانه وزمان دعوته الخالدة إلى يوم القيامة، وهذا الإيمان والانتصار له إنما هو اتباع لأنبيائهم ورسلهم ورسالاتهم. فإذا لم يتبعوا ما اتبعه رسلهم، وإذا لم يؤمنوا بما آمن به رسلهم وإذا خالفوا هذا، فهم إذًا غير صادقين فى إيمانهم وكاذبون فى كل مايدعون.

وما بالنا حين يتصدون لمن أمر الله به جميع رسله أن يتبعوه وأن يؤمنوا به وأن ينصروه فيسيئون إليه ويلصقون التهم الكاذبة به، أليس فى هذا تكذيب لرسلهم وعدم إيمان بهم؟!

ولكن الحقيقة أنهم ليس عندهم إيمان بالله ولا برسولهم نستنتج هذا من هجماتهم الظالمة والمتكررة على أشرف خلق الله وإمام جميع رسل الله، ومن أمر الله رسله وأتباعهم بالإيمان به وهو سيدنا محمد ﷺ.

إن تكرر الإساءة إلى سيدنا محمد ﷺ يمثل الاستخفاف بالأديان كلها، وبجميع الرسل، وهو ما يمثل عدوانا على الشرائع السماوية المنزلة من عند رب العالمين.

وهو الأمر الذى لايصح أن يسكت العالم عليه بل إن الواجب الوقوف فى مواجهة هذا العبث الأخلاقى والاستخفاف بالأديان والرسل؛ لأن هذه الإساءات تسمم العلاقات الدولية بين جميع الأمم وبين أتباع الرسل، وتزرع أسباب الشقاق والصراع بين الحضارات الإنسانية.

النهى عن موالاة المستهزئين:

ولقد نهى الله سبحانه وتعالى

المؤمنين عن موالاة الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا، وحذر القرآن من موالاتهم كتابيين ومشركين ومن أهم معالم الدين، ما جاء به رحمة الله للعالمين وهو سيدنا محمد ﷺ من كتاب وسنة وتشريع أخذ بيد البشرية إلى سعادة الدنيا والآخرة وأخرجها من الظلمات إلى النور، ووضح القرآن الكريم أن المؤمنين حقّا هم الذين لا يوالون المشركين والكفار والذين اتخذوا الدين هزوا ولعبا، فاستهزأوا برسول الله ﷺ وبما جاء به، وأما الذين يوالونهم فليسوا بمؤمنين، وليسوا بكاملي الإيمان، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة المائدة: الآية: ٥٧).

أى: اتقوا الله سبحانه أن تتخذوا أعداءكم وأعداء دينكم وأعداء رسولكم أولياء إن كنتم مؤمنين حقّا بشرع الله وبرسوله. فالذين يلهثون مع هؤلاء المستهزئين ويوالونهم، قد خالفوا أمر الله سبحانه وتعالى.

وإن السكوت على هؤلاء المتطاولين على مقام أشرف الأنبياء والمرسلين يجعلهم يستمرئون باطلهم ويكررون إساءاتهم كما حدث مرارًا.

وهم بهذا يحولون دون تحقيق العلاقات الدولية لرسالتها ويزرعون يسلوكهم الكراهية والبغضاء بين الدول والشعوب.

إننا ندعو العالم كله أن تكون له وقفة جادة حتى لا يستمرئ الظالمون ظلمهم.

حماية الله لرسوله ﷺ:

ولقدأمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام، بأن يجهر بدعوة الحق التى أمره الله بها - وأن يعرض عن المشركين وعما يفعلونه ومايقولونه من أذى وتكفل رب العزة سبحانه وتعالى بحماية رسوله ﷺ وأن يكفيه المستهزئين الذين يسخرون منه ومن دعوته وأنهم لن يتمكنوا من النيل منه، فهؤلاء المشركون جعلوا مع الله إلهاً أخر بل آلهة من الأوثان، فسوف يعلمون نهاية شركهم واستهزائهم.

ووضح رب العزة سبحانه أنه يعلم تأثر الرسول ﷺ وضيق صدره بما يقول المستهزئون.

ثم أمر الله تعالى رسوله ﷺ - إذا أصابه هذا التأثر والضيِّق - أن يتجه إلى الله بالتسبيح والتنزيه وأن يكون من الساجدين والخاضعين إلى رب العالمين، وأن يلتزم عبادة ربه حتى ينتهى أجله وحتى يلحق بالرفيق الأعلى.

تكرار الإساءات الظالمة ما هى إلا دعاوى باطلة وآثمة دافعها الحقد على الإسلام الذى ينتشر ويزداد أتباعه فى كل يوم

وفى هذا البيان توجيه للأمة كلها، وعلمائها ودعاتها أن يحذوا حذو رسول الله ﷺ، عن هذا كله قال رب العزة سبحانه وتعالى:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ • إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ • الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ • وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ • فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ • وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (سورة الحجر: الأيات: ٩٤-٩٩).

ولا يظنن أولئك الآثمون المسيئون أن عدم السرعة فى مؤاخذتهم فى الدنيا يجعلهم فى أمان، فإن الله تعالى يمهل ولا يهمل ولطالما حدث مثل ذلك الاستهزاء من أمم سابقة لرسل سابقين فأمهلهم الله ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر فكان نزول العقاب الشديد بهم الذى لا يوصف، وذلك واضح فى قول الله تعالى:

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (سورة الرعد: الآية: ٣٢).

ولقد جرى للرسل السابقين، مثل ما جرى مع خاتم الأنبياء والمرسلين مع الأمم، فعندما استهزأ الكفار بهم حل بالكافرين الذين استهزأوا وسخروا من رسلهم حل بهم العذاب الذى جعلوه مثار استهزائهم وسخريتهم كما قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (سورة الأنبياء: الآية: ٤١).

فلينتظر أولئك المسيئون الظالمون ما ينزل بهم عاجلا أو آجلا؛ فإن الله تعالى يمهل ولا يهمل.

﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما

يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم: الآية: ٤٢).

الوعيد للمستهزئين بخاتم الرسل والنبيين:

ولقد جاء القرآن الكريم يحمل الوعيد الشديد للمستهزئين بخاتم النبيين، الذين كذبوا بالحق لما جاءهم، وأنهم سيحل بهم ما أخبر الله عنه فى آياته، من عقاب الدنيا، وعذاب الآخرة، وسيتضح لهم آنئذ صدق وعيد الله سبحانه وتعالى الذى كانوا يسخرون منه، ويستهزئون به، حيث قال الله سبحانه وتعالى:

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (سورة الأنعام: الآية: ٥).

وقد خاطب الله تعالى رسوله ﷺ موضحا له الوعيد الشديد للمستهزئين به، فهو إن سألهم عن سبب طعنهم واستهزائهم - قديما - لقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، ولو سألناهم نحن اليوم لقالوا: حرية التعبير فيرد عليهم الخالق لقدير آمرا رسوله ﷺ أن يقول لهم:

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (سورة التوبة: الآية: ٦٥).

وهكذا يحمل القرآن الكريم التقريع لأولئك المسيئين الظالمين على إساءتهم واستهزائهم.

نهاية المستهزئين:

ولقد قرر القرآن الكريم نهاية الذين كفروا واتخذوا آيات الله ورسله هزوا، فاستهزأوا بدين الله وآياته ورسله فكانت جهنم مأواهم وجزاءهم بسبب كفرهم واستهزائهم.

إن هذا النمط من المستهزئين الكافرين، وصفهم الله تعالى بالأخسرين أعمالا، ثم فسر وضعهم فقال: **﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا • الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا • أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا • ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾** (سورة الكهف: الآيات: ١٠٣-١٠٦).

إن هؤلاء لا يقيم لهم رب العزة وزنا؛ لأن موازينهم خالية من الخير عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرءوا إن شئتم: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾» رواه البخارى ومسلم.

الاستهزاء بالرسل حدث فى أمم سابقة أمهلها الله ثم أخذها أخذ عزيز مقتدر

ثم وضحت الآيات السبب فى عقابهم وجزائهم ودخولهم جهنم وهو أنهم كفروا، وأنهم اتخذوا آيات الله ورسل الله هزوا، فاستهزأوا بهم وكذبوهم، قال سبحانه:

﴿ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا﴾.

أى أن هذا الجزاء والعذاب بسبب كفرهم واتخاذهم لآيات الله ورسله هزوا، فاستهزأوا وسخروا وإن ربك لبالمرصاد.

وقد وعد الله الرسل بالنصر على من آذوهم وكذبوهم وقص على رسوله ﷺ أنباءهم؛ تسلية له وتثبيتا قال الله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾** (سورة الأنعام: الآية: ٣٤).

وإننا لنؤكد مطالبتنا على ما يأتى:

أولا: وجوب الوقوف على قلب رجل واحد من جميع المسلمين فى كل الأرض لمواجهة هذه التحديات السافرة والمتكررة.

ثانيا: وجوب قيام الأمم المتحدة والمنظمات العالمية بسنّ تشريع يعاقب هؤلاء المسيئين حتى لاتتكرر الإساءة مرة أخرى.

ثالثا: النهى عن موالاة المستهزئين ورفض سياستهم حتى يتوبوا ويتوبوا ويعتذروا.

● أما مقام سيد الخلق ﷺ فلا يمسه سوء مهما افترى الآثمون؛ لأن الله تعالى تكفل به «إنا كفيناك المستهزئين».

● وأما بالنسبة للمسيئين فلن يتركهم الله حتى ينزل بهم الجزاء؛ لأن الله تعالى قال: **﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾.**

موقف الفكر الإسلامى من الفلسفة اليونانية (٢)

دكتور
محمد شامة

وعندما وصلت الفلسفة عن طريق المدارس المسيحية فى الشرق الأدنى إلى المسلمين وصلت إليهم، وهى تجمع كل هذه العناصر، لكنها وصلت إليهم مغلفة بغلاف آخر. وصلت إليهم وقد علتها مسحة صوفية شرقية، وفيها تأييد «بوحدة الأول» وبساطته، ولهذا سُرَّ بها المسلمون أول الأمر وقدروا فيها «عصمة الحكمة».

ومن أجل ذلك استبعدوا أن يكون للحكماء الإغريق مقصد يتعارض مع الإسلام، طالما يقولون: «بالوحدة» فى العلة الأولى، وطالما يرون الزهد طريقًا لسعادة الإنسان، وإن أعطى ظاهر عباراتهم ما يفيد هذا التناقض فى بعض الأحيان.

ولأن المسلمين استبعدوا هذا القصد من الإغريق، حاولوا أن يوفقوا بين أفلاطون وأرسطو، عندما تبدو بينهما معارضة، كما حاولوا التوفيق بين فلسفتهما من جهة، والإسلام من جهة أخرى، إن أعطى ظاهر النصوص فى الجانبين نوعًا من التضارب بينهما. والفارابى واحد من مشاهير الفلاسفة المسلمين، الذين ظنوا شمول «الحكمة» فيما نقل إليهم من الفلسفة الإغريقية، والذين اعتقدوا: أن عظماء الحكماء من الإغريق يكاد يستحيل عليهم التضارب فيما يقولون، وأن حكمتهم يستحيل عليها أيضًا: أن تختلف مع الإسلام، علمًا بأن ما نُقِل إليهم ينطوى فى واقعه على التضارب، فواقعه ذو ألوان عديدة كما بيَّنا ذلك منذ قليل، وهو ليس إلا مغطى ببريق يخدع من لم يقف على حقيقته.

ولحسن ظن فلاسفة المسلمين ـ ومنهم الفارابى ـ بالفلسفة الإغريقية، وليقينهم بعدم تضارب الفلسفة مع الإسلام، دخلوا التفلسف ـ وعلى الأخص الفارابى ـ على أساس «الجمع» بين الآراء الفلسفية، و«التوفيق» فيما يبدو منها مختلفًا بعضه مع بعض، أو مع الإسلام.

لا أريد أن أكثر من ضرب الأمثلة التى تبين جهد الفارابى فى التوفيق، ولذا سأكتفى بذكر مثال واحد، ألا وهو التدليل على وجود الله، ففى هذا المجال يستعير الفارابى من الأفلاطونية الحديثة طريقها فما يسمى «بالجدول النازل» و «الجدول الصاعد». وفى الحديث عن ذلك يستأنس بآية قرآنية، وهى قوله تعالى: **﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد﴾** سورة فصلت الآية ٥٣.

ونص حديثه:

لك أن تلحظ عالم الخلق، فترى آيات الصنعة، ولك أن تعرض عنه وتلحظ عالم الوجود، وتعلم أنه لابد من وجد الذات:

فإن اعتبرت عالم الخلق فأنت صاعد، وإن اعتبرت عالم الوجود المحض فأنت نازل.

تعرف بالنزول: أن ليس .... ذاك، وتعرف بالصعود: أن ليس هذا .. هذا.

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد﴾

وكان الفارابى يقول: هناك دليلان على وجود الله:

الدليل الأول:

أن تنظر إلى المخلوقات، أو إلى ما يسميه هو: بعالم الخلق، وهو عالم يأتى بعد عالم الأمر، أو عالم الملائكة،

وقبل هذا يكون عالم الربوبية، أو عالم الوجود الإلهى، فتشهد فى المخلوقات صنعة الله تدل على صانع لها، وهذا الصانع هو الله.

الدليل الثانى:

أن ننظر إلى «الوجود المحض»، أى إلى الوجود من حيث هو وجود، فنصل من هذه النظرة إلى أن هناك واجب الوجود لذاته، وهو الله تعالى، وهو السبب فى وجود الممكن، والممكن هو ما بعد الله من عوالم، هو عالم الأمر أو الملائكة، وعالم الخلق، أو المخلوقات، وبالأخص: الإنسان.

وهذا الدليل على وجود الله دليل تنازلى؛ لأنه من وجود واجب الوجود بذاته: يعرف عالم المخلوقات. والعقل إذن فى هذا الدليل ينتقل من الأعلى، وهو واجب الوجود بذاته، أو الله، إلى الأدنى، وهو وجود واجب الوجود بغيره، أو المخلوقات.

ثم يجعل الآية التى استشهد بها هنا تعطى الطريقين فى الجدل، وهما: الصاعد ﴿**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق...**﴾ يشير فى تقديره إلى الجدل الصاعد. فأمارات الله فى عالم المخلوقات وفى النفوس البشرية، تعطى الدليل على وجود الله الحق، فهى صنعة، وكل صنعة لابد لها من صانع، والصانع هو الله تعالى: فهو دليل من الأدنى على الأعلى، دليل المخلوقات على الله، وعالم المخلوقات تَجَلٍّ لوجود الله، فكأنه هو ... هو.

وقوله: ﴿ .... **أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد**﴾ يشير فى تقديره أيضًا إلى الجدل التازل، وهو الاستدلال بوجود الله على وجود عالم المخلوقات، فالله هو الخالق، وأمارة خلقه فى وجود هذا العالم، فوجوده شاهد على وجود غيره، وهذا دليل من الأعلى على الأدنى، والوجود الأعلى غير الوجود الأدنى: ليس هذا .... ذاك، وهذا التركيب الفلسفى للفارابى يتكون من عناصر ثلاثة:

١ ـ العنصر الأرسطى، وهو عنصر واجب الوجود بذاته، والممكن بذاته، وصلة كل منهما بالآخر.

رفض بعض جوانب الفلسفة اليونانية لا يتنافى مع طبيعة المجتمع البشرى الذى يتصارع ويتناطح فى مجال الجدل الفكرى

٢ ـ العنصر الأفلاطونى الحديث، وهو عنصر توجيه الاستدلال بكل منهما على الآخر، على أن يكون مرة من الأعلى إلى الأدنى، ومرة أخرى على العكس: من الأدنى إلى الأعلى، مع تسمية وجه منها بالجدل النازل، والآخر بالجدل الصاعد.

والتوفيق الذى ينسى هنا، هو احتواء الآية بعمله الفلسفى على مضمون العنصرين الأولين، وكأن هذين العنصرين يكونان معنى الآية القرآنية. وكأن القرآن فى اعتباره يترجم عن الفلسفة، وعملية التوفيق هى: عملية «مقدم» و «تال» فى قياس منطقى أرسطى.

يجب ألا ينسى الباحثون فى هذا المجال أن عمل الفارابى ـ ومن نحا نحوه من الفلاسفة المسلمين ـ لا يمثل إلا جانبًا من جوانب الفكر الإسلامى؛ إذ من المعروف أن جمهرة علماء المسلمين لم يوافقوه على هذا المنهج، حتى الذين قبلوا الفلسفة اليونانية استثنوا منها الجانب الإلهى، لأنه لا يتفق مع العقيدة الإسلامية. وليس معنى أنهم لم يقبلوا هذا الجانب من الفلسفة اليونانية، أنهم حاربوا من يتعلمها، أو تعقبوه فى رزقه، أو عمله ... لا! وما يحدثنا به التاريخ من حرق كتب بعض الفلاسفة، واضطهادهم، فليس إلا حوادث استثنائية، قامت بها مجموعة، لا تعرف فقه الإسلام فى مجال حرية الفكر، لأن حرب الفكر واضطهاده ليس من طبيعة الإسلام، فهو الداعى إلى شد الرحال للتعلم ولو بالصين. فالعلم فى المجتمع الإسلامى كلأ مباح للجميع، لا يمنع عنه أحد، ولا تقيد حريته فى البحث، لكن هذا لا يمنع أن تقوم مجادلات فكرية حول ما يتنافى مع المبادئ الإسلامية، وذلك أمر لا يتنافى مع طبيعة الفكر البشرى، فإنه يتصارع ويتناطح فى حدود مجال الجدل

الفكرى. وهذا هو ما حدث فى المجتمع الإسلامى بالنسبة لمن رفضوا بعض جوانب الفلسفة اليونانية. وأشهر مثال على هذا ما قام به حجة الإسلام الإمام الغزالى؛ فقد صنف الفلاسفة إلى دهريين، وطبيعيين وإلهيين، ثم قال:

الصنف الأول:

الدهريون، وهم طائفة من الأقدمين، جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، فزعموا أن العالم لم يزل موجودًا كذلك بنفسه وبلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكون أبدًا. وهؤلاء هم الزنادقة.

الصنف الثانى:

الطبيعيون، وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة، وعن عالم الحيوان والنبات، وأكثروا الخوض فى علم التشريح، أعضاء الحيوانات.

ثم بعد أن يبين دقائق بحثهم يحكم عليهم بالزندقة أيضًا، معللاً ذلك بأن أصل الإيمان هو: الإيمان بالله واليوم الآخر، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر، وإن آمنوا بالله وصفاته.

الصنف الثالث:

الإلهيون، وقد ردوا على الصنفين الأولين من الدهريين والطبيعيين، وأوردوا فى الكشف عن أخطائهم ما أغنوا به غيرهم عن القيام بهذا العمل، إلا أنهم استبقوا أيضًا من رذائل كفرهم وبدعهم بقايا، لم يوفقوا للتخلص منها، فوجب تكفيرهم، وتكفير شيعتهم من المتفلسفة الإسلاميين كابن سينا، والفارابى، وأمثالهما.

وعلى الرغم من أن الغزالى رمى الفلاسفة كلهم بالكفر والزندقة ـ سواء كان ذلك بسبب انحراف مذهبهم كله، أو بسبب انحراف بعض آرائهم فى نظره ـ إلا أنه حين تعرض لفروع الفلسفة من: رياضية، ومنطقية، وطبيعية، وإلهية، وسياسية، وخلقية، فإنه قبل جميع فروعها جملة ـ وإن هاجم بعض الاتجاهات فى كل فرع ـ إلا فرع الإلهيات، فقد ذكر أن فيها أكثر أغاليط الفلاسفة، وأرجع أخطاءهم فى هذا الفرع إلى عشرين، كفرهم فى ثلاثة فقط، وهى قولهم:

١ ـ أن الأجساد لا تحشر، وإنما المثاب والمعاقب هى الأرواح المجردة، والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية.

٢ ـ أن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات.

٣ ـ بقدم العالم وأزليته.

معللاً ذلك بأن أحدًا من المسلمين لم يذهب إلى شىء من هذه المسائل الثلاث.

هذه الحملة التى قادها الغزالى ضد الفلسفة والفلاسفة، إن دلت على شىء فإنما تدل على أن الأمر لم يتعد مجال الجدل الفكرى، بدليل أن الفلسفة بقيت فى المجتمع الإسلامى، وظلت تدرس فى جامعاته ومدارسه بعد الغزالى، ولم تزل تدرس حتى اليوم، مما يعطى انطباعًا بأن المسلمين لم يقفوا من الفكر الأجنبى موقف الرافض المعارض لتعلمه، المحارب له بأساليب خارجة عن نطاق المعارضة الفكرية. وهذه هى روح الإسلام: حرية الفكر، تعلمًا، ونقاشًا، وتحليلاً، ومحاورة، ومعارضة الحجة بالحجة. فما يحمل من الأفكار خاصية الثبوت والدوام بقى فى المجتمع ورسخ فيه، وما كان مهلهل الصورة، ضعيف البنيان، ذهب واندثر. وتلك سنة الله فى خلقه، **﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض﴾**.

مراجع البحث:

١ - الغزالى: المنقذ من الضلال: تحقيق: الدكتور عبدالحليم محمود.

٢ - محمد البهى: الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى.

٣ ـ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية.

٤ ـ ألبير ريفو: الفلسفة اليونانية، أصولها وتاريخها، ترجمة: الدكتور عبد الحليم محمود، أبو بكر ذكرى.

٥ ـ أحمد أمين، زكى نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية.

٦ ـ أحمد أمين: فجر الإسلام.

٧ ـ على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام.

الدعوة والخطاب الدينى

- محمد رسول الله ﷺ..
  فى حديث الإمام الشعراوى
- حقيقة التصوف
- بلاء المخدرات .. من أكبر المشكلات

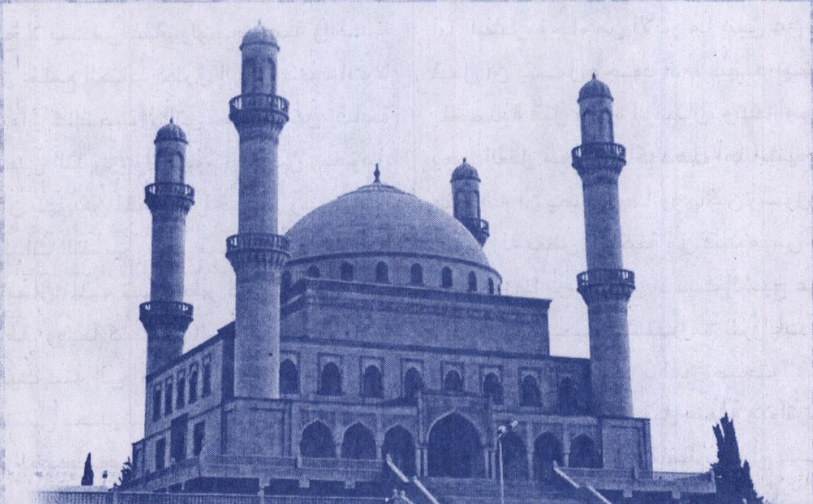

مُحمّد رَسول الله
فى حديث الإمام الشعراوى

د. محمد رجب البيومى

لا يفتر الشيخ الشعراوى عن ذكر رسول الله ﷺ داعيةً ومحدثا، ومحاولة تقريب ما ذكره عن النبى الكريم عناء مرهق؛ لأنه أكثر من أن يحدّ، وقد قرأتُ عنوانًا لكتاب جمع آثار الشيخ هو (من هو محمد ﷺ؟) فظننت أن الكتاب تضمن خلاصة ثانية مما قال، ولكنى وجدت ما ذكر عن رسول الله ﷺ مما قال الشيخ لا يشفى غلة، ولو بجرعة واحدة، والعجيب أن جامع الكتاب تطرق إلى موضوعات لا تتصل بالعنوان كالفصول التى تحدثت عن إقامة الصلاة، ومعنى التقوى، والمفهوم الخاطئ ونحوها، وقد نسى أن ينهل من المعين الزاخر عن رسول الله ﷺ فى مجلدات التفسير، وهى تملأ عدة أسفار!

وروح الإيمان الملهم تسيطر على الشيخ فى أحاديثه بعامة، وفيما كتب عن الرسول بخاصة؛ لأنه يمتد بالحديث عنه إلى أصل الخليقة قبل أن يخلق آدم. ولا يكتفى بحديثه منذ ميلاده الشريف، والنصوص الصحيحة فى كتب الحديث تعضد منحاه، وقد افتتح حديثه[1] بما روى عن بعض الصحابة أنه سأل رسول الله ﷺ: متى كنت نبيّا؟ فقال: **«وآدم بين الروح والجسد»**، وفصل الأستاذ ما أجمل بقوله: إن هناك عهدا موثقا بين كل فرد منذ أن كان ذرة دقيقة فى صُلب آدم وبين الخالق الأعظم مستنداً إلى الصريح الواضح من قول الله عز وجل: **﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾** (سورة الأعراف: الآية ١٧٢)، وإذا كان آدم أبا البشر، وجاء من الآثار ما ينبئ عن نبوة محمد قبل أن يكتمل وجود آدم، فقد ثبتت الرسالة المحمدية قبل نشأة الإنسان، وتلك أمور غيبية، لا يجد العقل مجالاً لتأكيدها. أما الشيخ نفسه فمن منهجه أن يصدق ما روى عن رسول الله ﷺ إذا التمس له بعض السكينة من قلب مؤمن أوّاب!

وأول ما يروعك فى حديث الشيخ عن رسول الله ﷺ أنه يأتى بغير المشتهر من الروايات ليسلط عليه الضوء، ما قامت لديه براهين صحته! فالبشائر التى نوهت برسول الله ﷺ قبل مبعثه متواترة، نعلمُها حق العلم، ولكن بين هذه البشائر ما لم يشتهر، وفيه الطريف المستحب من الأنباء، وهنا يبسط الشيخ المجال لإيضاحه والإشادة به، مثل حديث على بن أبى طالب مع الحبر اليهودى حين بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن هاديا إلى الإسلام، وسفارة علىّ كانت بعد

ازدهار الإسلام وهو (وإن كان فى موعده الأخير) يُشير إلى بشارات صادقة تنبأت به، فى كتب اليهود قبل البعثة، وكان الحبر اليهودى يسأل مدققًا، وكان على بن أبى طالب يُجيب صادقا، فى حوار يصح أن يكون مشتهرا بين الناس اشتهار غيره من النبوءات الصادقة ولهذا اختصه الشيخ بمزيد من البسط المريح.

وقد يكون الموقف النبوى مشتهرا ذائعا يعرفه طلبة المدارس فى باكورة تعليمهم، ولكن التعليق عليه يعتبر جديدًا طريفًا، فكلنا نعرف موقف السيدة خديجة - رضى الله عنها - حين عاد الرسول ﷺ من غار حراء عقب نزول الوحى وجلا يقول: لقد خشيت على نفسى، كلنا نعرف موقف هذه الزوجة الحانية العطوف، وما طمأنت به خاطر زوجها الكريم، ولكن الذى أكده الشيخ من صفات الزوجة العاقلة الصبورة ذات الثبات فى ساعة الشدة، والابتسام عند الضيق، ويعلمنا أن اختيارها زوجًا لأكرم نبى كان تدبيرا من الله؛ إذ لا يسد مسدها أحدٌ فى تسلية النبى، وتهوين ما يلقى من الصعاب! وهذا ما بينه الشيخ فى عذوبة رقيقة جعلت قديمه جديدًا ذا طرافة وإمتاع، وأوضح ما فى أحاديث الشيخ فى رحاب السيرة النبوية هو الانتقال من الماضى إلى الحاضر فى جهات قد لا تطرأ على ذهن آخر، فهو فى حديثه عن الهجرة النبوية يسرد الواقع، يسبح فيه إلى توجيهات نافعة فى حاضر اليوم، وإذا كان من ديدنه أن يُحلل اللفظ اللغوى منتقلاً إلى معانيه المختلفة فى الآيات الكثيرة، فإن هذا التحليل اللغوى لا يقف عند اللغة وحدها، بل يتعداه إلى إرشادات مثمرة، فيها الصلاح الاجتماعى للبشر جميعا، لقد كانت هجرة رسول الله ﷺ مدعاةً إلى القول اللافت عن فضل الهجرة والترغيب فيها، وعن شعور العاجزين عن الرحلة، ممن يقولون: **﴿كنا مستضعفين فى الأرض﴾** فيرد عليهم ربهم قائلا: **﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾** (سورة النساء: الآية ٩٧) وهنا يتسع المجال لنقد الواقع العالمى الراهن بين الدول المعاصرة، حيث يقول الشيخ(٢):

وإذا كان الإنسان قد اضطرته ظروف صنعتها أوضاع غير طبيعية فلا ينتقل إنسان من مكان إلى مكان إلا بعد سلسلة طويلة من التعقيدات، فذلك مناقض لقضية الخلافة فى الأرض؛ لأن الخلافة لم توزع جماعة ما على أرض ما، مصداقا لقوله تعالى: **﴿والأرض وضعها للأنام﴾** (سورة الرحمن: الآية ١٠)، ومن الواجب أن تسيح المسألة، فتأخذ الأرض التى بلا رجال ما تحتاجه من الرجال من البلاد التى لا أرض فيها، وهذا الضجيج الذى يعكر صفو الحياة سببه أنه يوجد فى كون الله أرض بلا رجال، ورجال بلا أرض، وكان على الإنسان إذا ضاق به مكان أن يرحل إلى مكان آخر، ولو كان الأمر كذلك لسعدت البشرية ومن ينقض هذه القضية فعليه أن يعرف أنه يأخذ الخلافة فى الأرض بغير شروطها.

ويؤكد الرجل الكبير هذا المعنى فى موقف آخر عندما يقف أمام قوله تعالى: **﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقًا لهم مغفرة ورزق كريم﴾** (سورة الأنفال الآية ٧٤) يثبت أمام المراد من لفظ الرزق فيقول(٣).

«الرزق هو ما انتفع به الإنسان، وإذا كان الناس ينظرون إلى الرزق على أنه المادة فقط، من مال وأرض وعقار وطعام ولباس ، فإن الحقيقة أن الرزق مجموع أشياء متعددة، منها ما هو مادى وما هو معنوى، فالاستقامة رزق، والعلم رزق، والتقوى رزق، وكلما امتد نفع الرزق يوصف بأنه حسن وجميل. وإذا جاء الرزق بلا تعب يكون كريما. فالهواء رزق لا عمل لك فيه، يمر عليك فتتنفس، والماء رزق لا عمل لك فيه. لأنه يهبط عليك من السماء، والطعام رزق لك فيه عمل قليل، فأنت بذرت ورويت وانتظرت حتى جاء الثمر».

إن تأكيد هذه المعانى يورث النفس طمأنينة، فكم من الناس يتمتعون بالصحة والعافية ولكنهم فقراء من ناحية المال، وهم يعدون أنفسهم بائسين؛ لأنهم

لم يلتفتوا إلى رزق الصحة الذى وهبه الله لهم، وهو رزق يتمناه الأغنياء من المرضى، ويودون بجدع الأنف لو تذهب ثرواتهم الطائلة ويتمتعون بنعمة العافية فقط... وإذن فالفقير الصحيح محظوظ برزقه عن الغنى المريض!

كما وددت أن أطيل فى سرد أمثال هذه الخطرات لفائدتها الاجتماعية، ولكننا نبعد عن (العنوان) إذا انتحينا هذه الإفاضة، وننتقل إلى التفسير القرآنى المجموع فى المجلدات، لننقل عنه شذوراً مما جاء عن نبى الإسلام، وكله جيد رائع، وسبيلنا أن نجتزئ.

١ - يقول الله عز وجل: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾** (سورة التوبة: الآية ١٢٨).

لقد فتح الله على الشيخ بما لم يقله سواه فى هذا المجال - كما أعلم - حيث قال [٤]: «إن الحق قد نسب المجىء هنا إلى الرسول (فقال: جاءكم) ولم يقل (جئتكم)، وكلنا يعلم أن الرسول ﷺ لم يأتِ من عند نفسه، ولم يدّعِ هذا الأمر الجليل لنفسه، ولكن الشحنة الإيمانية تُفيد أنه خُلق بما يؤهله لهذه الرسالة، وبمجرد أن نزل عليه الوحى امتلك اندفاعاً ذاتيّا لأداء الرسالة، ولم يحتج لمن يدفعه لأداء الرسالة، لذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن يُثبت للرسول ﷺ المجىء ذاتيّا، فأتى سبحانه بكلمة جاء».

وبعد أن ذكر الآراء التى قيلت فى تفسير قوله تعالى: **﴿من أنفسكم﴾**، أضاف إليها قوله: «يعنى أنكم تعلمون تاريخه، وتعرفون أنه أهل لحمل أمانة السماء للأرض، كما تحمّل أماناتكم من الأرض للأرض، فلقد سمّيتموه الصادق الأمين الوفى، وهى مقدمات كانت تُوحى بضرورة الإيمان به رسولاً من عند الله، وإذا كانت سلسلة أعماله معكم تثير فخركم، فمجيئه كرسولٍ يرفع من ذكركم ويُعلى شأنكم، ولذلك يقول الحق: **﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾**[١] (سورة الزخرف الآية ٤٤).

﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ شاقٌ عليه أن يُعنتكم بحكم، فقلبه رحيم بكم، وهو لا يأتى لكم بالأحكام لكى تشق عليكم، بل يأتى بالأحكام لمصلحتكم؛ إذ يعز عليه أى يشقّ على نفسه، ثم استشهد الشيخ تأكيداً لقوله بالحديث المشهور «**مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى فى النار يقعن فيها، وجَعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فذلكم مثلى ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلمّ عن النار، هلم عن النار، فتغلبونى وتقتحمون فيها**».

ولو تحدث بليغ من البلغاء عن رحمة الرسول ﷺ بأمته تفسيراً لقول الله عز وجل: **﴿عزيزٌ عليه ما عنتم﴾** ما بلغ مبلغ هذا التصوير الأدبى فى الحديث الشريف، ومن هنا كانت الصورة البيانية آية الآيات فى تقريب المعنى وتجسيده واقعاً ملموساً، وقد أصاب الشيخ إصابةً دقيقة فى الاستشهاد به فى شرحه المنير مع ما أضاف من أمثلة مشاهدة فى الواقع الراهن، وكأنى به وقد جعل من كل مشهد يراه موضع اعتبار وعظة، فهو يتعمق كل ما يمر به صغيرا كان أو كبيراً، ولا يفوته أن يأخذ العبرة منه واضحة نيرة، وقد أفاض فى الاستدلال على شدّة تأثر رسول الله ﷺ النفسى بعنت قومه، ونكولهم عن الحق، مستشهدا بقول الله عز وجل **﴿لعلّك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾** (سورة الشعراء: الآية ٣) لتكون مقدمة لتفسير قوله تعالى: **﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾**. ومن شفافيته الروحية قوله [٥]:

«إن الرسول لا يسلك بما عنده (مسلكه الرائف الراحم)، بل يسلك برأفة مستمدة من الله، وكذلك رحمته ﷺ مستمدةٌ من رحمة العلى الأعلى، وكأنّ الحق سبحانه وتعالى يُبين لنا أنّه أعطى محمداً ﷺ بعضًا من الصفات التى عنده، فهو كما يبلغكم المشقّات فى التكاليف، يبلغكم السلامة من المشقات فى الرأفة، وترقية المنعمات بالرحمة».

ويصل إلى العبرة البالغة من النص القرآنى حين يقول عقب ذلك: «إن استقبلتم مشقات التكليف من رسول الله ﷺ، فاعلموا ممن جاءت هذه المشقات، واعلموا أن مجيئه بها ليرفع عنكم مشقات أكبر وأخلد؛ لأن مشقات التكاليف تنتهى بانتهاء زمن التكليف، وهو الدنيا، ثم يذهب المؤمن إلى الجنة ليحيا بدون تكليف.. وهكذا نجد الحق سبحانه وتعالى قد جاء فى هذه السورة بمشقات التكليف والثواب عليها وطمأن المؤمنين بأن الرسول يتميز بكل المواصفات الموحية، من أنه بشر، وأنه حريص عليهم، وأنه لا يكلفهم إلا بالمشقات التى تنجيهم من المشقات الأبدية، فهو بهم رءوف رحيم، ولا أقول بعد هذا اللمح الخاطف، إن الشعراوى أضاف الجديد إلى صفات رسول الله ﷺ، ولكنّى أقول: إنه جلَّى هذه الصفات بما يجعلها وضيئة زاهية تخلب الأبصار.

٢ - وحُبّ الشيخ لرسول الله ﷺ وإجلاله إياه يُلهمه من الخواطر الشريفة ما لم أقرأه من قبل، يتجلَّى ذلك فيما شرح به قول الله عز وجل: ﴿**وما أرسلْنا من رسول إلا ليُطاع بإذن الله ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاءُوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما**﴾ (سورة النساء، الآية ٦٤)، حيثُ أفاض فى تحصيل الخطوات التى يتّبعها الظالم حين يريد التوبة، وهى اللجوء إلى رسول الله ﷺ، ثم طلب المغفرة من الله واستغفار الرسول بعد ذلك فتكون النتيجة أن يقبل الله التوبة لأنه تواب رحيم، وَبَعْد أن وضّح ذلك بما لا مزيد عليه، قال الشيخ رحمه الله[٦] : قوله : ﴿**لوجَدوا الله توابا رحيما**﴾ يدلّ على أن وُجودَ التوبة مشروطٌ بعودتهم للرسول بدلاً من الإعراض عنه. ثم أن يستغفروا الله؛ لأنّ الله ما أرسلَ من رسول إلا ليُطاع بإذنه، فلا تقلْ عندما تختلفُ معه إنى اختلفتُ مع الرسول، لا، إنّك إن اختلفتَ معه تكون قد اختلفت مع مَنْ أرسله وعليك أن تستغفر الله!

وقوله تعالى عقب ذلك: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا ممّا قضيت ويسلموا تسليما**﴾ (سورة النساء، الآية ٦٥) هذا القول كان انبثاقًا لفيض نورانى أتى من خواطر الشيخ حيث قال بصدد هذه الآية الكريمة[٧] ببعض التصرف: ﴿**فلا وربك**﴾ إنك إن نظرت إلى الإنْس فلن تجده (عز وجل) أقسم بأحد من الأناسى إلا برسول الله ﷺ . وقد أقسم بحياته فقال: ﴿**لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون**﴾ (سورة الحجر، الآية ٧٣) أى: وحياتك يا محمد إنهم لفى سكرتهم يعمهون، وفى الآية التى نَحْنُ بصدد خواطِرنا عنها ﴿**فلا وربك**﴾ دليلٌ على أن محمدا عليه الصلاة والسلام ذُو منزلة عالية، وإياكم أن تظنّوا أنه حين قال: ﴿**لخلقُ السماوات والأرض أكبر من خلق الناس**﴾ (سورة غافر الآية ٥٧) أن محمدا قد دخل فى الناس إنه سبحانه يوضح بقوله ﴿**فلا وربك**﴾ لا سأقسم به كما أقسمت بالسماء والأرض.. إن خلق السماوات والأرض يكفى فيها الخلق وناموس الكون والتسخير، لكنْ عندما يخلق محمدا فلا يريد الخلق والإيجاد فقط، بل يريد ارتقاء النبّوة مكتملة فيقول له: فوربك الذى خلقك، والذى سواك، والذى رباك، والذى أهّلَكَ لأن تكون خير خلق الله، وأن تكون خاتم الرسل، وأن تكون رحمة للعالمين، يقسم بذلك كله فى قوله: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون**﴾!

وما ذكره الشيخ من أن رسول الله ﷺ لم يدخلْ فى قوله: ﴿**أكبر من خلق الناس**﴾ فى رأيى دقّة فى الاحتراس سبّبتْها حساسية مفرطة نعرفها فى شعور الشيخ الملتهب نحو نبينا الكريم! وعندى أنه سواء كان محمد ﷺ داخلاً فى جملة الناس كما هو الفهم المنطبع فى النفس لأول مرّة، أو كان خارجا عنهم، فمقامُه محفوظٌ ملحوظٌ، ولا سبيل إلى المقارنة بينه وبين سائر المخلوقات فى المكانة عند ربّه!

أمّا الوثبةُ الروحية العليا فى خواطر الشيخ نحو هذه الآية، فهى من الروعة بحيث وقفت أمامها دهشا؛

إذ فاجأتنى بشعور من الشيخ، بلغَ من الرهافة الإيمانية مبلغا لا يصل إليه غير من كان فى فضله المكن، هذه الوثبةُ الروحية العليا لن يغنى فيها التلخيص الموجز، لذلك أنقلها مستمرئا متلذذا بكلّ سطر من سطورها، بل بكل حرف من حروفها، قال الإمام المحب[٨] :

«وهنا وقفةٌ لا أبالغ إذا قلتُ إنّها شغلتْنى أكثر من عشر سنين، هذه الوقفة حول قول الله عز وجل: **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾** (سورة النساء، الآية ٦٤) إذ ذلك تمحيصٌ ممن عَاصَرَ رسول الله ﷺ ، فما بالُ الذين لم يعاصروه؟! أين الممحّص الذى يقابل هذا لمن لم يعاصر حضرة النبى ﷺ؟! ، والرسول إنما جاء للناس جميعا، فكيف يوجد ممحصٌ لقوم عَاصَروا رسول الله ﷺ ، ثم يُحرَم من جاءوا بعد رسول الله ﷺ من هذا التمحيص؟!.

هذه مسألة ظَلّتْ فى ذهنى ولا أجد لها جوابا، إلاّ أنى قلت: لقد ثَبتَ عندى وعند بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ ، قالَ مُطَمْئِنًا المؤمنين فى كافّة العصور: **«حياتى خير لكم، تُحدِثون، ويحْدُث لكم، فإذا أنا متّ، كانت وفاتى خيرا لكم، تُعرض علىّ أعمالكم، فإن رأيت خيرًا حمدت الله، وإن رأيت شرًا استغفرت لكم»** فانظرْ إلى التَّطْمين فى قوله ﷺ : **«تُعرضَ علىّ أعمالكم، فإن رأيتُ خيرًا حمدت الله، وإن رأيت غير ذلك استغفرت لكم»** فاستغفار الرسول لنا موجودٌ، إذنْ فما بقى إلا أن نستغفر الله، وما بقى إلا **﴿جاءوك﴾** أى يجيئون لسنتّك، ولما تَرَكْت منها، وهو القائل: **«تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنتى، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض»**، فكما كان الأحياء يجيئونه، فنحنُ نجىء إلى حكمه وشريعته، وهو يستغفر لنا جميعا، إذن فهذه منتهية، فبقى أن نستغفر الله العظيم ونتوب إليه، نفعل ذلك إن شاء الله.

وقول الشيخ رحمه الله: إن المجىء بعد رحيل رسول الله ﷺ إلى سنته وشريعته، هو الأوفق؛ لأنى وجدت بعض شراح الحديث يذكر أن المجىء إلى قبر الرسول ﷺ بالمدينة؛ لأنه حى به. وزيارة قبر الرسول ﷺ سنة طيبة. ولكن الرجوع إلى الكتاب والسنة أظهر وضوحًا.

٣- هناك آيات يظهر فيها التعارض الواضح بينها وبين ما روى من الأحاديث، وللمفسرين فى مثل هذه الآيات صيال شاق يجمع فنوناً شتى من العلوم؛ إذ تتزاحم آراء الأصوليين والكلاميين والمحدثين على نحو يشق على القارئ إن لم يقدر له أن يسبح فى هذا البحر اللجى فيعرف أغواره وغواربه معرفة الشجاع الجسور، ومن هذه الآيات الكريمة قول الله عز وجل مخاطباً رسوله ﷺ عن المنافقين ورأسهم عبد الله بن أبى بن سلول:

﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ (سورة التوبة الآية: ٨٠).

ما قيل فى هذه الآية. نرجع إلى تفسير معاصر، وهو تفسير المنار، فنجد آراء تتزاحم للزمخشرى وابن المنير وأبى بكر الباقلانى وأبى حامد الغزالى والداودى وإمام الحرمين والحافظ أبى نعيم، والحافظ ابن حجر، وكلهم علم فى بابه، وطبيعى أن يكون الشيخ الشعراوى قد قرأ ما قيل، فقد كان لا يفوته شىء من أقوال الأئمة إلا استوعبه، وتحول غذاءً فى عقله بعد أن خضع إلى مجهر نقده الصائب، وها هو ذا يرى النقول تتزاحم متعارضة فى اتجاهها بين قاطع بوضع الحديث لأنه يخالف منطق الكتاب العزيز، وإذا تعارض حديث مع كتاب الله فهذا دليل وضعه، ومن ملتمسى شتى وجوه التوفيق بالرجوع إلى هذا الإسناد رجاله واتخاذ تعدد

السند دليلاً على صحته إلى ما لا غناء فى تقريره هنا، بعد أن روته كتب التفسير، لقد جرى الشيخ الشعراوى على عادته، فقرأ ما قرأ، واختار له وجهة خاصة هداه الله إليها دون أن يكاثر بالاطلاع الحاشد، أو توهين رأى معارض، فبعد أن تحدث عن جَرائر ابن أبى وشفع ذلك ببعض ما اشتهر من إيمان ولده عبد الله. وحرص الرسول على استرضاء النجل بعد أن ثبت له خلوص يقينه، وشدة إيمانه، لدرجة أنه عرض على الرسول ﷺ فى بعض المواقف الشائنة لأبيه أن يقتله هو إذا أراد النبى ذلك، دون أن يقتله أحد سواه فلا يستطيع لقاءه دون حزازة، هذا العرض القاسى على النفس مهما صلحت أسبابه قدره الرسول حق قدره، فاستغفر لأبيه وصلى عليه استجابة لرجائه وعقب ذلك نزل قول الله: **﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾** (سورة التوبة الآية: ٨٠).

وهو النص الذى ظهر الحديث معارضًا إياه، وكان مثار الجدل الصاخب بين العلماء، أقول، بعد أن أوضح الشيخ المناسبة تمام الإيضاح، عمد إلى إيضاح رأيه الخاص فقال(٩):

إن الأمر له شقان: الشق الأول أن يغفر الله، والشق الثانى مجاملة رسول الله ﷺ لعبد الله بن عبد الله بن أبى، فهو ﷺ يعلم أن الله لن يغفر للمنافقين، فيكون الاستغفار حينئذ «مجاملة»، فكأن الشيخ يخلص من هذا الجدل المنتشر إلى أبعد الصفحات، وبحل مناسب فى رأيه وهو أن الله هو الآمر الحاكم. واستغفار النبى ﷺ إنما جاء استرضاء لنجل طيب ظهر يقينه الثابت وإيمانه الحازم ولكن الله لن يستجيب له، فكأن النبى ﷺ قد وكل الأمر لربه. وما هو إلا داع قدم الدعاء، أما الاستجابة للدعاء فليست من شأنه!

هذا ما اهتدى إليه الشيخ مؤكدًا حقيقة الشعور الإنسانى لدى نبى رحيم رأى بعض المخلصين من صحابته فى مأزق أمام الشامتين. بموقف أبيه، وأراد أن يسبغ على والده فضلاً يقطع ألسنة الناس، وهو شعور طيب من ولد بار، وقد قدره الرسول ﷺ حق قدره، فاستجاب له موكلاً الأمر إلى ربه، لأنه لا يملك حساب المذنب، ولكن الله هو المالك، وسيفعل ما يشاء.

فإذا رجعنا إلى السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، وجدناه يقول فى نهاية بحثه الأصولى الدقيق(١٠): «الحق أن هذا الحديث، حديث أن الرسول قد قال ما معناه: سأزيد على السبعين، تعقيبًا على قول الله: **﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾** هذا الحديث معارض بالنص القرآنى فالذين يعنون بأصول الدين ودلائله القطعية أكثر من الروايات والدلائل الظنية لم يجدوا ما يجيبون به عن هذا التعارض إلا الحكم بعدم صحة الحديث، ولو من جهة متنه، وفى مقدمتهم أكبر أساطين النظار كالقاضى أبى بكر الباقلانى وإمام الحرمين والغزالى، ووافقهم على ذلك الداودى من شراح البخارى، وأما الذين يعنون بالأسانيد أكثر من عنايتهم بالمتون وبالفروع أكثر من الأصول، فقد تكلفوا ما بينا خلاصته عن أحفظ حفاظهم، ومن الأصول المتفق عليها أنه ما كل ما صح سنده يكون متنه صحيحًا، وكل ما لم يصح سنده يكون متنه غير صحيح، وإنما يعول على صحة السند إذا لم يعارض المتن ما هو قطعى فى الواقع أو المنصوص.

ونسأل: كيف أجاز الشعراوى صحة الحديث، ولم يحكم بوضعه؟ بل التمس له التبرير المشار إليه من قبل؟ إن الرجل الواعى الحصيف، لم يترك القول هكذا دون أن يريح القارئ بتعليل ما اتجه إليه، فساق عن عبد الله بن أبى كلامًا

جاء جديداً بالنسبة إلى، حيث لم أقرأه من قبل، ولجِدّة ما ساق الشيخ من تعليل، أطرف القارئ به، فقد تقف على ما لا يعرف. قال الشيخ[11].

«لقد حدثنا علماء السيرة أن رسول الله ﷺ قال: إن أبا لهب يخفف عنه العذاب يوم الإثنين، وأبو لهب نزل فيه قول الحق سبحانه وتعالى: **﴿تبت يدا أبى لهب وتب • ما أغنى عنه ماله وما كسب • سيصلى نارًا ذات لهب﴾** (سورة المسد، الآيات: ١-٣) ولماذا يخفف العذاب عن أبى لهب يوم الإثنين؟! لأن هذا اليوم هو الذى ولد فيه رسول الله ﷺ، وقد سر أبو لهب بميلاد الرسول الكريم، فأعتق الجارية التى بشرته بمولد الرسول ﷺ، وهنا يخفف عنه العذاب جزاء عمله.

كما أن عبد الله بن أبى كان له موقف يحسب له فى واقعة الحديبية، حين ذهب المسلمون لأداء العمرة، وصدهم الكفار عن بيت الله الحرام، وانتهت بصلح الحديبية وهى أول معاهدة بين الإيمان والكفر، ورغم أن رسول الله ﷺ وصحابته ردوا عن بيت الله الحرام، فقد فطن أبو بكر لما فى يوم الحديبية من عطاءات الله، كاعتراف كفار قريش بمحمد وبالمسلمين حين وقعوا معاهدة بينهم وبين رسول الله ﷺ، وتفرغ نبينا الكريم للدعوة فى الجزيرة العربية، وهو آمن من قريش، فانتشر الإسلام إلى أن نقضت قريش العهد وتم فتح مكة.

نعود إلى قصة عبد الله بن أبى يوم الحديبية، لقد كان الكفار يعلمون أن فى نفسه شيئًا من رسول الله ﷺ لأن مجيئه إلى المدينة منع تتويج عبد الله بن أبى ملكا عليها، وكانوا يعلمون أيضًا أنه أسلم نفاقا، فأرادوا أن يحدثوا ثغرة فى نفوس المسلمين، فقالوا: محمد وأصحابه لايدخلون، ولكننا نسمح لعبد الله بن أبى ومن معه بدخول مكة، وأداء العمرة، فرفض عبد الله ابن أبى، وقال إن لى فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة، لا أريد أن أذهب إلى العمرة إلا إذا ذهب رسول الله، وهذا موقف يحمد له.

كذلك كان له موقف آخر فى غزوة بدر، حين أسر العباس عم رسول الله ﷺ، وكان العباس طويل القامة، وثيابه تمزقت فى المعركة، فلم يجدوا طويلاً مثله إلا عبد الله بن أبى، فأعطاهم قميصه ليلبسه العباس، فلم ينس رسول الله ﷺ ذلك له، ومن أجل هذا استغفر له، لكن الحكم الأعلى قد أنزل قوله: **﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾**.

هذا ما تلمسه الشيخ من أسباب الاستغفار، وهو اجتهاد له أجره، أخطأ أم أصاب، وإن كنت أتوقف أمامه.

ثم أقول بعد ذلك: إن ما استدل به الشيخ من موقفى ابن أبى، لم يكن معلومًا لدى، حين كتبت كتابى (فى ظلال السيرة) فأفردت بحثًا طويلاً عن عبد الله بن أبى تحت عنوان (منافق يشتعل من الحقد) ولو كنت أعرف هذين الموقفين لوضعتهما فى الناحية المقابلة لسيئاته، إذ من واجب المؤرخ ألا يتتبع السيئات وحدها، بل يكون قائما بالقسط.

...... هذا بعض ما أتمثل به من إلهامات المفسر الجليل نحو ما يعرض من سيرة النبى الكريم، والتفسير متسع مبسوط، وللدارس أن يقرأ متأملاً، ليجد نظائر جديدة ذات روعة وإبداع.

الهوامش

(١) محمد صلى الله عليه وسلم - ص ١٨. (٢) الهجرة النبوية - ص ٢٥.
(٣) الهجرة النبوية ص ٤٨. (٤) تفسير الشعراوى جـ ٩ ص ٥٦٠٢.
(٥) تفسير الشعراوى جـ ٩ ص ٥٦١٦. (٦) التفسير، جـ ٤، ص ٢٣٧٠.
(٧) التفسير، جـ٤، ص ٢٣٧٥. (٨) التفسير، جـ٤، ص ٢٣٧٧.
(٩) التفسير، جـ٩، ص ٥٣٦٧. (١٠) تفسير المنار، جـ ١٠، ص ٥٨٠.
(١١) التفسير، جـ٩، ص ٥٣٦٨.

حقيقة التصوف

فضيلة الشيخ / شوقى عبد اللطيف أيوب

فما التصوف:

لقد عرف العلماء التصوف بالحد والرسم معًا. فقيل فى تعريفه: «إنه الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى».

وقيل: هو:

«خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الصفاء. (كشف المحجوب للهجويرى ١٢/٥١٢).

والتصوف علم له وزنه وقيمته وهو مشروع ومطلوب.

إذن من خلال هذه المعانى وغيرها نستطيع أن نقول: إن التصوف الحق الذى دعا إليه الإسلام ورغب فيه هو مجاهدة النفس وحملها على الشدائد، هو ثقافة وحضارة، وهو عقيدة وشريعة، هو علم وعمل، هو إحياء السنة وإماتة البدعة قال تبارك وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (سورة العنكبوت الآية ٦٩).

حقيقة المتصوف:

إن المتصوف الحق هو من يخلص العمل، ويصلح فى الناس الخلل، ويغرس فى النفوس الأمل، ويسهر من أجل خدمة الدين والوطن، هو من ملك الدنيا وزهد فيها وصارت فى يده لا فى قلبه، هو من جاهد نفسه وحارب شيطانه، وانتصر على هواه، هو من أخذ من دنياه لآخرته ومن آخرته لدنياه عملا بقوله تبارك وتعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (سورة القصص الآية ٧٧).

هو من اعتصم بالكتاب والسنة، هو من أدى لله حقه، وانتشر فى أرض الله يعمل بالزراعة والصناعة والتجارة ليعمرها بالخير عملاً بقوله تبارك وتعالى: ﴿**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ**

الإسلام يبغض التفريط ويحارب الإفراط. ويدعو إلى الوسطية، ويأمر بالاعتدال، فهو الدين الوسط، وأمة الإسلام هى الأمة الوسط، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (سورة البقرة الآية ١٤٣).

لقد عرف المسلمون التصوف منذ بزوغ فجر الإسلام، وهناك من الرموز الدينية وعلماء الأمة على مر التاريخ من يعتز بالتصوف ويتخذه سلوكا فى حياته، وهناك من يعارضه، وهناك من يحاربه.... ولذا أصبح الناس فى حيرة..... ولهذا يحسن بنا أن نتحدث عن التصوف.

وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (سورة هود الآية ٦١).

هو من أكل من عرق جبينه وكسب يده، هو من راقب ربه ورحم الأرملة والمسكين والمصاب وحافظ على أسرته وعزته وهذا لقوله ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»**. (أخرجه الترمذى فى سننه باب فضل أزواج النبى ﷺ ٢٩٩/١٢).

المتصوف هو من أحب وطنه وأفنى من أجله الحياة، إن حب الوطن من الإيمان وقد تعلمناه من رسول الله ﷺ **«اللهم إنك أحب البلاد إلى الله وأحب البلاد إلىّ ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت»** (أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٤٩٥/١). إنه المؤمن القوى الذى أشار إليه الرسول ﷺ بقوله: **«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»** (أخرجه مسلم ١٣٤/١٣).

إنه من قرن القول بالعمل، فالولاية غراسها الإيمان، وثمارها التقوى، وحصادها الجنة، قال تبارك وتعالى: **﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ • لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** (سورة يونس الآيات ٦٢ - ٦٤).

فالمتصوف الحق يكره البطالة ويحب العمل، يعطى لله حقه، وللنفس حقها، ولأهله حقهم، وللآخرين حقوقهم.

حب الأولياء والصالحين:

كيف لا نحب الأولياء والله تبارك وتعالى أثنى عليهم فى قرآنه الكريم ومدحهم فى كتابه، قال تبارك وتعالى: **﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**. (سورة يونس الآية ٦٢).

وحذر من معاداتهم، يقول تبارك وتعالى فى الحديث القدسى: **«من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كُنت سمعه الذين يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يسعى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه»** (أخرجه البخارى ١٥٨/٢٠).

إن من حق الأولياء علينا أن نتعلق بهم، وأن نقتدى بهم، وأن نزور قبورهم، فزيارة القبور سنة نبوية يقصد بها العظة والاعتبار والدعاء للأموات لقوله ﷺ: **«كُنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة»** (أخرجه مالك فى الموطأ ٤٢٨/٣).

ولكن على الزائرين أن يلتزموا بآداب الزيارة وترك البدع التى أساءت إلى التصوف والمتصوفين.

فزيارة القبور القصد منها العظة والاعتبار والدعاء للميت والسير على طريق الصالحين.

حب الرسول ﷺ:

إن حب الرسول ﷺ وآل بيته والصالحين واجب علينا كمسلمين. جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾** (سورة النساء الآية ٦٤). وقد جئتك مستغفرًا لذنبى مستشفعًا بك إلى ربى ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابى يقول الراوى: فغلبنى النوم فرأيت النبى ﷺ فقال لى: **«الحق الأعرابى فبشره أن الله قد غفر له»**. (متفق عليه).

روى القاضى عياض فى كتابه «الشفاء» عن أبى حميد قال: «ناظر أبو جعفر المنصور - أمير المؤمنين - مالكا رضي الله عنه فى مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: لا ترفع صوتك فى المسجد فإن الله أدب قومًا فقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾** (سورة الحجرات الآية ٢).

ومدح قومًا فقال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** (سورة الحجرات الآية ٣).

وذم قومًا فقال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾** (سورة الحجرات الآية ٤).

وإن حرمته ميتا كحرمته حيّاًفقال أبو جعفر «يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة فأدنو أم أستقبل رسول الله ﷺ، فقال له: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به يشفع لك، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (سورة النساء الآية ٦٤)»

الإسلام يقدس العمل:

لقد أكد الإسلام العمل، وأكد على أنه عبادة، وأن له من الفضائل التى لا تقل عن فضل الصلاة والحج والزكاة، فالرسول فى كل حياته وهو سيد الأمة أبى أن يكون عالة على غيره، بل كان يأكل من عرق جبينه وكسب يده، فقد عمل برعى الغنم، كما عمل بالتجارة وهو القائل ﷺ: **«ما أكل أحد من طعام قط خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده»** (أخرجه البخارى ٧/٢٣٥).

وهو القائل ﷺ: **«إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها»**. (أخرجه أحمد فى مسنده ٢٦/٥٩).

عن ربيعة الأسلمى قال: كنت أبيت مع النبى ﷺ فآتيه بوضوئه، فقال لى: سل، فقلت: أسألك مرافقتك فى الجنة، فقال: أو غير ذلك، فقلت: هو ذاك، فقال: أعنى على نفسك بكثرة السجود. (أخرجه مسلم ٣/٤٠).

تقول فاطمة: مرَّ بى النبى ﷺ فحركنى برجله ثم قال: **«يا بنيتى قومى استهدى رزق ربك ولا تكونى من الغافلين فإن الله يقسم أرزاق الناس من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس»** (أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ١٠/٣٥٢).

وكان أحد الصالحين يقول بعد أن يفرغ من صلاة الجمعة. «اللهم إنى قد أجبت دعوتك، وأديت فريضتك، وانتشرت كما أمرتنى، فارزقنى وأنت خير الرازقين».

وهو ما أشار القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة الجمعة الآية ٩).

المتصوف الحق يخلص العمل لله ويصلح فى الناس الخلل ويغرس فى النفوس الأمل

وفى الحديث الشريف: **«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شىء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»** (سبق تخريجه).

جلس عمر مع أصحابه يومًا فقال لهم تمنوا:

فقال أحدهم: أتمنى ملء هذه الدار فضة فأنفقها فى سبيل الله. وقال آخر: أتمنى ملء هذه الدار ذهبًا فأنفقها فى سبيل الله. وقال عمر: أتمنى ملء هذه الدار رجالا مثل أبى عبيدة، ومعاذ، وسالم مولى أبى حذيفة أستعملهم فى سبيل الله.

ولما رأى الرسول ﷺ الرجل جالسًا فى المسجد وقد انقطع للصلاة وليس له عمل سأل: **من يطعمه ويسقيه وينفق عليه؟** ،قالوا: أخوه، فقال: **أخوه خير منه.**

إن مصر عامرة بالأولياء وهذه نعمة من الله تعالى على مصر وأهلها، ومن يقرأ تاريخ الأولياء رجالا ونساء يجد أنهم جميعًا تمسكوا بالإسلام قولا وعملا وعقيدة وشريعة وحضارة فكانوا يقدمون دينهم ويخدمون أوطانهم ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم ويأكلون من كسب أيديهم.

كانوا رهبانًا بالليل فرسانًا بالنهار، وسيدى إبراهيم الدسوقى كان يؤكد لتلاميذه بأن الإسلام مئذنة ومزرعة أو مسجد ومصنع، ذكر وفكر كان فوزًا - ما بعده فوز - ، وشرفًا للمسلم الحق ومحصنة متكاملة للمؤمن عمل لدينه ودنياه. وكان يقول لهم: أريد ما أراده الله منكم، كونوا عاملين فإن الله يكره العاطل».

فيجب علينا أن نقتفى أثره فى محاربته للبدع والمنكرات وصدقه و .... و .... وحبه لوطنه.

وصدق من قال: «من سلك طريقًا بغير هدى ضل ومن تمسك بغير أصل زل، وخيركم من يذكركم بالله رؤيته و من علمكم منطقه ويدلكم على الله حاله.

بلاء المخدرات من أكبر المشكلات

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

الشيخ/ أحمد عبد اللطيف الكلحى

لقد خلق الله سبحانه الإنسان من أجل أن يحسن الخلافة فى الأرض فيعبد ربه ولا يشرك به شيئًا ويعمر وينتج ولا يتحقق هذا الأمر العظيم إلا بالعقول المستنيرة والأبدان القوية والمال الوفير، فإذا ما توافرت هذه الوسائل الثلاث كان المجتمع قويًا متقدمًا فى كل مجالات الحياة، ولما كان الإسلام حريصًا كل الحرص على أن يكون المجتمع قويًا بدنيًا وعقليًا وماليًا حرم الخمور والمخدرات تحريمًا قاطعًا، لأنها تفتك بحياة المجتمع وتدمره فهى مهلكة للمال مدمرة للأبدان، وبذلك تؤثر المخدرات على حياة المجتمع تأثيرًا خطيرًا، وتسبب له انهيارًا جسيمًا؛ لأن المجتمع إذا انهار ماله وهلك عزمه وإرادته أصبح ضعيفًا لا وزن له.

إن المخدرات تقضى على العقول والأجسام والأموال والإنسان سوف يسأل عن ذلك كله، يقول الرسول ﷺ: **«لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»**.

ومن أجل ذلك أقول: إن المخدرات والخمور تدمر مقومات المجتمع وتقضى على كيانه الاقتصادى فيضيع ماله ولا يصبح له قوة بدنية بعدما تستولى هذه المخدرات على أبدان شبابه، وبذلك يكون المجتمع هزيلا ضعيفًا لأن ماله تعرض للضياع وشبابه قد انهار أمام هذا الوباء الجسيم، وبذلك تضيع ثروته التى استخلفه الله فيها يقول الله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد الآية: ٧)، هذا ويضيع أيضًا كيانه البدنى، والإسلام الحنيف يريد من المجتمع المسلم أن يكون قويًا بدنيًا وعقليًا فالمؤمن القوى ليس فى العقيدة فقط وإنما فى القوة على إطلاقها أى القوة فى كل شىء، يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: **«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شىء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**. ومن أجل ذلك أقول إن الخمر والمخدرات سبب لكيد الشيطان وثغرة يتسلل من خلالها إلى القلوب بالوسوسة والضغينة والعداوة بين الناس يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة الآية: ٩١)، بهذا ينكشف لضمير المسلم هدف الشيطان وغاية كيده إنها إيقاع العداوة والبغضاء فى صفوف المجتمع المسلم، إن الشيطان يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع فى مواطن الخمور والمخدرات حيث تُفقد الإنسان عقله بهما فلا يدرى قولة الباطل من قولة

الحق ولا يمسك عن كلمة سوء فيقع بينهم الشر وتشتعل بينهم نار العداوة والبغضاء.

وبهذا تتمزق وحدة المجتمع ويصبح الإنسان فى مجتمعه إما طالبا أو مطلوبًا لا يبيت على أمن ولا يستقر على حال، روى أن قبيلتين من الأنصار شربوا الخمر وانتشر فبعث بعضهم ببعض فلما صحوا رأى بعضهم فى وجه بعض آثار ما فعلوا وكانوا إخوة ليس فى قلوبهم ضغائن فجعل بعضهم يقول لو كان أخى بى رحيما ما فعل بى هكذا فحدثت بينهم الضغائن فأنزل الله عز وجل ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ (المائدة الآية: ٩١).

ومن هنا لا بد أن نعلم بأن الإسلام عقيدة وسلوك، نظام وحياة، طاعة وعبادة سلوك وتعامل، إخاء وتعاون... فالعقيدة جوهر الإيمان بالله والتصديق برسله واليقين الجازم باليوم الآخر، والنظام أساسه سعادة الفرد وتكافل المجتمع بما يحفظ حق الفرد ولا يتعارض مع مصلحة المجتمع انطلاقًا من قاعدة «**لا ضرر ولا ضرار**» وسعادة الفرد والمجتمع لا تتم ولا تتحقق إلا بالموازنة بين مطالب الروح ممثلة فى العقيدة الصحيحة ومطالب الجسد ممثلة فى الحاجة إلى الطعام والشراب والغذاء والطريق إلى ذلك يكون بتوفير المال الذى هو من أجل نعم الله على الإنسان ومنزلته فى الحياة منزلة الرأس من الجسد فهو قرين الروح وشقيق البدن وتميل إليه النفوس وتعشقه القلوب والطباع وكل إنسان يحرص على جمعه واقتنائه قال تعالى: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ (سورة الكهف الآية: ٤٦).

ويقول سبحانه: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ** ﴾ (سورة آل عمران الآية:١٤)، ويقول جل شأنه: ﴿ **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** ﴾ (سورة الفجر الآية:٢٠)، ونظرة الإسلام إلى المال نظرة تقدير وتكريم إلا أنه يحرص دائمًا على أن يكون وسيلة لا غاية، ولا يكون كذلك إلا إذا كان جمعه واقتناؤه بالسبل والوسائل المشروعة، وأحد طرق الحصول عليه الكسب الحلال والعمل المشروع ببذل الجهد بعيدًا عن الكسب الحرام،

تؤثر المخدرات على المجتمع تأثيرًا خطيرًا فتبدد ماله وتهلك عزمه فيصبح ضعيفًا لا وزن له

والاتجار فى المخدرات والسرقة والاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل. والمال - بصفة خاصة - له تأثير على رفاهية الإنسان وسعادته. والاقتصاد - بصفة عامة - يحفظ على الأمة كرامتها، وحريتها، واستقلالها، ويهيئ لها مستقبلاً سعيدًا وغدًا مشرقًا وحضارة وارفة وهذا لا يكون إلا بالتعاون البناء والعمل الجاد بين الفرد والمجتمع، والإسلام يوصى بتحريك المال ودورانه؛ لكى يتأتى الغرض منه وحتى تظهر قيمته ووظيفته ويحذر الإسلام من كنز المال وتجميده وحبسه؛ لأن المال عندما يخرج للتداول يحافظ على قيمته، ويؤدى وظيفته بالانتقال من يد إلى يد لصالح الفرد والمجتمع قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ● يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ** ﴾ (سورة التوبة الآيتان ٣٤، ٣٥)، على أن المال قد يصير أداة هدم، ومعول تدمير وتخريب وقد يؤدى إلى عواقب وخيمة ونتائج سيئة، وآثار ضارة إذا لم يحسن الفرد والمجتمع استغلاله واستخدامه كأن ينفق فى الشهوات والملذات والمتع الرخيصة، والأشربة المحرمة، وقد نهى الرسول ﷺ عن إتلاف المال، وإضاعته فى الوجوه المحرمة، والطرق غير المشروعة فعن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «**إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعًا وهات ووأد البنات وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال**».

ويرشد الإسلام إلى الطرق السليمة، والوجوه الصحيحة لاستخدام المال واستغلاله الاستغلال الأمثل بما يؤدى إلى رفع مستوى المعيشة للفرد والمجتمع وما يحقق التكافل والتوازن بين الطبقات وبما ينفع الإنسان فى حياته الفانية، وحياته الباقية، عن أبى أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**يابن آدم إنك إن تبذل الفضل**

خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى».

وإذا كانت هذه نظرة الإسلام للمال بصفة خاصة والاقتصاد بصفة عامة، وكانت هذه أهمية الحال فى حياة الفرد، والمجتمع لتحقيق العزة والسعادة والقوة والسيادة فإن للمال حرمة فى الإسلام لا تقل عن حرمة النفس، والعرض فعن أبى الأعور سعد بن زيد بن نفيل -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد**»، وكما تكون حرمة المال فى المحافظة عليه والدفاع عنه والوقوف دونه أمام كل متسلط وكل باغ فإن حرمة المال كذلك تكون بعدم إتلافه وتبذيره والاعتداء عليه قال تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ (سورة البقرة الآية: ١٨٧)، ﴿**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾، ويقول سبحانه: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**﴾ وأى شىء أشد من إتلاف المال فى المحرمات والمناكر، وما نهى الله عنه؟

إن صيانة المال والاقتصاد من الخونة واللصوص والمجرمين لا تقل عن حرمة صيانته فى الاتجار به فى المحرمات كالخمور والمخدرات فهذه التجارة المحرمة مهما زاد ربحها غير مأمونة العواقب بل إن ضررها محقق إلى جانب ما تؤدى إليه من جرائم، وما تشيعه من فوضى ومخاطر، وما تزرعه من عداوة وإحن، لذا جاء الأمر بتحريمها وتجريمها بما لا يدع مجالا للشك والريبة قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (سورة المائدة الآية: ٩٠)، إن الخمر بصفة عامة والمخدرات بصفة خاصة لها تأثيرها السيئ وعواقبها الوخيمة ولها أضرارها الخطيرة فى شتى مناحى الحياة فهى تبدد الطاقات وتستنزف الثروات وتضيع المال والاقتصاد، وتكثر من الجرائم والبطالة، وقلة الإنتاج، وللوقاية من هذه المخاطر أن يسلك الإنسان العمل الشريف والكسب الحلال، وما أكثر وجوه العمل الصالح وما أكثر مجالات العمل المثمر فى الزراعة والتجارة، والصناعة وسائر الأنشطة المشروعة فالعمل ناقوس الحياة، وبه يحقق الفرد والمجتمع سعادته وأمله وأهدافه، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ (سورة الملك الآية ١٥) وفى الحث على العمل وترك البطالة والكسل يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخارى عن المقداد بن معد يكرب -رضي الله عنه- عن النبى ﷺ قال: **ما أكل أحد طعامًا قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وأن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**»، وعن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خيرا من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**»، فما أحوج الأمة إلى اتباع منهج الإسلام والسير على طريقته والابتعاد عن محارم الله حتى تتحقق لها السعادة فى دينها ودنياها إن المخدرات تصد مدمنها عن الخير وفعله والجهاد فى سبيل الله وعن الدفاع عن العرض والدين والوطن وتحول المدمن إلى أداة فى يد أعداء هذه الأمة تجار تلك السموم القاتلة، وكذا تصد عن طلب العلم والمعالى. والمدمن ليس إنسانًا اجتماعيًا يشارك الناس أفراحهم وآلامهم فلا يعرف زيارة المرضى ولا العطف على المساكين ولا يتورع عن أكل أموال الناس بالباطل وليس له ما يمنعه من الكذب أو الخيانة أو الغش. إنه عابد للشيطان وقد نهى القرآن الكريم عن عبادة الشيطان قال تعالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ● وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾ (سورة يس الآيتان ٦٠:٦١)، فيا أتباع رسول الله ﷺ، إن من العادات السيئة التى طبعت عليها بعض النفوس المريضة، إدمان المخدرات وتعاطى السموم البيضاء فأصبحوا يلقبون بين الناس بالحشاشين أو السكارى والمدمنين إلى غير ذلك من الصفات المسترذلة التى تأباها النفوس الكريمة ويترفع عنها أصحاب الطباع السليمة. وقد استشرى خطر الإدمان فى عصرنا الحاضر، وتنوعت المخدرات بصورة مفزعة، مما يوجب علينا جميعًا أن نقف فى وجه هذا الداء لنستأصله ونحفظ الأمة من شره.

شباب العالم الإسلامي والجامعات المصرية يلتقون بالعلماء فى معسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية

أنباء وأخبار

منير بيومى

أبناء العالم الإسلامى وشباب الجامعات المصرية يلتقون صيف كل عام فى معسكر أبى بكر الصديق الذى ينظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالإسكندرية من أجل التزود بصحيح الدين ولكى يتمكنوا من الأخذ بأسباب العلم والتمسك بمبادئ الدين فى مواجهة الحملات المغرضة التى تشكك فى حقائق الإسلام وتهدف إلى تشويه صورته أمام العالم.

وصرح الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف - أن تنظيم هذا المعسكر يأتى من منطلق أن مصر بأزهرها الشريف منارة للعلوم الإسلامية التى يقصدها أبناء العالم الإسلامى من كل بقاع الدنيا تفتح أبواب معاهدها وجامعاتها إيمانا بدورها القدرى أن ترعى الإسلام وعلوم القرآن.

وقال إن المعسكر يضم ٢٤٠٠ طالب وطالبة على مدى أربعة أفواج من شباب العالم الإسلامى والجامعات المصرية يضم كل فوج ٦٠٠ طالب ويخصص الفوج الأول لشباب العالم الإسلامى والثانى والثالث لطلاب الجامعات المصرية والرابع لطالبات الجامعات المصرية، والدارسات من فتيات العالم الإسلامى بالأزهر الشريف.

وأضاف وزير الأوقاف أن الهدف من إقامة المعسكر هو مناقشة قضايا العالم الإسلامى المعاصرة وقضايا الشباب والرد على أسئلتهم من قبل السادة المحاضرين من العلماء والمفكرين والساسة الذين يلتقون بالشباب.

كما تتضمن أنشطة المعسكر برامج ثقافية وترفيهية ومسابقات فى حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف والأبحاث الدينية والشخصيات الإسلامية والإبداع الأدبى إضافة إلى المسابقات الرياضية، ويمنح الفائزون جوائز ومكتبات إسلامية.

خلال لقائه ووزير الأوقاف الفلسطينى

د. زقزوق يؤكد دعوة جميع المسلمين لزيارة القدس والصلاة بالمسجد الأقصى»

جدد محمود الهباش وزير الأوقاف الفلسطينى دعوة السلطة الفلسطينية للدكتور محمود حمدى زقزوق لزيارة القدس. وأبدى الوزير ترحيبه بالزيارة مجددا موقفه الذى أعلنه منذ أكثر من ١٣ عاما بدعوة جميع المسلمين لزيارة القدس والصلاة بالمسجد الأقصى لما فى ذلك من تعزيز ومؤازرة للحق الإسلامى فى القدس الشريف وليس تطبيعا مع الكيان الصهيونى.

وأكد د. زقزوق أن التفاف العالم الإسلامى حول القدس بالتوجه إليه يحمل رسالة للعالم كله وهى أن القدس إسلامية تخص أكثر من مليار ونصف المليار مسلم وليست قضية فلسطينية أو عربية فقط، وأن استمرار الموقف الرافض لزيارة القدس والاكتفاء بالشعارات والمزايدات والخطب الرنانة لن يدفع القضية خطوة واحدة للأمام بل يمنح الفرصة كاملة لإسرائيل للانفراد بالشعب الفلسطينى وتنفيذ مخططاتها فى تهويد القدس والسيطرة على مقدراته وتهويد مقدساته.

وأوضح وزير الأوقاف أن إقبال الوفود الإسلامية بأعداد غفيرة إلى القدس لتثبيت الحق الإسلامى يمكن للمسلمين من فضح إسرائيل أمام الرأى العام العالمى لأنها سترفض هذه الزيارات بما يثبت للعالم كله التعنت الإسرائيلى ورفضها لحرية العبادة، فضلا عن أن زيارة المسلمين للقدس فيها رواج للاقتصاد المقدسى وليس الاقتصاد الإسرائيلى كما قد يزعم البعض لأن المستفيد الأول من حركة البيع والشراء التى ستتم خلال هذه الزيارات هم أهل القدس من المسلمين.

وأكد وزير الأوقاف الفلسطينى أن دعوة المسلمين من كل مكان لزيارة القدس هو الموقف الشعبى والرسمى لكل القيادات الفلسطينية ومواطنى القدس بصفة خاصة الذين هم فى أمس الحاجة لأن يروا إخوانهم المسلمين. ولابد من إحياء سنة الوقف الخيرى الذى يخصص ريعه لخدمة المقدسات الإسلامية فى القدس الشريف. ووافق وزير الأوقاف على تزويد السلطة الفلسطينية بالمناهج الدراسية التى يدرسها دعاة مصر فى الدورات التدريبية التى تقيمها الوزارة.

يوليو القادم صرف الزيادة التى قررها الرئيس مبارك للدعاة

أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف - أنه قد آن الأوان لتخليص الخطاب الدينى من الخرافات والغيبيات التى تشل تفكير الناس وإرادتهم لينطلق إلى آفاق أرحب وليكون عنصرا دافعا للتقدم واللحاق بركب التطور العالمى.

وقال وزير الأوقاف فى لقائه بـ٧١٠ من الأئمة المشاركين فى الدورة التثقيفية الثالثة عشرة أن مديريات الأوقاف انتهت من الإجراءات المالية لصرف الزيادة التى قررها الرئيس مبارك لجميع الدعاة تمهيدا لصرفها مع مرتب يوليو القادم والتى يستفيد منها ٥٠ ألف إمام بتكلفة ١٥٠ مليون جنيه.

وطالب الوزير الدعاة بأن يكونوا على قدر المسئولية الملقاة على عاتقهم فى ظل التغيرات المتلاحقة والتحولات المذهلة التى يشهدها العالم المعاصر وتقتضى من الدعاة أن يتخطى دورهم مجددا الوعظ والإرشاد إلى التواصل مع قضايا مجتمعاتهم والتفاعل مع واقعهم بكل ما فيه من مستجدات فإن المسلمين بحاجة إلى الاسترشاد دائما برأى الدعاة والتعرف منهم على الموقف الشرعى تجاهه.

وأكد د. زقزوق أن الدعاة شركاء رئيسيون مع الدولة فى تنفيذ برامج التنمية ويجب أن يركزوا فى دعوتهم على القضايا المصيرية التى تعطل هذه الجهود مثل محو الأمية وتنظيم الأسرة والإدمان وذلك بغرس الأمل فى نفوس المواطنين ودعوتهم للإقبال على الحياة والعمل وزيادة الإنتاج، وإعلاء شأن العقل والارتفاع بمستوى فكر المواطنين ليكونوا عناصر فاعلة فى تنفيذ البرامج والسياسات التى تضعها الحكومة لرفع مستوى المعيشة.

دعم التعاون بين الأوقاف والمحاكم الشرعية بلبنان

أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - استعداد الوزارة للتعاون مع جميع المؤسسات والهيئات الدينية والقضائية فى العالمين العربى والإسلامى، ووضع جميع إمكاناتها لخدمة جميع الجهود المبذولة للتعريف بالإسلام الصحيح وترسيخ وسطيته واعتداله وتوحيد صفوفه وكلمته.

ورحب وزير الأوقاف خلال استقباله الشيخ عبداللطيف بريان - رئيس المحاكم الشرعية السنية بلبنان - بتوثيق العلاقة بين الجانبين وتزويد المحاكم الشرعية بإصدارات الوزارة والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مختلف القضايا الإسلامية واستضافة قضاة المحاكم فى الدورات التثقيفية التى تعقدها الوزارة لدعاتها للاستفادة مما يقدم خلالها من علوم شرعية ومعارف متعددة.

وأكد رئيس المحاكم الشرعية اللبنانية أن مصر تمثل نموذجا رائعا فى التسامح والقدرة على التعايش بين جميع المذاهب والتيارات الدينية بصورة يحتاج العالم الإسلامى لاستيعابها وتطبيقها ليتمكن من القضاء على التفرقة مشيرا إلى أن الأزهر الشريف سيظل قبلة الاعتدال والوسطية التى يلجأ إليها أبناء العالم الإسلامى.

تزويد المجلس الإسلامى بتايلاند بخبرات وزارة الأوقاف المصرية

دورات تدريبية لأئمة تايلاند بالقاهرة

وافق الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف - على طلب المجلس الإسلامى بجنوب تايلاند بتزويده برؤية الوزارة المعتدلة المتعلقة بالمواجهة الفكرية الدينية للفكر المتطرف وكيف استطاعت مصر بفضل علمائها ودعاتها القضاء تماما على جميع صور العنف والإرهاب بترسيخ مبادئ الإسلام الصحيح الذى يرفض العنف ويحرم قتل النفس الإنسانية ويدعو إلى التسامح وقبول الآخر مؤكدا حرص مصر على التعاون مع جميع دول العالم والمنظمات والهيئات العالمية لاستئصال جذور الإرهاب الذى يعد العقبة الرئيسية أمام سلام واستقرار العالم، ووافق أيضا على استضافة عدد من أئمة مسلمى جنوب تايلاند فى الدورات التدريبية التى تعقدها الوزارة لأئمتها لإثراء وعى الدعاة التايلانديين بدورهم فى توعية المسلمين هناك وكيفية التعايش مع المجتمع التايلاندى غير المسلم بالإضافة إلى إرسال مكتبات إسلامية متكاملة مترجمة باللغة الإنجليزية إليهم لتعريفهم بالإسلام الصحيح بالإضافة إلى كتاب حقائق إسلامية المترجم إلى اللغة التايلاندية.

مشيرة خطاب فى منتدى الحضارات بالبرازيل:

برامج عملية للشباب للقضاء على الفجوة بين المسلمين والغرب

أعلنت مشيرة خطاب وزيرة الدولة للأسرة والسكان أن الفجوة بين الغرب والمسلمين تمثل قضية رئيسية وإنكارها أو تجاهلها سوف يزيد من تعقيدها. موضحة أن هذه المعضلة لا تجد لها جذورا فى الأديان أو فى المبادئ التى تحكم هذه الأديان فضلا عن أنها تتعارض مع الأسس والمبادئ الإنسانية التى أرساها المجتمع الدولى فى القانون الذى يحكم العلاقات بين الدول والشعوب.

ولذا فإننا نرى هذه القضية تمثل تحديا جوهريا للتحالف، بما يفرض التعامل معها بالتعاون مع دول ومنظمات التحالف، بالتشخيص الصحيح وبتنفيذ حلول وبرامج عملية خاصة بين الشباب فى العالمين الإسلامى والغربى. وأكدت الوزيرة أن الرئيس مبارك قد تقدم بمبادرة لصياغة استراتيجية إقليمية لمنطقة المتوسط وستعلن خلال مؤتمر يعقد هذا العام، بمشاركة دول الاتحاد من أجل المتوسط وأصدقاء التحالف من المنطقة وأوروبا، وذلك لإرساء دعائم التفاهم بين الشعوب وتجاوز الانقسامات وسوء الفهم، ومحاربة التطرف، ونشر ثقافة السلام.

جاء ذلك فى كلمة الوزيرة أمام الاجتماع الوزارى للمنتدى الثالث لتحالف الحضارات المنعقد فى البرازيل.

وأشارت إلى أنه إيمانا من مصر بتعزيز ثقافة السلام وهى الثقافة القائمة على احترام التعددية الثقافية والدينية، ونشر الاحترام المتبادل وإشاعة ثقافة التسامح والحوار بين مختلف الشعوب، فقد أعدت مصر خطة قومية لتحالف الحضارات للأعوام ٢٠٠٧ - ٢٠١٢، تتضمن برامج تجعل هذه الثقافة أسلوب فكر وحياة، تقوم على احترام وكفالة حقوق الإنسان.

٩ ضوابط لإقامة حلقات الذكر

صرح الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف - أن الوزارة وضعت ٩ ضوابط بالتنسيق مع مشيخة الطرق الصوفية بهدف حماية المساجد من السلوكيات والممارسات التى تحدث خلال إقامة الحضرات وحلقات الذكر بالمساجد وحدد وزير الأوقاف الضوابط وهى: أن تكون إقامة الحضرات بالمساجد بعد صلاة الجمعة أو بعد صلاتى العصر والعشاء فى الأيام الأخرى ولمدة ساعة فقط بعد استيفاء الموافقات اللازمة على ألا يزيد عدد الحضرات للطريقة الواحدة عن مرة واحدة أسبوعيا فى ذات المسجد.

تتم الموافقة بناء على موافقة المشيخة العامة للطرق الصوفية وتحت مسئوليتها، يمنع منعا باتا استخدام مكبر الصوت والسماعات الداخلية بالمساجد فى إقامة الحضرات وأن تقام حلقات الذكر فى أحد أركان المسجد وبعيدا عن الصحن، ولابد من الالتزام بمبادئ الشرع والحفاظ على حرمة المسجد مع ترك البدع والمنكرات، وعدم اختلاط الرجال بالنساء، وإنشاء سجلات خاصة بالموافقات بكل مديرية يدون بها (اسم الطريقة - شيخها - الموافقة - الأيام المحددة لإقامة تلك الحضرات والذكر تحت اشراف ومسئولية المديرية وشيخ الطريقة)، وعدم اصطحاب أى نوع من أنواع المأكولات أو المشروبات أو الحقائب أو الأطفال دون سن البلوغ، وعدم رفع الأصوات والتشويش على المصلين والمترددين على المسجد، وأن تقام حلقات الذكر والندوات والمحاضرات بموافقة كتابية من الوزارة فى المساجد التى تم الاتفاق عليها بين وزارة الأوقاف ومشيخة الطرق الصوفية.

كرستيانا باكر من أشهر مذيعات الإذاعة الألمانية تتحدث عن إسلامها لـ «منبر الإسلام»

شعرت بانجذاب كبير نحو الدين الإسلامى فنطقت بالشهادتين واكتشفت أننى كنت مفتقدة الحب الأسمى وهو حب الله عز وجل

حاورها / محمد كامل شاهين
مها أمين الخولى

تصوير / سيد الزفزاف

جميل هو ديننا الحنيف، فهو بمثابة المعين الذى لا ينضب، فما من مرتاد له إلا ويجد فيه ضالته المنشودة، فهذا جرفته الحياة المادية، وتوحشت شهواته، وانحطت روحه وأصبح مكروهًا من أصدقائه وأقاربه، ولم يجد له ملاذًا إلا بالرجوع إلى الدين.

وذاك فقد عزيزًا لديه، واسودت الدنيا أمام عينيه، وتحطمت آماله ظنّا منه أن ما حدث له يعد نهاية العالم، فلم يجد ما يزيل همه ويهدئ من روعه سوى العودة إلى الدين لأنه السلوى وراحة القلب.

وثالث يعيش فى الحياة بلا هدف نهاره كليله لا قيمة للوقت عنده يشعر وكأنه ضائع فى بحر لجى لا يستطيع أن يصل إلى مرفأ الأمان إلا بالعودة للدين، وكثير ممن ينتمون للحضارة الغربية حيارى يعانون من الخواء الروحى يبحثون ويستقصون عمن يرشدهم إلى الطريق الصحيح، وبعد جهد جهيد، وسنوات من الاطلاع - يجدون ضالتهم فى الدين الإسلامى الذى يعتبر بحق طوق النجاة للكثير من المشاكل التى لا حل لها عندهم سوى تعاليمه السمحاء، فالإسلام يستطيع أن يصل إلى مكنونات القلوب فى سهولة ويسر فيجدون ملاذهم وغايتهم فيه فينهلون منه فتسرى بداخلهم راحة نفسية

تعينهم على أن يحيوا حياة هادئة مطمئنة ومن هؤلاء السيدة كرستيانا باكر فكان معها هذا الحوار:

■ بداية نود إلقاء الضوء على شخصيتك.

■■ اسمى كرستيانا باكر، ألمانية الجنسية، ولدت فى مدينة هامبورج بألمانيا، بدأت حياتى العملية فى سن الحادية والعشرين كمذيعة متدربة فى إذاعة هامبورج لمدة عامين، ثم تم اختيارى من بين آلاف المتقدمين لأكون أول مذيعة ألمانية لقناة إم تى فى الموسيقية ولكن بشرط واحد وهو الانتقال إلى لندن حيث قدمت العديد من البرامج الموسيقية، وكان ذلك فى عام ١٩٨٩م.

وفى عام ١٩٩٢م انفتحت على عالم مختلف تماماً وهو الشرق الذى أثار إعجابى، وكان مصدراً لإلهامى حيث تجولت فى العديد من البلدان العربية والإسلامية مثل مصر والمغرب وسوريا والمملكة العربية السعودية وباكستان وتركيا وغيرها من البلاد، واستمعت فى هذه البلاد إلى الموسيقى الصوفية ذات الكلمات المؤثرة، والتى تتحدث عن حب مطلق لله عز وجل، ورسوله الكريم ﷺ ، وكان هذا مؤثراً فىَّ للغاية، وقد مس ذلك شغاف قلبى، فالموسيقى الصوفية جذبت العديد من الناس إلى الإسلام فهى تساعدهم على الاسترخاء الذى يحتاجونه فى كثير من الأحيان، وتقربهم إلى الله عكس الموسيقى الصاخبة التى تبعدهم عنه، وتثير غرائزهم مما يجعلنا نصفها بالموسيقى السيئة.

«منظومة القيم»

■ تجولتِ فى العديد من البلدان العربية والإسلامية.. ما هو انطباعك عما شاهدتيه فى هذه البلاد؟

■■ أتاحت لى سفرياتى الكثيرة فى بلدان العالم الإسلامى معرفة النسيج الثقافى للمجتمعات الإسلامية، وطريقة حياة المسلمين ودراسة الدين الإسلامى، وسبر أغواره ببعده الروحانى وهو الصوفية والمتصوفين من أمثال جلال الدين الرومى الذى أصبح من المفضلين لدى، كما تأثرت بما شاهدته من الفنون والعمارة الإسلامية كالمساجد الرائعة التى تتميز بالتناسق والجمال وتسر الناظرين، وأكثر ما جذبنى أيضا فى بلاد الشرق الكرم وحسن الضيافة، ومنظومة القيم لدى الشرقيين التى تتضمن الروحانيات الدينية العالية والتى تسمو بالإنسان وتجعله قريباً من الله.

وشاهدت أناساً فقراء للغاية، ولكن الابتسامة لا تفارق وجوههم، فكل إنسان يسعى إلى هدف أسمى محاولاً أن يساهم بإيجابية فى مجتمعه، كل ذلك أثر فىّ تأثيراً كبيراً ودفعنى إلى معرفة المزيد عن الإسلام.

«الحب الأسمى»

■ هل تصفين لنا شعورك عند النطق بالشهادتين وإعلان إسلامك، ومتى تم ذلك؟

■■ أشهرت إسلامى عام ١٩٩٥م، وكان ذلك بداية جديدة فى حياتى فقد شعرت بانجذاب كبير نحو الدين الإسلامى فقرأت عنه الكثير والكثير، وأحسست براحة نفسية تسرى فى داخلى فنطقت بالشهادتين، وأسميت نفسى «زهرة» واكتشفت أننى كنت أفتقد الحب الأسمى، وهو حب الله، وقد وفقنى الله إلى حبه، واعتنقت الإسلام، وأصبحت أؤدى واجباتى الدينية كمسلمة أوروبية.

«الاغتراب»

■ ماذا كان رد فعل المحيطين بكِ تجاه إسلامك؟

■■ واجهت فى البداية حالة من الاغتراب من عائلتى وأصدقائى لكن سرعان ما تبدل الحال، وتقبل والداى إسلامى، فعائلتى اليوم مسرورة جداّ بعد خوضى العديد من المناقشات حول دخولى الإسلام، وهى مقتنعة بأن إسلامى جعلنى سيدة أكثر طاعة لله سبحانه وتعالى.

«صور مغلوطة»

■ كيف كانت نظرتك للإسلام قبل اعتناقك له.. وكيف أصبحت الآن؟

■■ لا يوجد وجه للمقارنة، فالإسلام يقدم بصورة سلبية للغاية فى الغرب فهو يرتبط فى

أذهانهم «بالإرهاب» واضطهاد المرأة والقتل... إلخ، وكلها صور مغلوطة، وكونى مسلمة فهذا يشعرنى بالحزن من هذه المفاهيم، ومن أجل ذلك ألفت كتابًا بالألمانية بعنوان «من إم تى فى إلى مكة»، والذى آمل أن يتم ترجمته إلى العربية والإنجليزية، فمن خلال هذا الكتاب أريد أن أمحو الإجحاف والتحامل الذى يحيق بالإسلام وأن أخبر الناس بجمال هذا الدين وروعته فهو الملاذ الذى ألجأ إليه، ويمدنى بالقوة، ويبعث فىّ السعادة والأمل والاطمئنان.

فعندما يواجه الإنسان تحديات كبيرة فى حياته فإن الإيمان هو الذى يمنحه القوة والأمل فى التغلب على هذه الصعاب، وبدون الأمل يصاب الإنسان بالإحباط، ويغلب عليه التشاؤم، فهو الذى يطهره من المشاعر السلبية ويبعث فيه التفاؤل، كما تناولت فى هذا الكتاب رحلتى النهائية من المتعة الخارجية إلى المتعة الداخلية، وأيقظت الجانب الروحى لدىّ، وبدأت فى ملء حياتى بالمعانى السامية والنبيلة.

وحاولت فى هذا الكتاب أيضا مخاطبة القارئ الأوروبى بأسلوب سلس مبرزة ما يجهله الغرب عن الإسلام والمسلمين، ومحاولتى تصحيح الكثير من المفاهيم المغلوطة عن الإسلام.

■ بعد مرور خمسة عشر عامًا على دخولك فى الإسلام.. كيف ترين هذا الدين؟

■■ الدين الإسلامى دين عظيم، ولذا أدعو كل مسلم إلى قراءة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بتمعن وتؤدة ففيهما صالح الإنسان، وإن كنت قد وجدت فى العالم الإسلامى بعض العادات السيئة التى لا تمت للإسلام بصلة، فمن المهم أن نفرق بين ثقافة الشعوب وجوهر الدين، ونتعلم

• استمعت إلى الموسيقى الصوفية ذات الكلمات المؤثرة عن حب الله ورسوله فمس ذلك شغاف قلبى وأشهرت إسلامى

• علينا التأسى برسولنا الكريم والسير على هديه الكريم صلى الله عليه وسلم

الإسلام من مصادره الصحيحة، وألا نهتم بالمظاهر الخارجية للدين، وعلينا أن نركز على شخصية الرسول ﷺ ، ونتأسى به، ونسير على هديه، فقد كان رحيما عطوفًا محبًّا لزوجاته، متسامحًا مع أعدائه، كل هذه الصفات الجميلة علينا جميعًا أن نتذكرها ونعمل بها ولا نغفلها.

«بناء الجسور»

■ ما الدور الذى تقومين به الآن تجاه الإسلام؟

■■ أقوم بتقديم برنامج حوارى يسمى قضايا الإيمان، ويهدف البرنامج إلى تعزيز الحوار بين الحضارات والأديان، كما شاركت فى استضافة مؤتمرات ومهرجانات ثقافية حول العالم، وأرغب فى بناء الجسور بين الشعوب والثقافات والديانات خاصة بين الإسلام والغرب لتقريب وجهات النظر، وتصحيح المفاهيم المغلوطة والسائدة فى الغرب تجاه الإسلام والمسلمين.

■ ما الذى تتضرعين به إلى الله عز وجل فى حياتك اليومية؟

■■ أشعر بأننى قريبة من الله عز وجل، أخبره بما يجول فى داخلى، وعما أتمناه لأننى واثقة من أن الله يستمع إلينا ويستجيب لدعائنا.

«وسام على صدرى»

■ اخترتى كواحدة من بين اثنين من المكرمين على مستوى العالم فى مناسبة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف من الرئيس مبارك - ما تعليقك على ذلك؟

■■ كنت فى غاية السعادة لهذا التكريم الذى كان مفاجأة بالنسبة لى خاصة أنه جاء من مصر ورئيسها الذى أكن له كل تقدير واحترام، فلم أكن أتصور فى يوم من الأيام أن أنال هذا التقدير والذى أعتبره وسامًا على صدرى، ولحظة من أهم اللحظات فى حياتى.

يحمل تبعاتها كل مرشح وناخب

أمانة الكلمة دستور أخلاقى ينظم مسيرة الحياة

لم تستطع سنوات العمر الطويل أن تثنيها عن إبداء رأيها

أ. د. أحمد عمر هاشم

تقاعس نائب الشعب عن أداء ما ائتمنه الناس عليه تضييع للأمانة وخيانة لله ورسوله

تحقيق
مصطفى إبراهيم خيان

حملت الكلمة رسالة الأنبياء منذ فجر التاريخ إلى كل البشر، وجاءت بقانون السماء لأهل الأرض.. الكلمة قرآن يتلى وسراج وهاج يضيئ أعماق القلوب، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور. الكلمة ميثاق شرف يكتب، وعقد يبرم، وسر يؤتمن، وقانون ينظم حياة البشر والكلمة الطيبة أذان لفجر يوم جديد يوقظ الغافلين ويوقد جذوة الأمل فى النفوس.

وبالكلمة اهتزت عروش وهوى ملوك وسلاطين، وزالت ممالك فصارت حصيدا كأن لم تكن بالأمس.

بالكلمة الحرة الشريفة تختار الشعوب الحية من يمثلها ويعبر عن رأيها، ورأينا شعوبا غابت عن الوعى وعزفت عن المشاركة وأعطت ظهرها لصندوق الانتخابات، فأنى لها أن تنظر إلى المستقبل وقد فقدت حريتها والهواء الذى تتنفسه ولتنسحب من الحياة وكتبت شهادة وفاتها بيدها وتشيع إلى مثواها الأخير.

فكم من أمة عرفت الحق، لكنها عزفت عن المشاركة، وكتمت الشهادة فانفرط عقدها، وتفرق أهلها وصار بأسهم بينهم شديداً، وذاقوا وبال فعلهم ودفعوا ضريبة تقاعسهم من حريتهم ومن حاضرهم ومستقبل أبنائهم، بعد أن أوسدت الأمر إلى غير أهله من أصحاب العصبية القبلية والمصلحة الضيقة، وأصحاب الشعارات البراقة والكلمات المعسولة الذين يعزفون على أوتار الشفافية والنزاهة، وذوى الياقات البيضاء والمتاجرين بالأصوات، المتلاعبين بالأقوات الذين اشتروا النفوس الخربة والضمائر الميتة فبارت بضاعتهم وما ربحت تجارتهم، ففقدوا دورهم الرقابى ودورهم التشريعى.

استغلوا نفوسا ضعيفة باعت أصواتها، بل باعت ضمائرها نظير ثمن بخس دراهم قليلة، وما ظنوا أنهم يبيعون وطنا برمته، ويبيعون مستقبل أمة ليشتروا به ثمنا قليلا ويأتون بشخوص وأشباح.

صناديق الانتخابات لا تأتى دائما بالأصلح والمسئولية تائهة ما بين ناخب تقاعس عن أداء الشهادة، أو عملا بهوى فى نفسه أو بحثا عن مصلحة ضيقة، وبين ناخب قطع على نفسه عهدا، ولما دان له ما سعى له ولى الأدبار واختفى عن الأنظار وخان أمانة الكلمة التى قطعها على نفسه.

د. حامد أبو طالب:

الوعد الذى يقطعه المرشح على نفسه يعد عقداً بينه وبين ناخبيه ترتب عليه مسئولية ينبغى أن يتحمل تبعاتها

للمرأة صوتها المؤثر فى حسم نتائج الانتخابات

على هذه الصفحات نعرض لآراء نخبة من رجال الدين والفكر والاجتماع والإعلام أدلوا بدلوهم فى قضية من أهم القضايا التى تهم المواطن والمجتمع.

الكلمة الحرة

يشدد الدكتور **أحمد عمر هاشم** - رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب، والرئيس الأسبق لجامعة الأزهر - على خطورة الكلمة وبُعد أثرها، باعتبارها أمانة ومسئولية يحملها الإنسان عظيمة الشأن والمكانة فى حياة الأمم والشعوب، وينبغى على الفرد والجماعة صيانتها وأداؤها بحقها؛ فلا تكون مجرد كلمات مُرسلة أو منفلتة دون رابط أو ضابط لا يلقى لها المرء بالا؛ فتكون وبالا عليه وعلى مجتمعه.

مبينًا أن على من يتحمل أمانة الكلمة أن يؤديها حرة لا قيد عليها إلا ضميره، وأن تكون بشهادة الحق، ولذلك فإن اختيار ممثلى الشعب فى المجالس النيابية يمثل أمانة عظمى تقع على عاتق الناخب الذى يقوم بالاختيار؛ فإذا كان عليه أن يدلى بصوته؛ فإن هذا الصوت ينبغى أن يذهب للشخص الذى يستشعر فيه الكفاءة والقدرة، ويتوسم فيه الصلاحية بمهامه فى خدمة المجتمع والشعب خير قيام، وليس بناء على أغراض أخرى تخالف العرف والدين، وعل الوجه الآخر فإن على من يحوز ثقة الجماهير أن يكون أهلا لهذه الثقة مؤديا لأمانته التى ائتمنه الناس عليها ولكلمته التى وعد بها أن يفعل كذا وكذا إذا ما نال ثقتهم.

كتمان الشهادة

ويؤكد الدكتور أحمد عمر هاشم على أن إدلاء الناخب بصوته هو نوع من الشهادة التى حذر الإسلام من كتمها إذا ما رأى المرء من يصلح للقيام بهذه المهمة التى رشح نفسه لها. فالناخب مسئول عن اختيار المرشح الكفء الذى يستشعر فيه القدرة على القيام بدوره فى النهوض بالمجتمع وبالأمة، ويسهم بشكل جاد فى دفع عجلة التنمية على جميع مستوياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ومعتبرا أن تيقن الفرد من وجود صاحب الكفاءة والقدرة على خدمة المجتمع، ثم يتقاعس عن الإدلاء بصوته يعد كتمانا

للشهادة، باعتبار الشهادة واجبًا شرعيًا يقول تعالى: **﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾** البقرة: آية ٢٨٣.

فضلا عن أن التقاعس والسلبية عن المشاركة يؤديان إلى تعطيل المعاملات وعرقلة مسيرة الإصلاح وإلى الخلل فى موازين العدل وضياع الحقوق.

التجرد من الهوى

ويُجمل رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب أهم المبادئ التى ينبغى أن تقوم عليها العملية الانتخابية فى ضرورة أن يتخير الناخب المرشح الكفء الذى يستحق من وجهة نظره المجردة أن ينال شرف تمثيل الشعب تحت القبة، والذى يستشعر فيه الجدارة بحمل الأمانة؛ ذلك أن مهمة النائب الذى يحوز الثقة مهمة ثقيلة وعظيمة الشأن، بعيدة الأثر والتأثير، فمن مهامه الملقاة على عاتقه، مراقبة أداء الحكومة، والتصدى لأى صورة من صور الفساد، فضلا عن مهمة التشريع للدولة والتى تقتضى منه أن يكون على وعى ودراية بقدر معقول من المعرفة القانونية صاحب خبرة أمينا فى قوله وأدائه، ومن هنا فإن اختيار المرشح ينبغى أن يكون مجرداً من أى هوى أو انتماءات ضيقة أو مراعاة لصلة قرابة أو نسب، أو لعصبية جاهلية، وإلا يكون اختياره نتيجة لوقوعه تحت ضغط أو إغراءات مادية ومعنوية، فإن من يقوم اختياره على تلك الأهواء يعد بمثابة شاهد زور يؤثم على شهادته.

ولخطورة شهادة الزور فقد قرنها القرآن الكريم بأكبر أنواع الكبائر وهو الشرك بالله - والعياذ بالله - وذلك فى قول الله تعالى: **﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾**، ويقول أيضا فى شأن قول الزور: **﴿والذين يشهدون الزور﴾**.

قول الزور

كذلك بلغ من بشاعة قول الزور أن النبى ﷺ حين عدد من أكبر الكبائر التى قال عنها: **الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئا ثم اعتدل وقال: ألا وشهادة الزور، ألا وقول الزور ومازال يكررها حتى قال الصحابة: ليته سكت.**

وما ذلك إلا بسبب الآثار المدمرة للمجتمع التى تترتب على شهادة الزور، من شيوع الظلم، وانتشار الفوضى وضياع الحقوق وفقدان الثقة، ولذلك كان الإسلام حكيما فى التصدى لتلك الآفة والقضاء عليها.

د. إبراهيم البيومى غانم:

سوء اختيار الناخب لمرشحيه يأتى بنواب يقدمون مصالحهم الضيقة على مصلحة الوطن

وعود برّاقة

وفى المقابل - كما يقول الدكتور عمر هاشم - فإن على المرشح الذى أولاه الناخبون ثقتهم فى مقابل تنفيذ برنامج معين تقدم به للناخب، عليه أن يكون أهلا لهذه الثقة، وأن يؤدى حق الكلمة التى قطعها على نفسه أمام الناخبين؛ فقد أقر باستعداده لتحمل تبعات العضوية، والتى اختير من أجلها، ومن أجل الوعود التى وعد بها، والشعارات التى رفعها على أن يكون عونا لناخبيه فى حل مشكلاتهم وتذليل العقبات أمامهم والتصدى للفساد، والإسهام بدوره الرقابى والتشريعى فإن هو لم يقم بما ائتمنه الناس عليه يكون قد خان الأمانة وخان الله ورسوله.

د. سوسن فايد:

الفئة المتوسطة الدنيا من طلاب الجامعات هم الأكثر مشاركة فى العمل السياسى

تأثير الكلمة

ويوضح الدكتور **حامد أبو طالب** - عميد كلية الشريعة والقانون السابق بجامعة الأزهر - أن الشريعة الإسلامية قد اهتمت بكل مقومات الحياة الإنسانية التى تكفل للإنسان حياة كريمة عزيزة لتمكنه من القيام بدوره فى إعمار هذا الكون، ولم يستثن من ذلك أدق شئون الحياة والمعاملات؛ ومن ذلك إعلاء الإسلام لشأن الكلمة التى لا يلقى لها كثير من الناس بالا، لكنه يلزمه بها فى الدنيا ويحاسب عليها يوم القيامة؛ لما لهذه الكلمة من تأثير خطير فى حياة البشر وتقرير مصير الشعوب؛ فقد تكون الكلمة سببا فى تثبيت ملكية ما لشخص ما، وقد تكون سببا فى نقض الملكية، وقد تحل زواج رجل بامرأة، وقد تفعل العكس فتوقع الطلاق بينهما، فبهذه الكلمة تستحل الفروج، وبهذه الكلمة تحرم أيضا. بل إنها قد تشعل فتنة، وقد تعقد صلحا وتنشر سلاما.

القول المرسل

ويضيف بأنه نظرا لخطورة الكلمة، فقد دعا الإسلام إلى أن يحفظ المرء لسانه وألا ينزلق به فيما لايجوز الخوض فيه، أو يلقى بالكلام مرسلا دون أن يدرك معاقبته، وعليه ألا يقول إلا صدقا، وألا ينطق إلا حقا، بحيث لا تغادر الكلمة فيه إلا بعد أن يعرضها على عقله أولا، فالكلمة نطق بها ملكته وإن لم ينطق بها ملكها.

أما بالنسبة للشهادة - كما يؤكد - فإن الإنسان سيحاسب عليها يوم القيامة، إن أدارها على وجهها الصحيح، أو متأثرا بمؤثرات جانبية تؤدى إلى كتمانها، وتحول دون أدائها أداء كاملا صحيحا، سواء كان ذلك مراعاة لقرابة أو لصاحب جاه أو نفوذ أو لمنفعة شخصية، أو جريا وراء هوى فى نفسه، ليخالف بتلك الشهادة الواقع، ويخالف ضميره ويخالف خالقه.

الإخلال ببنود العقد

ويحذر الدكتور حامد أبو طالب المرشح الذى يقطع عهدا على نفسه ويعطى وعودا براقة وبرنامجه إصلاحى يحمل آمالا كبارا وخطوطا عريضة، ثم يخل بما قطعه على نفسه ولا ينفذ ما وعد به، فسيكون عقابه عند الله شديدا على خيانته لأمانة الكلمة، وبما فرط فى حق البسطاء من ناخبيه.

معتبرا الكلمة التى قطعها على نفسه عقدا بينه وبين ناخبيه يلزمه أن ينفذ بنود ذلك العقد الذى يرتب عليه مسئولية ينبغى أن يتحمل تبعاتها، إلا يفعل يكون قد أخل بشروط العقد فاستحق غضب الله.

أما الناخب الذى يتقاعس عن أداء الشهادة لصالح المرشح الذى يراه مناسبا لتمثيله فى المجالس النيابية، فهو كمن دعى للشهادة فأبى، وهو بذلك كاتم للشهادة يقول الله تعالى: **﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾** البقرة: آية ٢٨٣.

تبخر أحلام البسطاء

ويوجه الدكتور إبراهيم البيومى غانم - رسالة شديدة اللهجة إلى هؤلاء الذين لا يعرفون للكلمة قدرها ويتهاونون فى أدائها بحقها، أو لا يدركون أهميتها فلا يلقون لها بالا؛ فإن ذلك سيكون وبالا وشرا مستطيرا على المجتمع.

ومن هذا القبيل نكوص ممثل الشعب عما قطعه من كلمة على نفسه أمام ناخبيه وتحلله من التزاماته أمامهم، ضاربا بمعسول الكلام عرض الحائط وكأنما صار شخصا آخر غير ذلك الذى وعد، لتتبخر أحلام البسطاء فى صوت يعبر عن آلامهم وينقل للمسئولين مواجعهم وشكاواهم، بعد أن أدار مرشحهم ظهره عنهم واختفى من أمام ناظريهم ولم يعد يرونه إلا فى المنابسات يعلن عن نفسه، أو حين يحين موعد الانتخابات، وينحى باللوم فى ذلك على الناخبين الذين لم يرتفعوا لمستوى المسئولية المنوطة بهم، فلم يحسنوا الاختيار، ونسوا أن كلمتهم بمثابة شهادة يشهدون بها، وجاء اختيارهم إما طبقا لاعتبارات شخصية ضيقة أو لعصبية قبلية، أو لصلة قرابة، وإما عن عدم معرفة ووعى دقيق بقدرات هذه الشخصية وأهليته لتحمل المسئولية الملقاة على عاتقه.

المصالح الشخصية

ويلفت الدكتور البيومى غانم النظر إلى أن سوء الاختيار من قبل الناخب وإعطاء صوته لمن لا يستحق يأتى للمجلس النيابى بأصحاب المصالح الشخصية الذين يقدِّمون مصالحهم على مصالح المجتمع، ممن يخدعون الناس ببرامج زائفة ولا يلتزمون بأمانة الكلمة التى قطعوها على أنفسهم فى تقديم برامج عمل وإصلاح يدغدغون بها مشاعر البسطاء، ويحتالون عليهم.. كل ذلك يؤدى إلى ظهور ممثلين للشعب ليسوا على مستوى المسئولية، إما لضعف إمكانياتهم المعرفية أو لقلة كفاءتهم وعجزهم عن التصدى لمشكلات المجتمع، وإما لهوى فى أنفسهم يجعلهم لا يأبهون إلا لمصالحهم الشخصية، الأمر الذى قد يترتب عليه فساد كبير بسبب الفشل فى تحقيق المصالح وضياع الحقوق، وشيوع الظلم وتعطل مسيرة التطور والتنمية.

إرادة الناخبين

ويُرجِع الدكتور غانم عزوف الكثير من الناس عن الإدلاء بأصواتهم وتدنى نسبة المشاركة السياسية - كما تؤكد الإحصاءات الرسمية - إلى عدد من الأسباب منها: أسباب تاريخية تعود إلى عصر النظام الشمولى خلال فترة الخمسينيات والستينيات التى كان يسود فيها نظام الحزب

د. محمود علم الدين:

التغطية الشاملة لأحداث الانتخابات تجعل المواطن معايشا للواقع قريبا من المعترك السياسى

الواحد وكان النظام يأتى بأشخاص على غير رغبة الناخبين، حتى شعر الناس أن أصواتهم ستذهب أدراج الرياح ولن تغير من الأمر شيئا، بعد أن صارت النتائج لا تعبر عن إرادة الناخبين ولا تحترم رغباتهم.

حمل الأمانة

كذلك ما يكتنف العملية الانتخابية من صراعات واشتباكات وأعمال عنف قد تصل إلى حد التناحر كالأحداث المؤسفة التى راح ضحيتها البعض دون ذنب أو جريرة إلا أنهم جاءوا ليمارسوا حقهم الانتخابى، الأمر الذى يدفع الكثيرين للإحجام عن المشاركة مؤثرين السلامة، فضلا عن أن البعض الآخر تولد لديه الانطباع بأن صوته لا قيمة له، ولن يقدم أو يؤخر فى شىء، أو يسهم فى إصلاح أو تطوير للمجتمع.

داعيا إلى أن يدرك كل إنسان قيمة كلمته التى يمنحها للناخب وأن يعلم أن صوته مع صوت غيره يمكن أن يكون دافعا للإصلاح والتغيير.

وأن على من أولاه الناس ثقتهم حتى تحقق له الفوز، أن يكون أهلا لهذه الثقة، جديرا بحمل الأمانة، يقدم مصلحة المجتمع والأمة وأبناء شعبه على ما سواها من مصالح شخصية ضيقة.

عمق الوعى الشبابى

وإذا كان الشباب يمثل الشريحة الغالبة فى المجتمع، وهو حاضر هذا البلد ومستقبله؛ فإن تهيئة الشباب وإعداده لينهض بتبعاته يشكل تحديا كبيرا أمام المجتمع، ومن ثم فإن مدى أدائه لأمانة الكلمة ومنها المشاركة فى اختيار مرشحه يعد مرآة تعكس واقع المجتمع كله.

الدكتورة **سوسن فايد** - الأستاذة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - رصدت مستوى المشاركة السياسية لشباب الجامعات وحددت أهم أسباب عزوف الكثير من الشباب عن الذهاب لصندوق الانتخابات للادلاء بصوته واختيار من يمثله.

حيث أشارت فى البداية إلى الدراسة البحثية التى أجرتها على عينة من شباب خمس جامعات؛ أربع منها حكومية وهى القاهرة، عين شمس، بنها، والمنيا، وجامعة واحدة من الجامعات الخاصة هى جامعة السادس من أكتوبر.

وقد أظهرت الدراسة أهم السمات الشخصية لشباب الجامعة لممارسة المشاركة السياسية، وأهمها أن الاستعداد للمشاركة كان إيجابيا، وأن مفهوم هذه المشاركة كان مفهوما رائعا يدل على عمق الوعى لديهم، واتضح ذلك جليا من خلال انضمامهم لجمعيات أهلية كالأورمان، الرسالة، وصناع الحياة التى تسهم فى تأهيلهم للمشاركة السياسية التى تتطلب باعا فى العمل الاجتماعى، وهو يتاح لهم من مواقف وممارسات من خلال هذه الانتماءات.

إيجابية السمات الشخصية للشباب

وتضيف الدكتورة سوسن فايد بأنه على الرغم من إيجابية السمات الشخصية لشباب الجامعات المصرية، إلا أن المشاركة السياسية فى التصويت كانت محدودة، كذلك كان الانضمام للأحزاب المختلفة محدودا للغاية، فى ذات الوقت الذى كان فيه الاهتمام بالحياة السياسية واضحا للغاية من خلال اطلاعهم على الصحف، ومتابعتهم للإنترنت سواء كزائر أو بصفة دائمة، وإبداء الرأى من خلال العديد من المواقع التى تهتم بهذا الشأن وهو ما يعد شكلا من أشكال ممارسة العمل السياسى بديلا عن الممارسة على أرض الواقع.

وتقول إنه من الملاحظات الجديرة بالتحليل والمتابعة أن بعض الشباب لم يكن انضمامه للأحزاب عن قناعة شخصية وإنما لتحقيق مكاسب ذاتية كالحصول على عضوية أحد الأندية أو الذهاب فى رحلات للمصيف أو التمتع بمزايا أخرى يوفرها الحزب.

تهميش دور الشباب

لكن ترى ما أهم أسباب العزوف عن التعبير عن الرأى من خلال صندوق الانتخابات؟

- تقول الباحثة إن الدراسة ترجع العزوف عن المشاركة إلى عدد من الأسباب والعوامل التى انطبعت فى ذهن الشاب المصرى من أهمها:

الخبرات السابقة والموروث السابق الذى يترك لديه الإحساس أن صوته لا يمثل قيمة تذكر على الساحة، وبالتالى فلا جدوى من وراء الذهاب للصناديق والانتخابات. كذلك الصورة الذهنية التى ترسخت لديه من أن هناك شخوصا

بعينهم من أصحاب المال والقبلية هم الأوفر حظا من غيرهم وأن الصناديق لا تأتى بالأكفأ دائما. فضلا عن عدم استغلال طاقة الشباب بشكل مثالى وشعوره بتهميش هذه الطاقة.

الاستعداد النفسى للمشاركة

وتوضح الدكتورة سوسن فايد أنه على الرغم من سلبية العديد من الشباب فى التعبير عن رأيهم إلا أن الدراسة أكدت أن ٤٠٪ تقريبا من هؤلاء الشباب لديهم الاستعداد النفسى والوعى الثقافى والسياسى بأهمية المشاركة الإيجابية خاصة فى ظل مناخ التعددية الحزبية، وأن لديه يقيناً بأن تلك المشاركة هى سبيله لتحقيق الديمقراطية الحقيقية محذرة من أن هذه الطاقات إن لم توجه بصورة إيجابية فإنها قد تنعكس سلبيا على المجتمع كله، حيث قد تسود قيم اللامبالاة والسلبية والأنانية بين فئة من أهم فئات المجتمع.

الطبقة المتوسطة الدنيا

ومما يلفت النظر فى دراستها ـ كما تقول ـ أن الطبقة المتوسطة الدنيا المتمثلة فى شباب الجامعات الحكومية (القاهرة، عين شمس، بنها، المنيا) كانوا أكثر الفئات مشاركة فى العمل السياسى، بسبب معاناتهم وحاجاتهم إلى طرح مشكلاتهم والتعبير عما يجول بخاطرهم على حين كانت الطبقة المتوسطة العليا المتمثلة فى جامعة السادس من أكتوبر هى الأقل مشاركة ولأكثر عزوفا عن إبداء الرأى نظرا لتوافر مقومات الحياة لديهم، وعدم معاناتهم مقارنة بما يعانيه غيرهم وهو ما يدحض ويخالف القول بشأن تدنى مستوى الدخل يؤدى إلى العزوف عن المشاركة الفاعلة فى العمل السياسى.

الحراك المجتمعى

ويرى الدكتور محمود علم الدين ـ رئيس قسم الصحافة بكلية الإعلام ـ بأنه على الرغم من أن نسبة المشاركة فى انتخابات مجلس الشورى الأخيرة قد سجلت ارتفاعا عن الدورات السابقة إلا أن تلك النسبة التى بلغت ٣٠٪ لا تتناسب أبدا مع الحراك المجتمعى سواء على مستوى الجمعيات الأهلية أو الأحزاب أو الجماعات المختلفة المشاركة فى العملية السياسية، لتشكل منظومة متكاملة تعبر عن رأى المجتمع.

مشيرا إلى أن أكثر ما يجذب الناس للمشاركة السياسية، شعورهم أن تلك العملية تجرى لصالحهم، وأن صوته يحترم وله تأثيره فى إصلاح المجتمع وتنميته، وألا يشعر أن الانتخابات مجرد إجراءات شكلية وأن مشاركته لن تقدم أو تؤخر.

البرامج الحوارية

مؤكدا على أن للإعلام دورا بارزا، بل الدور الأكبر فى إقناع الناخب بالذهاب طواعية إلى صندوق الانتخابات، بما يعرضه من برامج حوارية تجمع أصحاب الرأى ورجال السياسة والدين والقانون. كما تعرض برامج الأحزاب والكتل المختلفة بحيث يخصص لكل حزب وقتاً مساوياً لغيره من الأحزاب، فضلا عن المتابعة والتغطية الشاملة لأحداث ما قبل وأثناء وبعد الانتخابات حتى يكون المواطن معايشا للواقع قريبا من معترك الحياة السياسية، بما يشجعه على المشاركة وممارسة حقه الانتخابى باعتباره واجبا دينيا وقوميا عليه أن يؤديه لشعبه ولمجتمعه.

محاكاة الواقع

ومن النماذج الجيدة التى تشجع المواطن وتحفزه على المشاركة وتهيئه لتلك العملية، البرامج التى تقوم على عمل محاكاة للمجالس النيابية سواء كانت على مستوى الكبار أو الصغار الذين يشبون وقد نالوا قسطا من الممارسة البرلمانية تؤهلهم ليكونوا نواة لممثلى الشعب فى المستقبل.

استراحة المنبر

إعداد: محمد سيد أحمد

من هدى القرآن الكريم

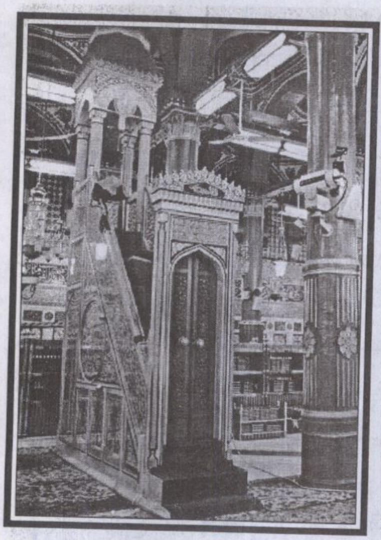

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ
الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)
وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن
دُونِي وَكِيلاً (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)
وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ
وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) ﴾ الإسراء الآيات ١ : ٤ .

كيف تعرف غيرك؟

مدح أحدهم آخر فقال: لم مدحتنى؟ أجربتنى عند الغضب فوجدتنى حليمًا.. أجربتنى عند الأمانة فوجدتنى أمينًا.. أجربتنى عند السفر فوجدتنى حسن الخلق. فأجابه المادح بالنفى فقال الرجل: لا يحل لرجل أن يمدح آخر، ما لم يجربه فى هذه الثلاث.

من خطب الفاروق عمر

إنما الدنيا أمل محترم، وأجل منقض، وبلاغ إلى دار غيرها، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج، فرحم الله امرءًا فكر فى أمره، ونصح لنفسه، وراقب ربه، واستقال ذنبه، بئس الجار الغنى يأخذك بمالا يعطيك من نفسه، فإن أبيت لم يعذرك، وإياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة، ومفسدة للجسم، ومؤدية للسقم، وعليكم بالقصد فى قوتكم فهو أبعد عن السرف، وأصح للبدن وأقوى على العبادة وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

احذر

قال على بن أبى طالب:

احذر من الكريم إذا أهنته ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته.

قالوا قديماً...

كانت روسيا متخلفة جدًا بالنسبة لأوروبا الغربية قبل عهد بطرس الأكبر وحين حكمها هذا القيصر الطامح إلى النهضة والتقدم، كون جيشه المتخلف ونظمه على طريقة الجيوش الأوروبية وأصر على ضرورة نظافة الجندى وأناقته فأمر بأن توضع أزرار نحاسية حول سترة الجندى حتى يقلع عن عادته القديمة بمسح الأنف بالكلم!..

من روائع الشعر

قال (كعب بن زهير):

لو كنت أعجب من شىء لأعجبنى
سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها
والنفس واحدة والهمُّ منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل
لا تنتهى العين حين ينتهى الأثر

بستان الأمثال

- رب أخ لك لم تلده أمك. (مثل عربى).
- أن تضىء شمعة صغيرة خير لك من أن تلعن الظلام. (مثل صينى).
- الكلام يشبه النحل فيه العسل والإبر (مثل سويسرى).
- الكلام لا يسدد الديون (مثل إنجليزى).
- يستحيل الوقوف فى هذا العالم دون الانحناء أحيانًا (مثل يابانى).

فصاحة امرأة

أتى بامرأة إلى (الحجاج) فقال لأصحابه: ما تقولون فيها؟ فقالوا: عاجلها بالقتل أيها الأمير. فقالت: لقد كان وزراء صاحبك خيرًا من وزرائك يا (حجاج) فقال: ومن هو صاحبى؟ قالت: (فرعون) استشارهم فى (موسى) فقالوا: **﴿أرجه وأخاه﴾**.

وصية

كان الخليفة المأمون يوصى أولاده:

يا بنى اكتبوا أحسن ما تسمعون، وانسخوا أفضل ما تقرأون واحفظوا أحسن ما تثبتون، وحدثوا بأحسن ما تحفظون... تتعلق بأفواههم الأبصار، وتسمع لكم الآذان وتخضع لكم القلوب.

أحسن جوار

لما رجع عثمان بن مظعون من الحبشة لم يستطع دخول مكة والعيش فيها إلا فى جوار الوليد بن المغيرة، ولكن عز عليه أن يستريح فى جوار كافر مشرك، وحوله إخوانه يعذبون، فرد عليه جواره وقال له: إنما أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره، وبدأ العذاب - بعد ذلك - ينصب عليه حتى أصيبت عينه، فلقيه الوليد وقال له: لقد كانت عينك لغنية عما أصابها وكنت مستريحًا بجوارى. فقال له عثمان: بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله، وإنى لفى جوار من هو أعز منك وأقدر.

التعزى بوفاة الرسول ﷺ

قال بعض الشعراء وقد مات له ابن اسمه محمد:

اصبر لكل مصيبة وتجلد
وأعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا ذكرت محمدًا ومصابه
فاذكر مصابك بالنبى محمد

وقال شاعر آخر:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا
فعزيت نفسى بالنبى محمد
وقلت لها إن المنايا سبيلنا
فمن لم يمت فى يومه مات فى غد

إمام العلماء.. معاذ بن جبل ووفاة الرسول ﷺ

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: كنت ليلة نائما باليمن - لما وجهنى رسول الله ﷺ أعلم أهل اليمن الإسلام - فرأيت قائلا يقول: «يا معاذ، أتنام ورسول الله ﷺ بين أطباق التراب؟ فاستيقظت مرعوبًا، ثم نمت فرأيت كذلك، فأخذت المصحف نهارًا فأول سطر قرأته: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾.

فبكى معاذ ورحل إلى المدينة، وهو يقول: وا محمداه أين أنت؟ أفوق الأرض أم تحتها؟ فلما قربت من المدينة سمعت هاتفًا يقول: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ فدنا منه معاذ.. فإذا هو رجل من الأنصار، فقال: يا معاذ، إن رسول الله فارق الدنيا، فوقع مُعاذ مغشيًا عليه.

فلما أفاق دفع له الأنصارى كتاب أبى بكر الصديق رضي الله عنه وعليه ختم بخاتم رسول الله ﷺ فقبله وبكى.

ولما دخل المدينة جاء إلى عائشة وفاطمة -رضى الله عنهما - وقال: السلام عليكم يا أهل بيت رسول الله ﷺ.

فقالت فاطمة: إن رسول الله ﷺ قال: «**يا فاطمة أقرئى معاذًا منى السلام، وأخبريه أنه يأتى يوم القيامة إمام العلماء**».

ولا تزر وازرة وزر أخرى

القرابة لا تنفع ولا تشفع عند الله يوم القيامة حتى أن القرب من الأنبياء والصالحين لا يغنى إذا لم يكن ثم إيمان وعمل صالح، فها هى امرأة نوح - عليه السلام - وامرأة لوط - عليه السلام - لما خانتاهما لم يغنيا عنهما من الله شيئًا وقيل: ادخلا النار مع الداخلين، والمراد بخيانتهما: أنهما لم يوافقاهما على الإيمان، ولم يصدقاهما فى الرسالة.

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - فى هذه الآية ﴿**فخانتاهما**﴾ قال: مازنتا.

أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدلّ قومها على أضيافه، وقال أيضا: ما بغت امرأة نبى قط، وإنما كانت خيانتهما فى الدين.

قال تعالى: ﴿**يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا**﴾ (الانفطار الآية ١٩).

وقال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا**﴾ (البقرة الآية ٤٨).

وقال تعالى: ﴿**وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**﴾ (لقمان الآية ٣٣).

نافذة على القراء

جمهورية مصر العربية
القاهرة
مجلة منبر الإسلام
٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة

أحمد فاروق الهلباوى

الظلم والعدل

من القارئ/ على سليم - بورسعيد

سأل رجل حكيما : أخبرنى عن السماء وما أثقل منها، وعن الأرض وما أوسع منها، وعن الصخر وما أقسى منه، وعن النار وما أحرّ منها، وعن الزمهرير وما أبرد منه، وعن البحر وما أغنى منه، وعن اليتيم وما أذل منه.

فقال: البهتان على البرئ أثقل من السماوات، والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحرّ من النار، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم.

وستة تُهون المصيبة يا ولدى..

أن تتذكر أن كل شىء بقضاء وقدر.. وأن الجزع لا يرد عنك القضاء وأنت ما أنت فيه أخف مما هو أكبر منه وأن ما بقى لك أكثر مما أخذ منك وأن لكل شىء قدر وحكمة لو علمتها لرأيت المصيبة عين النعمة وأن كل مصيبة للمؤمن لا تخلو من ثواب ومغفرة وتمحيص ورفعة شأن أو دفع بلاء أشد... وما عند الله خير وأبقى.

أول أحاديث النبى فى المدينة

من القارئ/ شعبان عبد العال - المنيا - بنى حسن - الشروق

سجل الصحابة رضوان الله عليهم أحاديث النبى ﷺ فى جميع أحواله وأقواله، ومن أول الأحاديث التى رووها عن رسول الله ﷺ فور وصوله إلى المدينة قوله: **«المرء مع رحله حيث كان»** قالها النبى ﷺ عندما تنافس كل واحد من أهل المدينة على استضافته فى داره... أخبرهم النبى أنه لا يفعل ذلك من تلقاء نفسه ولكنه مسير بأمر الله. يقول الرواة أن ناقته ﷺ لما أتت موضع مسجده بركت وهو عليها وآخذه الذى يأخذه عند الوحى. فنزل رسول الله ﷺ عنها وقال: «هنا المنزل إن شاء الله»، وسأل عليه الصلاة والسلام من حوله قائلاً: **«أى بيوت أهلنا أقرب؟»**. فقال أبو أيوب الأنصارى: أنا يا نبى الله هذه دارى وهذا بابى وقد خططنا رحلك فيها فقال النبى ﷺ له: «انطلق فهيئ لنا مقيلاً» أى مكان نستريح فيه. وبعد أن نزل النبى عليه الصلاة والسلام فى دار أبى أيوب جاءه رجل آخر فقال له: يا رسول الله انزل فى دارى... فقال ﷺ : «المرء مع رحله حيث كان» فصارت المقولة مثلاً. وروى الترمذى عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: أول شىء سمعته من النبى عند مقدمه للمدينة قوله: **«يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام. وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام».**

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد البشير المبشر للمطيعين بما قال الله تعالى **﴿ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا• ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما﴾.**

وبعد: فإننا كلما تذاكرنا سنة رسول الله ﷺ علمنا ما فيها من معان سامية وسامقة فهو ﴿وما ينطق عن الهوى • إن هو إلا وحى يوحى﴾ صلوات الله وسلامه عليك سيدى يا رسول الله

محمد فؤاد عبد الباقى (٢)

جهوده فى خدمة السنة

القارئ/ محمد سيد بركة

قام عبد الباقى بترجمة كتاب المعجم المفهوس لألفاظ الحديث النبوى فأرسل إلى الدكتور فنسنك ولم يكتف بالموافقة فحسب بل أرسل إليه الفصل الأول من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى فاطلع عليه ووجد به أخطاء كثيرة فضمنها كشفًا أرسله إلى الدكتور فنسنك فسُر بذلك وطلب منه تصحيح (بروفات) المعجمم ومضى فى ذلك إلى آخر حياته.

وقد حدث أن الشيخ محمد عبده كان فى مطالعته للقرآن الكريم يأتى بالآيات المتشابهات وسأله الشيخ رضا أنى له هذا؟ فأجاب الشيخ محمد عبده بأنه يستعين بكتاب عنده باللغة الفرنسية لمؤلفه (جول لابوم)، وبعد موت الشيخ محمد عبده بحث الشيخ رضا عن الكتاب فى تركته فلم يعثر عليه وأفضى بما فى نفسه إلى الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى، فقال له هذا الكتاب عندى باللغة الفرنسية فطلب منه أن ينقله له، فرحب بذلك وقام بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية وقدمه إلى الشيخ محمد رشيد رضا سنة ١٩٢٤م، وفى سنة ١٩٣٤م جاء أحد أقارب الشيخ محمد رشيد رضا وعرض عليه طبع الكتاب وفعلاً تم طبعه.

انطلق محمد فؤاد عبد الباقى يخدم السنة النبوية فى وقت لم تكن تلقى فيه الاهتمام الذى تستحقه، وأبلى بلاء حسنًا، سواء فيما يتصل بتحقيق أمهاتها أو التأليف فيها، أو تخريج أحاديثها، فقام بشرح وفهرسة صحيح مسلم، وموطأ مالك، وسنن ابن ماجه، وأخرجها على أحسن صورة، دقة وتنظيمًا وتنسيقًا، بما يتفق مع جلال السنة، وما تستحقه من عناية، وقد رزق الله تحقيقاته القبول والذيوع بين أهل العلم وصناعة الحديث.

وأما مؤلفاته التى خدمت السنة، فيأتى فى مقدمتها: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، والمعروف أن أعلى درجات صحة الحديث هو ما اتفق عليه الشيخان البخارى ومسلم، والكتاب ذائع معروف، يجمع ألفين وستة أحاديث مرتبة على أبواب الفقه.

وله جامع مسانيد صحيح البخارى، وهو كتاب يجمع أحاديث كل صحابى أخرج له البخارى على حدة، ورتب أسماءهم حسب الحروف الهجائية، وهو بذلك صورة أخرى لصحيح البخارى المرتب على كتب الفقه وأبوابه. وتقدم بهذا العمل إلى مجمع اللغة العربية لنشره، فشكل المجمع (سنة ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م) لجنة من أعضائه ضمت أحمد بك إبراهيم والشيخين إبراهيم حمروش ومحمد الخضر حسين لدراسة الكتاب، فأشادت بالعمل والجهد المبذول فيه، وانتهى الأمر باعتذار المجمع عن نشر الكتاب، محتجًا بأن العمل أدخل فى باب السنة منه فى باب اللغة، ويشاء الله ألا يُطبع الكتاب فى حياة مؤلفه وظل حبيس الأدراج، حتى نشر بعد وفاته بفترة طويلة سنة (١٤١٢هـ/١٩٩١م).

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

وكما دخل محمد فؤاد عبد الباقى ميدان فهرسة السنة النبوية من باب الترجمة دخل أيضًا ميدان فهرسة ألفاظ القرآن الكريم من الباب نفسه، فقد ترجم كتاب «تفصيل آيات القرآن الكريم لجول لا بوم عن الفرنسية، ونشره سنة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، لكنه لم يكن كافيًا لسد الغرض، فرغب فى وضع

معجم دقيق لألفاظ القرآن يعين الباحثين فى الوصول إلى أية آية كريمة فى القرآن إذا استعان بكلمة منها، وتطلب منه ذلك أن يُفرغ كل الكلمات الواردة فى القرآن الكريم، ويرتبها حسب حروف المعجم، مع الأخذ فى الاعتبار ردها إلى أصولها اللغوية.

وقد بذل المؤلف جهداً مشكوراً فى وضع كتابه، مراجعًا ما يجمعه على معاجم اللغة وتفاسير الأئمة اللغويين، عارضًا ما يجمعه على الثقات من أصدقائه من علماء اللغة، حتى إذا اطمأن إلى عمله دفعه إلى دار الكتب المصرية، فأجازت نشره بعد أن شكلت لجنة لذلك، فخرج فى أحسن صورة وأبهى حلة.

وبعد : فإن الحديث عن شيخ المحققين شرف ولا جدال فى ذلك ونحن نتمنى أن يعرف الناس قدر ومكانة الرجل حتى يكون قدوة ومثالاً يحتذى.

تنويه

فى تغطية للمؤتمر السادس عشر لتعريب العلوم نشر بطريق الخطأ كلمة للدكتور **محمود الجريدلى:*** «وأن عزل اللغة الأم من مناخها الطبيعى فى مراحل التعليم الأولى هو العامل الأقوى فى تحصيل أى لغة» أما النص الصحيح الذى ورد فى ملخص الأبحاث: «أن عزل اللغة الأم عن مناخها الطبيعى فى مراحل التعليم الأولى هو العامل الأقوى فى تفكيك الشعوب لأن التلقى بالأذن هو الأصل فى تحصيل أى لغة».

ورد أيضا أن اللغة العربية تعيش اليوم حالة من التخريب والصحيح التغريب لذا وجب التنويه.

- **دكتور محمود الجريدلى: دكتوراه طب الفم جامعة القاهرة، دكتوراه الأدب العربى من جامعة عين شمس**

ترقبوا

موسوعة العقيدة ــ موسوعة الأخلاق

من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أمهات كتب التراث الإسلامى

موسوعات متخصصة فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والمفاهيم الإسلامية العامة وشتى مناحى الحياة

مع الإصدارات الشهرية من مجلة منبر الإسلام وسلسلتى دراسات وقضايا إسلامية

أحدث الموسوعات موسوعة الفلسفة الإسلامية

مسابقة منبر الإسلام الدينية - رجب ١٤٣١هـ

اقلب الصفحة

الرحمـة

من القارئ/ ثروت فتوح الرشيدى - دكرنس - دقهلية

قال تعالى : ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٩).

وردت الرحمة بمختلف اشتقاقاتها فى ٣٣٩ موضعًا بين آيات القرآن الكريم، ولذا تتضح أهمية الرحمة.

الرحمة : معنى رقة القلب وعطفه، ولذا اشتق منها الرحم. أى أسباب القرابة.

الرحمة بين الناس : رفق فى المعاملة وعفو عند المقدرة وحلم عند الغضب، ولكى يشيع التراحم بين الخلق جميعًا شرع الله تعالى للمسلم أن يكرر «الرحمن الرحيم» ٣٤ مرة فى اليوم والليلة.

عن أبى يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : «**إن الله كتب الإحسان على كل شىء. فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**» (رواه مسلم).

وأخرج البيهقى عن أنس رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال: «**إنى لأدخل فى الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى مما أعلم من شدة وجد أمه**».

ونهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع وقال: «**نعيقها تسبيح**» (مجمع الزوائد).

وروى البخارى ومسلم عن رسول الله ﷺ قال: «**دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلم تطعمها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض**».

وبذلك تكون الرحمة بالإنسان والحيوان والطير وكل ما خلق الله تعالى.

وبعد : فإن الرحمة مشتقة من اسم الله الرحمن، ومن المعروف فى كتب التفسير أن هناك فرقًا بين اسم الله الرحمن واسمه الرحيم وأن اسم الله الرحمن متحد به ووجه التحدى أن أحداً لا يستطيع أن يسمى به

مسابقة منبر الإسلام الدينية - جمادى الآخرة - رجب ١٤٣١هـ

نظرًا لصعوبة إيجاد الفقرة المشار إليها من العدد الماضى (جمادى الآخرة ١٤٣١هـ) نورد هنا فقرة أخرى تعتبر هى سؤال العدد:

(أهاب الإسلام بالإنسان المحافظة على الماء أصل الحياة، حياة الإنسان، وحياة النبات، وحياة الحيوان، وحياة كل كائن حى).

سؤال عدد رجب ١٤٣١هـ (فليس للمؤمن الذى يؤمن بالغيب مندوحة عن تصديق ما أخبر الله به رسوله ﷺ وإن عجز عقله عن إدراك حقيقة ما آمن به وكَل علمه إلى الله سبحانه وتعالى).

السؤال : من قائل هذه العبارة؟ وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... اسم الكاتب : ....

العنوان : ....

العمل : ....

اسم المتسابق : .... رقم التليفون : ....

تاريخ الميلاد : ....

رقم البطاقة : .... جهة الصدور : ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر اشهر المسابقة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٣٠هـ حتى شعبان ١٤٣١هـ.

صلاة القصر

■ ■ **السؤال من القارئ/ راضى رضوان راغب محافظة ٦ أكتوبر. يقول:**

ما هى مسافة السفر المبيحة للقصر فى الصلاة؟

■ **الجواب:** ذهب جمهور الفقهاء إلى أن قصر الصلاة لا يكون إلا بعد مجاوزة بيوت البلد ولا يتم صلاته إلا بعد أن يصل إلى بيوت البلد الذى خرج منها أولا، ومسافة القصر هى ٨٥ كيلو مترًا فأكثر فإذا بعُد المسلم عن بيوت البلد الذى يقيم فيه وقطع ٨٥ كم فيجوز له أن يقصر الصلاة والقصر يكون فى الصلاة الرباعية «الظهر والعصر والعشاء». والله سبحانه وتعالى أعلم.

قصر العصر مع الجمعة

■ ■ **السؤال من القارئ/ محمد سيد حسن من محافظة البحيرة يقول:**

ما حكم جمع صلاة العصر قصرًا إلى صلاة الجمعة إذا صلى الإنسان الجمعة وكان مسافرًا؟

■ **الجواب:** يجوز فى السفر جمع صلاة العصر قصرًا مع الجمعة جمع تقديم لأنها بدل عن الظهر، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى عن معاذ ابن جبل - رضى الله عنه -: «أن النبى ﷺ كان فى غزوة تبوك إذ ارتحل قبل أن تزيغ الشمس آخر الظهر حتى يجمعها إلى العصر فيصليهما جميعًا، وإذا ارتحل بعد زيغ الشمس صلى الظهر والعصر جميعا ثم سار، وكان إذا ارتحل قبل المغرب أخر المغرب حتى يصليها مع العشاء، وإذا ارتحل بعد المغرب عجل العشاء فصلاها مع المغرب»، وهذا الحديث صححه ابن حبان والبيهقى وحسنه الترمذى وهو أصل فى جمع التقديم. إلا أنه يمتنع جمع الجمعة مع العصر جمع تأخير؛ لأن الجمعة مع العصر لا يتأتى تأخيرها عن وقتها.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

«فى الـــزواج»

■■ السؤال من القارئ/ على محمد على من محافظة الفيوم . يقول:

هل يجوز للرجل أن يتزوج بنت أخت أو بنت أخ زوجته التى فى عصمته بمعنى هل تجمع البنت مع عمتها أو خالتها في عصمة رجل واحد؟

■ **الجواب:** المقرر شرعًا أنه لا يجوز للرجل أن يجمع فى عصمته بين امرأتين لو فرضت إحداهما رجلاً لحرمت الأخرى عليه، وذلك لقوله ﷺ فيما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: **«لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها»**. وبناء عليه وفى واقعة السؤال: لا يجوز للرجل أن يجمع فى عصمته بين البنت وخالتها أو البنت وعمتها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الحقوق المالية للزوجين

■■ السؤال من القارئ/ هشام السيد محمد من محافظة القاهرة. يقول:

ما هو أثر الزواج على الحقوق المالية للزوجين وشرعية استقلال الذمة المالية للزوج عن الذمة المالية للزوجة طبقًا للشريعة الإسلامية؟

■ **الجواب:** من المقرر شرعًا أن للزوج ذمة مالية مستقلة عن زوجته، وأن للزوجة كذلك ذمة مالية مستقلة عن زوجها.

وقد روى الدارقطنى عن حبان بن أبى جبلة أن النبى ﷺ قال: «كلٌّ أحدٍ أحقُ بماله من والده وولده والناس أجمعين». فهذا الحديث يقرر أصل إطلاق تصرف الإنسان فى ماله. وعليه فلا يترتب على الزواج فى الشريعة الإسلامية اندماج مالية أحد الزوجين مع مالية الآخر، سواء الأموال السائلة أوالعقارات أو الأسهم أو غير ذلك من صور المال المختلفة ولا يحق للزوج أو للزوجة بموجب عقد الزواج فى الإسلام أن يتحكم فى تصرفات زوجته أو زوجها المالية. ولا يعطى الشرع حقا لأحدهما على الآخر فى التصرفات المالية فوق ما يجب على الزوج لزوجته من مهر، لقوله تعالى: **﴿وآتوا النساء صدُقاتهن نحلة﴾** أى فريضة واجبة (سورة النساء الآية ٤)، وكذلك ما يجب عليه من النفقة لها ولأولاده منها، وفوق ما يجب عليه لها فى حال الطلاق من نفقة العدة، ونفقة الحضانة إن كانت حاضنة، وكذلك المتعة فى بعض أحوال الطلاق، وفوق ما يجب عليها له فى حال الخلع إن طلبت هى الطلاق من غير أن يكون قد أضر بها فى شىء.

فذمة الزوج المالية منفصلة عن ذمة الزوجة تمامًا، ولا تأثير لعقد الزواج على ذمتى الزوجين المالية بالاندماج الكلى أو الجزئى.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الحداد على الميت

■■ السؤال من القارئ/ن.ع.س من محافظة أسيوط. يقول:

ما حكم الدين فى الحداد على الميت وإحياء ذكرى الممات وارتداء اللون الأسود تعبيراً عن الحزن؟

■ **الجواب:** لا يجوز الحداد على الميت أكثر من ثلاثة أيام إلا الزوجة فحدادها أربعة أشهر وعشرة أيام، ولا يجوز إحياء ذكرى الممات باستقبال المعزين وإقامة مراسم التعزية، إمَّا بتذكر آثار الميت الصالحة والنافعة ثناء وترحمًا عليه وللاقتداء بعمله فلا مانع منه، ولا يختص بوقت معين، ولا مانع من ارتداء الملابس السوداء للزوجة على زوجها. والله سبحانه وتعالى أعلم.

لحم الغزال

■■ السؤال من القارئ/ أحمد محمد حسن من القاهرة . يقول:

هل يجوز ذبح الغزال واستخدام لحمه للاستهلاك الآدمى؟

■ **الجواب:** يجوز ذبح الغزال واستخدام لحمه للاستهلاك الآدمى باتفاق علماء الأمة.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

حلى المرأة

■■ السؤال من قارئة من الجيزة تقول:

هل على حلى المرأة زكاة؟ وما مقدارها؟

■ **الجواب:** جمهور الفقهاء لا يوجبون الزكاة فى حلى المرأة الذى ليس لمحض الادخار (بأن كان مستعملا فعلا أو محفوظا على احتمال الاستعمال وإن لم يستعمل فعلا)، ولم يوجب فيه الزكاة إلا السادة الحنفية، وعلى رأيهم تكون زكاته ربع العشر.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الفرق بين صلاتى الفجر والصبح

■■ السؤال من القارئ/ سيد حسن مصطفى من البحيرة يقول:

ما هو الفرق بين صلاتى الفجر والصبح؟ وكيف تكون نية الصلاة فيهما؟

■ **الجواب:** لا فرق بينهما، فهما اسمان لمسمى واحد، والنية تكون بعقد القلب على صلاة فريضة الصبح، أو فريضة الفجر.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الدم ونقض الوضوء

■■ السؤال من القارئ/ معتصم السيد حسان من إدكو . يقول:

هل ينتقض الوضوء بخروج الدم؟

■ **الجواب:** المختار فى الفتوى فى ذلك رأى الجمهور: أن الدم الخارج من غير السبيلين لا ينقض الوضوء.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

«فى الرضاع»

■■ السؤال من القارئ/ جمال السيد حسن من محافظة أسيوط. يقول:

رضعت مع ابن خالتها الصغير من أمه مرة واحدة، فهل يجوز لأخيه الشقيق الكبير الزواج منها؟

■ **الجواب:** من المقرر شرعًا أنه **«يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»**، وهو نص حديث نبوى شريف أخرجه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها، وذلك بشرط أن يكون الرضاع فى مدته الشرعية، وهى سنتان قمريتان من تاريخ الولادة على المفتى به، إذ بالإرضاع تصير المرضعة أما من الرضاع لمن أرضعته، ويصير جميع أولادها سواء من رضعت معه أو من هم قبله أو بعده - إخوة وأخوات لمن أرضعته.

وقد اختلفت كلمة الفقهاء فى مقدار الرضاع المحرم فذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد فى إحدى رواياته إلى أن قليل الرضاع وكثيره فى التحريم سواء، وذهب الشافعى وأحمد فى أظهر رواياته إلى أن الرضاع الموجب للتحريم هو ما بلغ خمس رضعات متفرقات مشبعات فأكثر فى مدة الرضاع سالفة الذكر. وهذا الأخير هو ما عليه الفتوى والقضاء.

وعلى ذلك وفى واقعة السؤال فإنه يجوز لابن الخالة الكبير هذا التزوج من بنت خالته تلك. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الفائزون فى مسابقة منبر الإسلام الدينية

أعلنت منبر الإسلام عن مسابقة دينية نشرت فى الأعداد من رمضان ١٤٢٩هـ إلى شعبان ١٤٣٠هـ، وقد تلقت إدارة التحرير والنشر آلافا من الخطابات، وقامت بفرزها لتحديد الإجابات الصحيحة، وتم إجراء القرعة بين المتسابقين التى أسفرت عن فوز الآتى أسماؤهم بمكتبة إسلامية وهم:

١ - السيد على أحمد الصورى
الجمالية الحسينية - شرقية ص.ب ٣٠٠١٧١٠٥٥ ت ٠٥٥٢٧٧١٥٣١

٢ - علاء عبد النبى حسين رضوان
ش الشهيد محمود فتحى من ش ٢٣ يوليو (العرمانى) - إدفو أسوان ت ٠٩٧٤٧١٧٩٦٢ ب ٨٠٠٢٧٤

٣ - محمد عبد العزيز خاطر
المنوفية - أبشيش مركز الباجور - ت ٠٤٨٣٨٦٧٢٩

٤ - سيد عبد الرحمن حسين خليل
١٢ش عبدالباقى - السيدة زينب - القاهرة - ت ٠١٢٢٣٦٧٢٩٦ ب ١٠٠٢٥٢

٥ - د. محمد عيد عبد الغنى محمد
القليوبية بنها الجديدة حى الروضة خلف تحسين الصحة ش مسجد الفاروق عمر عمارة الحاج سعيد نوار شقة ٦ ب ١٤٠٢٣١٩ ت ٠١٣٣٢١٣٩٢٨ - ٠١٠٩٥٢٣٦٢٣

٦ - عبد الجواد رياض عبد العزيز محمد
الفيوم - المسلة ش النبوى المهندس - منزل أمين أحمد عبد العاطى الدور الثالث ب ٢٣٠٠٣٥٥ ت ٠٨٤٦٣٥٠٨٠٢

٧ - صلاح إبراهيم محمد حبيب
العواسجة - ههيا شرقية ب ٣٨٦٢٧ ت - ٠١٠١٩٥٤٤٦٩ - ٠٥٥٢٥٠٠٠٦٣.

٨ - عبد الغنى أبو الفتوح شبل مقلد
شبا قاص - السنطة - غربية ب ١٦٠١٠١٥ ت ٥٣٠٣١١٩

٩ - صبرى درويش مصطفى
٣٦ ش أمين الكرجى غربال محرم بك الإسكندرية ب ٢٠٠٤٩٣ ت ١٤٩٤٠٥٦٣

١٠ - مجدى كمال مختار أبو تريكة
شركة النصر للكيماويات الدوائية أبو زعبل ب ١٤٠٠٧١١ ت ٤٤٦٨٩١٠٥

١١ - محمد محمود شاذلى
٥ ش محمد سويلم قسم الإشارة الزقازيق ت ٢٣٨٣٨٧٩ ب ١٣٠٠٠٥١

١٢ - السيد العربى رضوان الحسينى
الجزيرة دكرنس دقهلية ب ١٢٠٢١٩٨ ت ٠٥٠٧٤٣٧٠٣٢

١٣ - أحمد السيد محمد على
الجمالية الحسينية الشرقية ب ١٣٠٠٦٩٣ ت ٠٥٥٢٧٧٨٦٢٥. ص.ب ٤٤٦٥٥

١٤ - حلمى عبد الحميد محمد عبد العال
كفر الغنيمى مركز منيا القمح شرقية ت ٣٦٦٢١٦٦ ب ٢٥٢٠١١٠١٣٠٠٨٣٨

١٥ - زكريا لطفى على همام
سوهاج ساقلتة سفلاق نجع حامد ب ٢٦٠١٤٥٩ ت ٠١٤١٩١٨٢٩ - ٠٩٣٢٤٨١٠٠٠

١٦ - نها محمد على أحمد الصورى
الجمالية الحسينية - شرقية ب ١٣٠٠٥٠٥ ص.ب ٤٤٦٥٥ ت ٠٥٥٢٧٧٤٢٣١.

١٧ - هشام حمزاوى إبراهيم صايم
هربشنت ببا بنى سويف ت ٠٨٢٤٤٥٤٢٦٢ ب ٢٢٠٠١٥٩١

١٨ - صفوت محمود صالح
العواسجة - ههيا - شرقية ب ١٣٠٠٨١٦ ت ٠٥٥٢٥٠٠٩٢٩. - ٠١٠٦١٨٥٨٣٧

١٩ - حسن السيد محمد كامل
٢٨ ش والى أرض العمدة كفر الدوار بحيرة ت ٠٤٥٢٢١٧٣٨٨. ب ٢٦٠٠٨١٩١٨٠٠٤٥١

٢٠ - إبراهيم على محمد أبو شحاتة
شابور - كوم حمادة - البحيرة رمز بريدى ٢٢٨١٤ ت ٠٤٥٣١١٥٦٢٩ ب ٢٦٤٠٧٠٩١٨٠٠٨١١

وأسرة تحرير منبر الإسلام تتمنى لمن لم يحالفهم الفوز التوفيق فى المسابقات القادمة إن شاء الله .. والله الموفق.

مجلة منبر الإسلام

تفتح آفاقها على العالم الإسلامى بكل جديد ومفيد

مجلة الفردوس للطفل المسلم «هدية»

سارع باقتناء نسختك

بريد التعارف

الاسم : حسن صابر فرج

الهواية : الاطلاع الدينى والتواشيح

العنوان : أسيوط - القوصية - الشيخ نجيب البحرى

الاسم : عبد المعز صالح على صالح

الهواية : الاطلاع الدينى- الخطابة

العنوان : الحسينية - شرقية

الاسم : راضى محمد النوارجى

الهواية : كتابة الشعر والاطلاع الدينى

العنوان : صان الحجر - شرقية

الاسم : نزيه صلاح الدين عبد الجليل أحمد

الهواية: الاطلاع الدينى - قراءة القرآن الكريم

العنوان : محافظة سوهاج - قرية سعلاق

الاسم : البكرى على حمودة

الهواية : الخطابة - الخط العربى

العنوان : ٣١ ش الجميل كفر العجيزى - طنطا

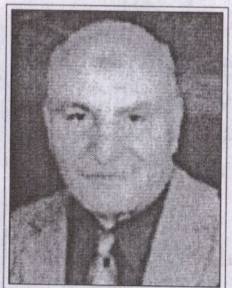

الاسم : فرغل عبد الحميد حسن فرغل

الهواية : قراءة القرآن الكريم والاطلاع الدينى

العنوان : مديرية أوقاف سوهاج

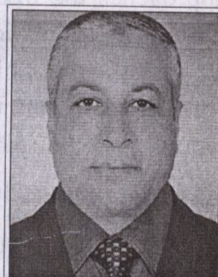

الاسم : شعبان عبد العال إبراهيم

الهواية : نشر الدعوة الإسلامية

العنوان : محافظة المنيا - بنى حسن الشروق

الاسم : الشيخ صفوت نظير المرسى

الهواية : الخطابة

العنوان : مديرية أوقاف القاهرة

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....

الهواية: ....

العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرسالة إلينا

birds then move upward against the wind direction, from one layer to the higher one until the bird loses the force of ascent. At this height, it gives itself to the surrounding circumstances. It glides down at a fixed angle made with the direction of the wind. This gains the bird an accelerating momentum that enables it to rise up once again ... These birds round time after time in repeated forms in this manner. So, they travel for long distances over the ocean.

Birds which soar in the flight can raise or lower their wings, move them forward or backward, or narrow the area of the wings by turning the shoulder joints to face the air at different angles which influence the soaring speed. When the birds soar in a curve, they lean with all their bodies towards the round direction, so that they may not be forced to go out the rounding curve by the centripetal force.

There is also another pattern of flight known in Arabic as **"Safiff".** When the bird approaches the tree tops, it flaps its wings slightly to avoid slamming into anyting underneath. This is achieved by keeping the inner part of the wing still, and flapping its outer part.

• The Bird Soaring as Cited in the Qur'an:

Having taken this quick excursion into the world of birds, and their wonderful "Saff" (or soaring), we shall take a look at what the Glorious Qur'an says in this connection. Some *ayat* (verses) deal with the bird's flesh, manners of feeding, language, or flight. Here are two *ayat* about bird flight:

"There is not an animal on the earth, nor a being that flies with its wings, but communities (or nations) like you." **{Surat Al-An'âm (or The Livestock), 38}.**

"Do they not observe the birds above them, spreading their wings, and folding them in? None can upohd them except the Most Gracious. Verily, He is the All-Seer of all things." **{Surat Al-Mulk (Dominion), 19}.**

The first text points out that the wings are the flying instruments, devices, or tools. This is true, which man imitated to manufacture the wings of planes. But he can only imitate the function of the inner half of the wing. The *ayah* also refers to the animal calssification for which a separate article is devoted.

The second *ayah* points out explicitly of **"Saff"**. The mere reference to **"Saff"** and the call upon the unbelievers to contemplate. Allah's miracles in the creation of birds, how wonderfully they fly, with wings spread in spite of their weight, indicate the greatness of this mechanism of flight. At the same time, it is a reminder about the greatness of the Creator, Who could, if He willed, make the bird abstain from spreading or folding its wings. None but Him could do that. He is the Only God, He is Allah.

pose of flight, the situation and the surrounding circumstances. Birds usually fly by **"dafif"** (i.e., flapping their wings). The bird flutters its wings continuously when it is flying according to this technique. But it may spread the wings and keep them still. Yet, it gains a forward and upward momentum. This is the **"Al-Saff"** (or soaring), which is the most wonderful manner of flight. You can see such a bird with wings spread and still, while hooting ahead swiftly for a long distance until it goes sight...!!!

- **The Soaring Birds:**

"Al-Saffat" birds (or soaring birds) are characterized by the reduction of the size of muscles, compared to other birds. Their wings are exceedingly long and wide. There are different manners of "Al-Saff", the simplest of which is gliding in this case, the bird uses the pull of gravity to let itself descend downward from a high place. To make a fast and an almost vertical landing, it folds the wings and does not spread them except when it approaches the appointed destination. In order to land from a forward gliding, the bird spreads its wings to glide ahead for hundreds of meters, while descending slowly without any effort or movement of the wings.

Another style of flight known in Arabic as **"Al-Saff Al-Aseel"** (i.e., proper soaring) is achieved when the bird keeps the height and perhaps rises higher in the air. For this purpose it can use air columns which result from different factors: heat of certain areas of the earth surface, which absorb the solar heat and then emit it affecting the nearest air layers which get lighter and rise higher. If the ascending air column is a narrow cylinder, and of a low density, quickly swift birds can use it for a fast ascent. The birds follow a helicoidal direction takes it up as far as five kilometers. The air column may also be appeared on account of an obstacle before the air and wind (hill or steep shores). When the sweeping wind is confronted with an obstacle or barrier, it necessarily climbs up. Birds such as the soaring sea gulls- the most famous soaring species- can be seen mounting the column formed near to successive sand dunes.

Certain sea birds can soar (the verb in Arabic is "tasuff") with the help of atmospheric phenomena over the sea. The high eaves may cause the wind to rise up in currents, which are used by the birds like stormy petrels and shear-waters. These birds can be seen soaring over the sea waves at the opposite side of the wind blowing.

A remarkable manner of the soaring is the active or dynamic soaring. The gannet is one of the most famous birds that fly in this manner. Winds blowing on a rough sea (with strong waves) are met with a resistance created by the friction with the sea waves. The air which is near to the sea surface moves slowly, while the speeds of higher layers gradually increase upwards. Thus, the air becomes stratified layers of increasing speeds consecutively related to the altitude. The

THE MOST WONDERFUL STYLE OF BIRD FLIGHT FROM THE QUR'ANIC VIEW POINT

Dr. Karem S. Ghoneim

• Accommodation of Birds to Their Environment:

Birds are wonderful amazing creatures in several aspects of their habits and behaviour, as well as their acclimatization and accommodation methods with the surrounding conditions. Their world is full of wonders, either in terms of the variety of their sizes, colours, types, or the environments they frequent or live in. It is well-known that birds are the creatures adapted by Allah to live in air. Their skeletons are very light, as most of the bones are thin hollow tubes. The heads are so small, the peaks have no jaws or teeth, the skull is light (a pigeon's skull weighs one sixth of that of a rat). In general, the body of the bird is streamlined, with flexible muscles and is covered with feathers. Being strongly built, birds can fly at various speeds and perform aerobatics in the air. In addition, birds are distinguished by important physiological capabilities. The rates of vital processes in their bodies are remarkably high in such a degree that makes them the supreme in food digestion. They are also the strongest among animals as they have the biggest heart and the most rapid pulsation. They have a high blood pressure and a high level of sugar in the blood. The body temperature is higher than those of other animals. Their respiratory system is also more sufficient than those of other animals.

• Different Types of the Bird Flight:

Ever since birds were created by Allah, they have been flying, using various mechanisms. Scientists have not been able to understand some such mechanisms except after the progress of aerodynamics and aeronautics. Man first derived the idea of flight from birds, as he imitated their wings (their tools of flight). But so far, he has only succeeded in imitating the inside half of the wings, which is raised high up in air. The wing of the bird consists of two parts: the inner part which is attached to the joint of the shoulder and functions to raise the birds up to high altitudes. The outer part, that acts like the engines of an airplane, which push it ahead. The bird has a tail, mainly used to direct the bird in its flight. If the tail is spread, feathers apart, the area of the surface increases and the birds can, sometimes, rise higher or, at other times, reduce the landing speed.

Now let us look at the mechanisms of flight, particularly what is known in Arabic **"Al-Saff"** (or soaring). Different birds have different manners or styles of flight according to the species, the pur-

محتويات مجلة منبر الإسلام عدد رجب ١٤٣١ هـ

■ كلمة التحرير	«رئيس التحرير»	١
■ حديث الشهر: تواصل الأجيال	د. محمود حمدى زقزوق	٢
■ إسلام لكل العصور: إسلام وسط الحصار	د. محمد الشحات الجندى	٥
■ معجزة الإسراء (شعر)	عبدالفتاح الطاهر الخطيب	٨
■ على مائدة القرآن الكريم		٩
• نظرات فى كتاب الله تعالى.. تفسير سورة «الناس»	د. محمد سيد طنطاوى	١٠
• نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (٢٢)	د. طه مصطفى أبو كريشة	١٣
• شبهات حول وقوع اللحن فى القرآن الكريم	أ. د. محمد بلاسى	١٨
• فى الإسراء تسرية وجزاء على الصبر والصمود (شعر)	عبد الغنى أحمد ناجى	٢٠
■ من وحى المناسبة ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله﴾ ...		٢١
• دروس مستفادة من رحلة الإسراء والمعراج	فضيلة الشيخ/ محمد عبد المجيد زيدان	٢٢
• الإسراء والمعراج بالجسد والروح معاً	د. سالم عبد الجليل	٢٧
• منبر الجمعة: تأملات فى حادثة الإسراء والمعراج	د. إسماعيل الدفتار	٣٢
• الإسراء والمعراج ورسائل تذكير	د. ربيع خليفة عبد الصادق	٣٦
• الإسراء والمعراج على صاحبهما أفضل الصلاة والسلام (شعر)	د. عبدالغفار حامد هلال	٤١
■ الأسرة والتشريع الإسلامى		٤٣
• أهمية الرقابة الأسرية	المستشار حسن حسن منصور	٤٤
• الوالدان	د. طه عبدالسلام خضير	٤٨
■ الدين والحياة		٥٣
• حماية البيئة فى الإسلام	خالد حامد سعد خليفة	٥٤
• أمراض الكبد والوقاية منها.. نظرة طبية إسلامية	د. عبد المعبود عمارة	٥٧
• نظرات جادة فى منبر الإسلام (٨) لا يأس مع الحياة	المستشار محمد التهامى	٦٠
■ أقلام نسائية		٦٣
• النجاشى (أصحمة) الصحابى التابعى	د. سامية منيسى	٦٤
• علاقة المسلمين بيهود الأندلس	د. إصلاح عبدالحميد	٧٠
■ قضايا معاصرة		٧٥
• محمد على باشا والسيد عمر مكرم (صراع الدولة والأمة)	د. محمد عمارة	٧٦
• الرد على تكرار الإساءة لرسول الله ﷺ	د. أحمد عمر هاشم	٨١
• موقف الفكر الإسلامى من الفلسفة اليونانية	د. محمد عبدالغنى شامة	٨٤
■ الدعوة والخطاب الدينى		٨٧
• محمد رسول الله ﷺ فى حديث الإمام الشعراوى	د. محمد رجب البيومى	٨٨
• حقيقة التصوف	فضيلة الشيخ / شوقى عبداللطيف أيوب	٩٥
• بلاء المخدرات من أكبر المشكلات	فضيلة الشيخ/ أحمد عبد اللطيف الكلحى	٩٨
■ أنباء وأخبار	منير بيومى	١٠١
■ حوار مع كرستيانا باكر	محمد كامل شاهين - مها أمين الخولى	١٠٤
■ أمانة الكلمة دستور أخلاقى	تحقيق / مصطفى إبراهيم خيان	١٠٧
■ استراحة المنبر	محمد سيد أحمد علىّ الدين	١١٤
■ نافذة على القراء	أحمد فاروق الهلباوى	١١٧
■ يسألونك فى الدين والحياة	فضيلة الدكتور/ على جمعة محمد	١٢١
■ بريد التعارف		١٢٤
The most wonderful style of bird flight from the Qur'anic view point	Dr. Karem S. Ghoneim	١٢٨

MINBAR AL-ISLAM

Issued by

Ministry of Al-Awqaf

The Supreme Council for Islamic Affairs

Year (69), vol. (7), Rajab 1431 H.

June 2010 - Price: E.P. 1.50

Chairman

Prof. Dr. Mahmoud Hamdi Zakzouk

Minister of Al-Awqaf & President of

The Supreme Council for Islamic Affairs

Editor-in-Chief

Prof. Dr . Mohammad Al-Shahat Al-Gendy

Secretary General of

The Supreme Council for Islamic Affairs

Board of Editors

Prof. Dr. Ahmad Mohammad At-Tayyeb

Prof. Dr. Ahmad Kamal Abul Magd

Sheikh / Mohammad Abdel Magid Zeidan

E-mail Address: islamic_council_eg@yahoo.com